التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم

الجزء الثاني عشر

التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم

الجزء الثاني عشر

الأستاذ الدكتور
عبّــاس عَليُّ الفَحّام

الطبعَة الأولى / ٢٠٢٣م

مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع . نشر . توزيع

مؤسسة دار الصادق الثقافية (طبع- نشر- توزيع)

اسم الكتاب: التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم
الجزء الثاني عشر

اسم المؤلف: الأستاذ الدكتور عبّــاس عَليّ الفَحّام

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد: ١٢٥٠ لسنة ٢٠٢٣م

ردمك I.S.B.N.978-9922-702-09-4

رقم الطبعة: الأولى / ٢٠٢٣م

القطع الطباعي ١٧× ٢٤

عدد الصفحات: ٣٠٨

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف والناشر

تحذير

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الاشكال دون إذن خطي من المؤلف والناشر.

This book or any part of it may not be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form without the written permission of the author and publisher.

مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع .. نشر .. توزيع

العراق – بابل – الحلة - شارع ابو القاسم - مقابل جامع ابن النما
هاتف: 009647801233129
E–mail:alssadiq@yahoo.com

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ

وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

الحشر: ٢١

صَدَقَ اللهُ العَليُّ العَظِيْم

سورة السجدة

مكية، وهي ثلاثون آية

عرضت السورة موضوعات النبوة ومبدأ الخلق والمعاد، وإقامة الحجة على إثباتها، ووعدت المؤمنين بالإثابة بما لا يمكن تصوره وتوعدت الكافرين بالعقاب الأليم، وفي الخصال عن الصادق (عليه السلام) قال: إن العزائم أربع: اقرأ باسم ربك الذي خلق، والنجم، وتنزيل السجدة، وحم السجدة. انتهى.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ الٓمٓ ١ ﴾

تقدم الكلام فيها في أكثر من موضع.

قوله تعالى ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢ ﴾

قوله (تنزيل الكتاب) ارتفع لفظ التنزيل على تقدير: هذا تنزيل الكتاب، والتنزيل مصدر الفعل المضعف (نزّل)، ويراد به المفعول أي المنزل وكذا الكتاب يراد به المكتوب والأصل فيه: المكتوب المنزل، فهو من إضافة الصفة إلى موصوفها.

قوله (لا ريب فيه) نفي مطلق لجنس الارتياب في نسبة القرآن إلى الله تعالى.

قوله (من رب العالمين) جملة بدل تقريري لإثبات صدور الكتاب من عند رب العالمين، و(من) ابتدائية، وخص بالذكر (رب العالمين) لأن فيه الرد على مشركي مكة الذين يفصلون بين الإلهية والربوبية، فيجعلون الألوهية لله في السماء، والربوبية والتدبير لشركائه المزعومين في الأرض، فجمعها الله له لإبطال زعمهم.

قوله تعالى ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣ ﴾

قوله (أم يقولون افتراه) (أم) منقطعة عن الاستفهام، بمعنى بل، والقائلون هم مشركو قريش، والافتراء الكذب، وضمير الرفع في فعله راجع إلى الرسول، والهاء عائد إلى الكتاب، والمعنى: بل أيقول المشركون افترى محمد ﷺ الكتاب على الله، على تقدير استفهام تعجيبي من زعمهم اختلاق الكتاب وادعاء نسبته على الله، لأن الدلائل بينة على صحة معجزته ولا ينكرها عاقل، ودلالة مضارع فعل القول استحضار حال زعمهم.

قوله (بل هو الحق من ربك) رد مؤكد من الله على زعم قريش، بأن القرآن حق ثابت نازل منه تعالى، ووصف القرآن بالحق لأن كل ما فيه صدق لا يتغير، وتعريفه للقصر، و(من) حرف ابتداء، والخطاب في إضافة الرب إلى كاف الرسول ﷺ للعناية والاهتمام.

قوله (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) جملة الإنذار للتعليل، والإنذار التخويف من عاقبة تكذيب الرسول ﷺ، وخص الإنذار دون غيره لمناسبة مقام المنكرين المكذبين، وتنكير لفظ القوم لإفادة توصيفهم بجملة النفي، وتعني أنهم لم يرسل لهم رسول من قبل، و(من) الأولى زائدة لتقوية عموم النفي، والنذير الرسول الذي ينذرهم من الشرك بالله ويخوفهم عاقبته، و(من) الثانية زائدة لتأكيد السبق.

وقيل إن نفي إرسال النذير إشارة إلى طول مدة انقطاع انبعاث النبي ﷺ، وهي تقرب من ستة قرون بين عيسى عليه السلام والرسول محمد ﷺ، ويؤيده قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم. انتهى.

قوله (لعلهم يهتدون) أي: رجاء أن يهتدوا سبيل التوحيد، والرجاء بالنسبة لمقام المخاطبين، لا بالنسبة إلى الله.

قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾

قوله (الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما) إظهار اسم الله للقصر، والتذكير بإيجاده للسموات والأرض لبيان كمال القدرة الإلهية، والسموات

سماوات بالنسبة لأهل الأرض لأن لفظ السماء تقال لما يعلوك، فالمراد بها الأجرام والكواكب وهو المجموعات الشمسية الهائلة وأجرامها.

قوله (في ستة أيام) ذكر الستة أيام لأن نظام مملكة الله الواسعة بني على أساس نظام العلة، فجعل أجرامها متكونة من انفجار بعضها وانفصال بعضها من بعض كما في انفصال الأرض من الشمس بانفجار كوني عظيم.

قوله (ثم استوى على العرش) الاستواء الاعتدال في الجلوس على عرش السلطنة، والكلام كناية عن كمال القدرة، وذكر العرش بعد الخلق لإفادة الجمع بين الخلق والتدبير بين الألوهية والربوبية لإبطال زعم الوثنية في الفصل بينهما.

قوله (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) الخطاب للعموم ويدخل فيه المشركون، أي: ليس لكم من غير الله بعدما تقدم من بيان أمر الخلق والتدبير أي ولي يدبر شؤونكم في الحياة الدنيا ولا شفيع ينصركم في يوم الآخرة، والكلام بمنزلة النتيجة لما تقدمها من أدلة، و(من) الأولى زائدة للتأكيد، والثانية زائدة لتقوية نفي العموم، والولي القائم على تدبير شؤون غيره كالأب والمالك للعبيد، والشفيع المنتصر لغيره بالقول، والمراد بها في الآية تتميم نقص الموجودات، إذ لا يجوز أن يكون الشفيع بمعنى شفاعته عند غيره، قال السيد في الميزان: والشفاعة تتميم السبب الناقص في تأثيره، وإذا طبقناها على الأسباب والمسببات الخارجية كانت أجزاء الأسباب المركبة وشرائطها بعضها شفيعا لبعض لتتميم حصة من الأثر

منسوبة إليه، كما أن كلا من السحاب والمطر والشمس والظل وغيرها شفيع للنبات. انتهى. وللقوم في معنى الشفيع أقوال كثيرة بعضها تحكُّم في الآية، وما ذكر هو الأوفق.

قوله (أفلا تتذكرون) الفاء للتفريع، والاستفهام للإنكار والتوبيخ، ونفي التذكر كناية عن غفلة المشركين وجهلهم، ونفي مفعول الفعل لإفادة الإطلاق.

قوله تعالى ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾

قوله (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) تدبير الأمر إتمامه بحيث يكون متصلا بعضه ببعض على أكمل وجه، ويراد به تكوين الموجودات وتقدير وجودها واحدا بعد واحد، والأمر هو الشأن دون النهي، و(من) ابتدائية، والسماء يراد به ـ والله أعلم ـ ساحة قدسه التي هي مقام الشأن الذي به تدبير كل موجود، وليس المراد بلفظ السماء ظاهر اللفظ وهو جهة العلو.

قوله (ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) العطف بـ (ثم) على (يدبر) يشير للتراخي الرتبي، وفيه إيحاء إلى تضمنين معنى التدبير بالنزول المقابل للعروج وهو الصعود، وفاعل (يعرج) الأمر، والهاء في (إليه) عائدة إلى مقام الشأن المفهوم من لفظ السماء، والظرف (في يوم) قيد للعروج، والهاء في (مقداره) أي مقدار صعوده، والوعاء

الظرفي (ألف سنة) لبيان مقدار البعد الزمني على حساب السنين الأرضية الذي لو طبق فمقداره ألف سنة من سني الأرض، واختلف في أمر العروج فقيل مطلق الحوادث تعرج إلى الله، أو العروج يوم القيامة، كما اختلف في تفسير الخمسين ألف سنة، فقيل هي لتقدير مشاهد يوم القيامة فكل مشهد منها من مشاهدها الخمسين مقداره ألف سنة، وقيل هي لتصوير مشقة الكافر وأن العدد للتكثير.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ﴾

قوله (ذلك عالم الغيب والشهادة) اسم الإشارة لبيان عظمة المشار إليه، والغيب ما غاب عن الحس، والشهادة الحضور، واللفظان معنيان متناقضان بالنسبة إلينا، أما بالنسبة إليه تعالى فهما مجموعان له سبحانه، لأنهما حاضران بين يديه، يعلم ما فيهما.

قوله (العزيز الرحيم) أي: الله العزيز الذي لا يقهر، وهو الرحيم الكثير الرحمة، وفي كليهما إشارة لمعنى العقاب والثواب.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ﴾

قوله (الذي أحسن كل شيء خلقه) جملة توصيف لـ (عالم الغيب والشهادة)، أو بيان لها، والحسن الجميل، وجمال الله في خلقه كونه خلق كل شيء بشكل متكامل الأجزاء، متناسق مع بعض، فالأحياء تتناظر في بعض

كالعينين والأذنين وتنفرد في بعض كالأنف الذي يتوسط الوجه طوليا، وكالفم أسفل منه عرضيا على أكمل صورة وأتمها، والكلام تمهيد يراد به ما بعده.

قوله (وبدء خلق الانسان من طين) فعل البدء يراد به إفاضة الوجود على الإنسان من عدم، فالله تعالى اخترعه من طين، والإنسان يراد به النوع المبدو في أول الخلقة، وهو آدم، لأن الله خلقه وحواء من طين، فكل إنسان ينتسب إليه بالأصل، وإلا فنسل آدم مخلوق من ماء مهين كما جاء بعده، و(من) ابتدائية، والطين التراب المبلول بالماء.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾

قوله (ثم جعل نسله من سلالة) تفيد (ثم) هنا التراخي الزماني، والنسل الذرية المتناسلة من أصل واحد، واصل معناها الولادة بانفصال المولود عن الوالدين، والهاء فيه راجع إلى آدم المفهوم من لفظ الإنسان، و(من) ابتدائية، والسلالة صفوة الشيء وخلاصته التي تنسل من الشيء، وماء الرجل سلالته لأنه ينسل من صلبه، وتنكير اللفظ للنوعية.

قوله (من ماء مهين) من: للتبيين، والماء المهين الماء الضعيف أو الحقير.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ ﴾

قوله (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) تفيد (ثم) معنى التراخي الرتبي. والتسوية التصوير وتتميم العمل، أي وضع للإنسان المبدو من الطين أو المنفصل بالولادة شكله المقدر له، والنفخ كناية عن بث الروح في الإنسان المخلوق. و(من) ابتدائية، والروح هي الحياة وإضافتها إلى هاء الجلالة للتعظيم.

قوله (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) أي: جهز هذا المخلوق بما يمنحه من إدراك المحسوسات كآلة السمع والبصر، والمعقولات كالأفئدة التي تقال للإدراكات الباطنية للنفس.

قوله (قليلا ما تشكرون) أي: تشكرون شكرا قليلا، والإخبار محله التوبيخ للكافرين الذين يقابلون الإنعام بالجحود، وفي الكلام نوع إدماج في أسلوب الانتقال بالكلام من الغيبة إلى خطاب الحضور، وهو إدماج بين الإنعام بذكر أصل الخلقة، وبين توبيخ المشركين الجاحدين لنعمه تعالى.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ ﴾

قوله (وقالوا أ إذا ضللنا في الأرض) القول للمشركين في بيان إنكارهم للمعاد، والاستفهام منهم أورد على سبيل الإنكار والاستبعاد، والضلال الضياع والغياب، يريدون به تفرق أشلائهم في الأرض بعد موتهم.

قوله (أإنا لفي خلق جديد) الاستفهام الإنكاري محله الجواب لـ (إذا) الشرطية. لتأكيد إنكار إمكان بعثهم بخلق جديد، والحجة واهية تكررت مرارا من المشركين، وهي في معنى قوله تعالى (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) [المؤمنون ٨٢]، وقوله (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم) [يس ٧٨].

قوله (بل هم بلقاء ربهم كافرون) تفيد (بل) الإضراب عما تقدم لتأكيد ما يجيء بعدها، بمعنى أن جحدهم للخلق الجديد ليس بسبب جحودهم لقدرة الله، بل لإنكارهم بالمعاد الموجب لقاءهم بربهم أصلا، والكفر هنا بمعنى الجحود والإنكار.

قوله تعالى ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾

قوله (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) أصل الوافي بلوغ الشيء تمامه، قال الراغب: وتوفية الشيء بذله وافيا، واستيفاؤه تناوله وافيا. انتهى.

والوفاة للإنسان بمعنى فصل روحه عن جسده فصلا كاملا، تمنعه من التصرف بجسده، في إشارة إلى أن حقيقة الإنسان بروحه لا بجسده، وأنه يقبض تاما كاملا وهو محفوظ فيها، لا يضيع في الأرض كما احتج بذلك

المشركون، بل الأبدان تغيب في الأرض، وهي على أية حال تتغير في كل مرحلة من عمره، وستعاد إليها الأرواح في يوم البعث.

واسم ملك الموت عزرائيل، وهو من وكِّل بإماتة الإنسان وقبض روحه، وجملة الموصول موقعها الصفة لملك الموت، والتوكيل التفويض، وفي القرآن أسندت التوفية إلى ملك الموت كالآية التي نحن فيها، وأسندت إلى أعوان ملك الموت وهم الرسل نحو قوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) [النحل ٢٨]، وقوله (حتى إذا جاء أحدهم الموت توفته رسلنا) [الأنعام ٦١]، وفي مرة ثالثة أسندت إلى الله تعالى ـ ولا تنافي ـ فهو من فوقهم مسبب الأسباب كقوله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها) [الزمر ٤٢]، وقوله (الله الذي خلقكم ثم يتوفاكم).

وقال الصادق عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعوانا من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة، له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجه، فيتوفاهم الملائكة، ويتوفاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو، ويتوفاها الله تعالى من ملك الموت. ذكر في الفقيه للصدوق. انتهى.

قوله (ثم إلى ربكم ترجعون) وهي الغاية من التوفي المتراخية عنه، لأن ما يترتب من الرجوع إلى الله تحقيق عدله في الثواب والعقاب.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢ ﴾

قوله (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم) الخطاب لعموم السامعين، أي: ولو ترى هؤلاء المجرمين المنكرين للمعاد يوم القيامة وقد أخزوا وذلوا وأيقنوا بما أنكروا سائلين الله العود إلى الحياة الدنيا، ليعملوا صالحا، ولن يكون لهم ذلك.

وأنزل فعل الحضور في الكلام منزلة المضي في تفصيل الحدث المستقبلي، لأنه حتمي الوقوع في علم الله تعالى.

والنكس طأطأة الرأس إذلالا، والعندية في (عند ربهم) ظرف للمكان، استعمل مجازا لليقين في تحقيق المعاد بحيث لا يسعهم إنكاره، وهو يحاذي قوله تعالى (بل هم بلقاء ربهم كافرون).

قوله (ربنا أبصرنا وسمعنا) إقرار من المجرمين بيقين لقاء الله، لأنهم مضطرون إليه، وقد كانوا أنكروه في الحياة الدنيا، والإبصار والسمع مجاز من يقين المعرفة، أي: حصل لهم اليقين الإيماني، لأنهم غير مختارين، فلما عرفوا أنهم نقصوا العمل سألوا الله إرجاعهم للدنيا، لتحصيله للنجاة من العذاب، وهيهات يكون ذلك.

قوله (فأرجعنا نعمل صالحا) الفاء للتفريع، والإرجاع الرد إلى الحياة الدنيا للإيمان بالرسل والكتب السماوية، لأنها سبل العمل الصالح، وجزم فعل

العمل لأنه جواب فعل الأمر (أرجعنا)، ونصب لفظ الصالح أصله: نعمل عملا صالحا.

قوله (إنا موقنون) تعليل للوعد بالعمل الصالح، أي: حصل لهم اليقين الكامل بحقيقة الإيمان، فأعوزهم العمل الصالح للنجاة، وفاتهم لجهلهم أو لرجائهم طلب النجاة أن الدنيا دار التكليف، وأن الآخرة دار الحساب.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

قوله (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) الكلام بمعنى: إن هداية المجرمين ليست تعجز الله، فلو شاءت مشيئته لهدى كل نفس إلى الإيمان بالتوحيد هداية ضرورية، لا خيرة للنفس على ردها، أو هداية تلبس من دون نفي للاختيار وإبطال للتكليف، ولكن الله تعالى توعد بأن يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين، بسبب ظلمهم، وخروجهم عن زي العبودية.

والكلام افتراض منه تعالى، لبيان كمال قدرته في أن إجرام المجرم ليس بمستقل عن سلطة الله، بل يجري بعلمه.

قوله (ولكن حق القول مني) الاستدراك على الافتراض، لتأكيد وعده تعالى بالجزاء على العمل في الحياة الدنيا، وتحقيق القول ثباته وعدم تغييره.

قوله (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) مقول القول المنزل بمنزلة القسم لحتمية تحقق القضاء الإلهي، وجملة (لأملأن) جواب القسم، و(من)

للتبيين، والجنة والجن واحد وهم الكائنات المخلوقة من النار وهم جنس إبليس، والناس يراد به جملة العاصين المجرمين منهم. ونصب (أجمعين) حال مؤكدة، والكلام إشارة إلى توعد الله لإبليس يوم لم يأتمر بأمر الله في السجدة لآدم (فالحق والحق أقول، لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) [ص ٨٤ ـ ٨٥]، وقال (قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا، قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) [الإسراء ٦٢ ـ ٦٣].

قوله تعالى ﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) الفاء للتفريع، وفعل الإذاقة مستعار لتلبسهم بالعذاب، وحذف مفعوله لإفادة الإطلاق في تصور الإذاقة، والباء في (بما) للسبب، والمراد بفعل النسيان عدم اكتراثهم إلى حد تركهم الأخذ بالإيمان وتمسكهم بالجحود بالآخرة.

قوله (إنا نسيناكم) أي: إنا قابلنا نسيانكم للقائنا بنسيانكم من الرحمة، وإسناد النسيان إلى الله مجاز في تركهم لأنفسهم وتخليته تعالى لهم بينهم وبين شياطينهم.

قوله (وذوقوا عذاب الخلد) تكرار فعل الإذاقة لإفادة تأكيد خصوصيته، وهو إذاقة العذاب الخالد فيهم، وهو عذاب النار، وإضافة اللفظ من باب إضافة الموصوف إلى صفته.

قوله (بما كنتم تعملون) أي: العذاب بسبب أعمالكم في الدنيا، وذلك من تحقيق وعيد الله، لأنهم تبعوا الشيطان.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾

قوله (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا) لما تقدم ذكر المنكرين للمعاد، أعقب بذكر المؤمنين الصادقين، والاستئناف بـ (إنما) لحصر حقيقة المؤمنين في صفة ما ذكر بعده، ومضارع (يؤمن) لإفادة تحقق تجدده كلما ذكروا بآيات الله. والآيات آيات القرآن، وإضافتها للنون للتعظيم، وجملة الموصول تبيين للحصر، وتذكيرهم بالآيات يكون بتلاوتها عليهم، والخرور السقوط للوجه على الأرض، والسُّجّد جمع ساجد، ونصبه على الحال.

قوله (وسبحوا بحمد ربهم) جملة معطوفة على الحال، أي: ساجدين مسبحين، والتسبيح تنزيه ساحة العزة بالثناء عليه.

قوله (وهم لا يستكبرون) أي: في حال من التذلل والخضوع لمقام العزة الإلهية.

قوله تعالى ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

قوله (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الكلام موقعه الصفة للمؤمنين، والتجافي التباعد ولذا عدي بحرف التجاوز، والجنوب جمع جنب وهو شق الإنسان، والمضاجع جمع مضجع وهو مكان اضطجاع الإنسان واستلقائه، والتركيب معناه تركهم الفراش ليلا، كناية عن لزوم الصلاة لله وقت السحر.

قوله (يدعون ربهم خوفا وطمعا) الجملة موقعها الحال، ومضارع (يدعون) لتجدد الفعل منهم، أي: في حال مستمرة من الدعاء والصلاة لربهم خوفا من ناره وطمعا في غفرانه، ونصب لفظ الخوف والطمع لأنه مفعول لأجله.

قوله (ومما رزقناهم ينفقون) أي يخرجون من مالهم لمساعدة الفقراء، وذلك لسماحة نفوسهم.

وروى الواحدي بالإسناد عن معاذ بن جبل قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وقد أصابنا الحر، فتفرق القوم، فإذا رسول الله ﷺ أقربهم مني، فدنوت منه فقلت: يا رسول الله، أنبئني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار، قال لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة

المفروضة، وتصوم شهر رمضان، قال: وإن شئت أنبأتك بأبواب الخير، قال، قلت: أجل يا رسول الله، قال: الصوم جنة، والصدقة تكفر الخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله، ثم قرأ هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع). انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾

قوله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) الفاء للتفريع، ونفي العلم لأنه فوق التصور، وتنكير النفس للعموم، والإبهام لإفادة مطلق النعم التي لا تتصورها النفس، وفاعل فعل الإخفاء الله تعالى معلوم من سياق الكلام، و(قرة أعين) كناية عما يسر كل نفس، قال في المجمع: وقيل: هي من القر أي: البرد لأن المستبشر الضاحك يخرج من شؤون عينيه دمع بارد، والمحزون المهموم يخرج من عينيه دمع حار، ومنه قولهم: سخنت عينه، وهو قرير العين، وسخين العين. انتهى.

والإطلاق في لفظ الأعين دون أعينهم، بمعنى قرة كل ذي عين، لكونها الغاية في الحسن والكمال.

وفي الحديث المشهور، ورد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إن الله يقول أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر

على قلب بشر، بله ما أطلعتكم عليه اقرؤا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين). رواه البخاري ومسلم جميعا. انتهى.

قوله (جزاء بما كانوا يعلمون) أي: جزاء مستحقا من الله لهم، بسبب أعمالهم الصالحة المستمرة.

قوله تعالى ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ١٨ ﴾

قوله (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) الكلام مفرع على الذي قبله من الجزاء، والاستفهام للإنكار التساوي في المنزلة بين المؤمن بربه، وبين الفاسق الخارج من زي العبودية.

قوله (لا يستون) أي: لا يتساوون في المنزلة عند الله وفي الجزاء، والنفي تقرير لما قبله من إنكار.

وذكر في المجمع: قال ابن أبي ليلى [محمد بن عبد الرحمن متوفى ١٤٨هـ]: نزل قوله (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) الآيات، في علي بن أبي طالب عليه السلام، ورجل من قريش، وقال غيره: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، والوليد بن عقبة، فالمؤمن: علي، والفاسق الوليد، وذلك أنه قال لعلي عليه السلام: أنا أبسط منك لسانا، وأحد منك سنانا، فقال علي عليه السلام: ليس كما تقول يا فاسق. انتهى.

قوله تعالى ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

قوله (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا) الكلام تفصيل لمعنى نفي التساوي، وجملة الموصول لأنها أثبت لصفة الإيمان في نفوس المؤمنين، والاقتران بالعمل الصالح، لإفادة أنهم معتقدون عاملون، لم يتكلوا على الاعتقاد فحسب.

واللام في (لهم) للاستحقاق، والمأوى المستقر الذي يسكن فيه الإنسان، والنزل جمع نزيل وهو الضيف المكرم بحسن الضيافة والطعام، والنصب على الحال.

قوله (بما كانوا يعملون) جملة تعليل، أي: ذلك التكريم جزاء على مداومة أنفسهم على العمل الصالح، ويمكن أن تكون الباء باء العوض والمقابلة.

قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

قوله (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) الكلام يقابل الذي قبله في الأسلوب والمعنى، والفاسقون هم الكافرون، الذين خرجوا عن زي العبودية لله، والمأوى بمعنى مستقرهم في النار.

قوله (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) أي: كلما هموا بالخروج من النار لما يمسهم من ألمها أعيدوا فيها، والظرفية في (فيها) دالة على اشتمال النار عليهم، كأنهم أعيدوا في وسطها وعمقها.

قوله (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) الخطاب في فعل الإذاقة من الشماتة بالكافرين المكذبين بالمعاد، كما كانوا يشمتون بالمؤمنين، وجملة الموصول دالة على أن المراد بالفاسقين في صدر الآية (الذين فسقوا) خصوص المنكرين بالمعاد.

قوله تعالى ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

قوله (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) قسم من الله تعالى بالوعيد لمشركي مكة في الحياة الدنيا قبل عذاب الآخرة، وجملة الإذاقة واقعة في جواب القسم، و(من) للتبعيض، أو للتبيين، والعذاب الأدنى هو العذاب القريب وهو عذاب الدنيا ويكون بإذلالهم أو بجدب أرضهم أو قتلهم أو أسرهم قبل إماتتهم وإذاقتهم العذاب الأكبر وهو عذاب يوم القيامة، وسمي بالأدنى دون الأصغر الذي يقابل الأكبر، حتى لا يهون منه، والمقام مقام تخويف، مثلما لم يسم العذاب الأكبر بالأبعد، لعدم مناسبته مقام التخويف.

قوله (لعلهم يرجعون) أي: لعلهم يتوبون إلى الله من شركهم.

قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) الكلام في مقام التعليل، والاستفهام الإنكاري بمعنى: لا أحد أظلم، و(من) في (ممن) للتبيين، والتذكير بآيات الله بتلاوتها على الظالم المشرك.

قوله (ثم أعرض عنها) العطف بـ (ثم) للتراخي الرتبي، والإعراض عن الآيات بمعنى عدم الاكتراث بها.

قوله (إنا من المجرمين منتقمون) الجملة تعليل لعذاب الظالمين، وتقديم الظرف للاهتمام، وتسمية المشركين بالظالمين مرة وبالمجرمين مرة ثانية لبيان شناعة فعلهم بالشرك بالله.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾

قوله (ولقد آتينا موسى الكتاب) قسم وتحقيق لأهمية الإخبار، وإيتاء موسى الكتاب بمعنى إنزال ألواح التوراة عليه.

قوله (فلا تكن في مرية من لقائه) الفاء لتفريع النهي عن الشك بالبعث، والخطاب للرسول ﷺ، والمرية الشك، و(من) ابتدائية، والضمير في لفظ اللقاء بحسب ظاهر السياق عائد على موسى، ويراد به ـ والله أعلم ـ النهي

عن الشك بالبعث بتأكيد اللقاء بموسى في الآخرة لأن سياق الآيات السابقة في موضوع المعاد وتوعد منكريه، ومحصل المعنى: ولقد أعطينا موسى التوراة كما أعطيناك القرآن فلا تكن في مرية من اللقاء به وقوت وقوع المعاد.

ولأهل التفسير في إرجاع الضمير إلى الرسول ﷺ أو موسى عليه السلام أو الكتاب أقوال كثيرة لمن رغب الرجوع إليها.

قوله (وجعلناه هدى لبني إسرائيل) أي: وجعلنا موسى أو التوراة هاديا لبني إسرائيل.

قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

قوله (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) أي: وجعلنا من بني إسرائيل أئمة يقتدى بهم يهدون إلى أفعال الخير بإذن الله.

قوله (لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) جملة تعليل، أي: حين صبروا في الدين، وكانوا قبل ذلك موقنين بآياتنا.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

قوله (إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة) الخطاب للرسول ﷺ لكمال العناية والاهتمام، والفصل الحكم بين المختلفين، والضمير في (بينهم) عائد إلى بني إسرائيل حين اختلفوا وتفرقوا في أمر الدين، والكلام وعيد من الله لهم.

قوله (فيما كانوا فيه يختلفون) وكان اختلاف بني إسرائيل مؤمنين ومنكرين في أمر البشارة بالرسول ﷺ، وفي الإيمان بالبعث والنشور، وفي الإيمان بالرسل بعد موسى، وذلك بسبب تحريفهم للتوراة.

قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

قوله (أولم يهد لهم) أي: أولم يبين لهم، وفاعل (يهد) مضمر دل عليه فاعل (أهلكنا)، والاستفهام للتقرير، والضمير في (لهم) راجع إلى عموم الكافرين.

قوله (كم أهلكنا من قبلهم من القرون) إخبار يراد به التكثير لإفادة الاعتبار من إهلاك الله للأمم الكافرة السابقة عليهم، و(من) الأولى زائدة للتأكيد، و(من) الثانية للتبيين، والقرون يراد بهم الأمم.

قوله (يمشون في مساكنهم) جملة حالية بمعنى: والحال أنهم يمشون في مساكنهم، لأنها أصبحت آثارا تتكلم عن الأمم البائدة.

قوله (إن في ذلك لآيات) أي: إن في ذلك الإهلاك وما يترتب عليه من اعتبار لآيات دالة على التحذير من الشرك بالله وتكذيب رسله.

قوله (أفلا يسمعون) الاستفهام للإنكار والتوبيخ، والفاء للتفريع، أي: أفلا يسمع هؤلاء الكفار المواعظ فيأخذوا بها.

قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

قوله (أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز) الاستفهام للتقرير لإثبات توحيد الله بسوق أدلته، وفعل الرؤية للبصر أو للعلم، وسوق الماء مجاز في قيادته من خلفه كما تساق الغنم ويراد به سوق الرياح السحب المثقلة بالماء لإنزال المطر، والأرض الجرز الأرض اليابسة المنقطعة عن النبات والماء، والمراد إحياء الأرض اليابسة بإيصال الماء إليها بفعل المطر أو العيون والأنهار والسيول.

قوله (فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) الفاء للتفريع، وفعل الإخراج استعارة للإنبات كأنه مخبوء في الأرض، والباء في (به) أي بسبب الماء، والزرع يراد به المزروع، وهو ما ينبت مما يطعم منه الإنسان والحيوان، والهاء في (منه) عائد إلى الزرع.

قوله (أفلا يبصرون) أي: أفلا يبصرون ما أنعم الله عليهم من تحويل الأرض الجرز إلى زرع يأكلون منه، والكلام توبيخ لهم، وإيراد نفي

الإبصار بعد نفي السمع في الآية السابقة لإفادة انعدام منافذ الإدراك وإطباق الجهل على أنفسهم.

قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله (ويقولون متى هذا الفتح) القائلون هم مشركو مكة لاستكبارهم، والسؤال على سبيل الاستهزاء، والفتح يراد به قضاء الله في إنزال العذاب بالمشركين وهو في معنى قوله تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) [يونس ٤٨]، وأما القول بأن المراد به فتح مكة فبعيد عن السياق مع ملاحظة ما بعد الآية.

قوله (إن كنتم صادقين) تعليق الصدق على الفتح يراد به التعجيز للرسول ﷺ والمؤمنين.

قوله تعالى ﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) لم يصرح بيوم الفتح بل جيء بصفته، لإفادة التهويل، إذ المراد بجملة النفي إحلال الموت فيهم أو إحلال عذاب القيامة، حيث لا ينفع الإيمان حينئذ لو آمنوا.

قوله (ولا هم ينظرون) أي: ولا يمهلون حين ينزل بهم العذاب سواء في الدنيا أو الآخرة.

قوله تعالى ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله (فأعرض عنهم) الفاء لتفريع أمر الرسول ﷺ بعدم الاكتراث بالمشركين وصدهم لدعوته التوحيدية.

قوله (وانتظر إنهم منتظرون) الأمر يراد به وعيد المشركين، وانتظار الرسول ﷺ وعد من الله بالنصر والتأييد لأنه انتظار للفتح، وأما الإخبار عن انتظار المشركين فهو تعليل لأمر الانتظار، ووعيد لهم بإنزال العذاب فيهم، لأنهم ينتظرون موت الرسول أو قتله.

سورة الأحزاب

مدنية، وهي ثلاث وسبعون آية

السورة ذات موضوعات مختلفة من المواعظ والأحكام، وفيها ذكر لغزوة الأحزاب، وغدر يهود قريضة.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾

قوله (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) نداء الله لنبيه بصفة النبوة نداء تشريف، والافتتاح به في السورة دال على أهمية الأحوال المتعلقة بالنبي ﷺ، والأمر بالتقوى تمهيد لما بعده من النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين وهو يؤكد انطباق سبب النزول على مضمون الآية، فقد جاء في المجمع أن: الآيات نزلت في أبى سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبى الأعور السلمي، قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن أُبَي بعد غزوة أُحد، بأمان من رسول الله، ليكلموه فقاموا وقام معهم عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق، فدخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل: إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فقال

عمر بن الخطاب: ائذن لنا يا رسول الله في قتلهم، فقال: انى أعطيتهم الأمان، وأمر فاخرجوا من المدينة، ونزلت الآية (ولا تطع الكافرين) من أهل مكة أبا سفيان وأبا الأعور وعكرمة (والمنافقين) ابن أبي وابن سعيد وطعمة. انتهى.

قوله (إن الله كان عليما حكيما) أي: إن الله كان ولم يزل عليما بما خفي وظهر، حكيما فيما يخلقه.

قوله تعالى ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ۝٢ ﴾

قوله (واتبع ما يوحى إليك من ربك) فعل الاتباع مستلزم لمعنى الطاعة والتبليغ، والإبهام في اسم الموصول وصلته لتعظيم التبليغ في كونه وحيا موحى من الله تعالى، وهي الشريعة والأحكام النازلة في القرآن، والسياق وإن كان يوحي بالعموم إلا أن له مساسا بخصوص التنزيل في النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين.

قوله (إن الله كان بما تعملون خبيرا) جملة تذييل، وفي الإخبار معنى الترغيب لمن يعمل بطاعة الله، والترهيب لمن خالفه سبحانه.

قوله تعالى ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝٣ ﴾

قوله (وتوكل على الله) أي: فوض أمرك إلى الله، والتوكل التسليم، وحرف الاستعلاء مجاز للتفويض التام على أمر الله، فلا يرجو سواه ولا يخشى غيره.

قوله (وكفى بالله وكيلا) الكفاية الغناء، والباء للتعدي، ونصب الوكيل للتمييز، والكفاية بالله لأنه هو المدبر الحافظ والناصر، وفي مضمون الكلام تهيئة للرسول ﷺ لما سيلقى من مشقة من الكافرين والمنافقين.

قوله تعالى ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾

قوله (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) نفي مؤكد أن يكون لكل نفس اعتقادان متناقضان أو رأيان متضادان، فلا يمكن الجمع بين الكفر والإيمان، واللام في (لرجل) للملك، والتنكير للعموم، والمراد بلفظ الرجل النفس عامة ذكرا أو أنثى، و(من) زائدة للتأكيد، والقلب يراد به النفس على عادة لغة العرب في نسبة الإحساسات إلى القلب، والظرف (في جوفه) زيادة في التأكيد، كما في قوله تعالى (ولا تخطه بيمينك) [العنكبوت ٤٨]، والجوف ما يضم الصدر والبطن، ويمكن أن يكون الكلام تعليلا للنهي في قوله تعالى (ولا تطع الكافرين) والأمر في (واتبع ما يوحى إليك)، والكلام تمهيد لما بعده من نفي.

قوله (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) النفي إبطال لحكم جاهلي متبع وهو تحريم الرجل نفسه على زوجه بمجرد قوله لها أنت مني كظهر أمي، ويسمى الظهار وهو طلاق الجاهلية، والمظاهرة تشبيه ظهر الزوجة بظهر الأم وهو تشبيه الغشيان لإفادة المنع والتحريم، وتعدية فعل التظاهر بـ (من) في (منهن) لتضمنه معنى الانفصال، فيقال ظاهر من امرأته أي قال لها: أنت علي كظهر أمي، و(علي) تفيد معنى التحريم، والأزواج الزوجات، ونفي الجعل بمعنى نفي الأثر والقيمة.

قوله (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) نفي ثالث وهو أن ادعاء التبني لا يحول المُتبنَّى إلى ابن فعلي، والأدعياء جمع دعي وهو أن يدعي المتبني البنوة للمتبنى، وكان ذلك أمرا دائرا في الجاهلية يرتبون عليه أثرا في الإرث والازدواج ومنعه الإسلام بعد ذلك.

وقيل إن الكلام نزل في مناسبة تزويج الرسول مولاه زيد بن حارثة زينب بنت جحش، قال في المجمع: ونزلت في زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، من بني عبد ود، تبناه النبي ﷺ قبل الوحي، وكان قد وقع عليه السبي، فاشتراه رسول الله ﷺ بسوق عكاظ، فلما نبئ رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام فأسلم، فقدم أبو حارثة مكة، وأتى أبا طالب، وقال: سل ابن أخيك، فإما أن يبيعه، وإما أن يعتقه، فلما قال ذلك أبو طالب لرسول الله، قال: هو حر فليذهب حيث شاء، فأبى زيد أن يفارق رسول الله ﷺ فقال حارثة: يا معشر قريش، اشهدوا أنه ليس ابني، فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا أنه ابني - يعني زيدا - فكان يدعى زيد بن محمد، فلما تزوج النبي ﷺ زينب بنت

جحش، فكانت تحت زيد بن حارثة، قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه، وهو ينهى الناس عنها. انتهى.

قوله (ذلكم قولكم بأفواهكم) جملة تقرير لما تقدم، وهو أنه قول في الفم لا يتعدى الواقع، فهو زعم بلا حقيقة ولا أثر له، ولا يغير شيئا من الواقع، فالزوجة لا تتحول إلى أم بالقول أنت كظهر أمي، ولا الأدعياء يكونون أبناء صلبيين بمجرد اتخاذهم أبناء، فالقول شيء والجبلة شيء آخر مختلف لا علاقة لها به.

قوله (والله يقول الحق) التصريح باسم الجلالة للقصر، وقول الحق لأنه تعالى يخبر عن واقع مطابق له لا يخالفه بشيء، وغيره يخالف الحقيقة فيخبر عن موجود لا وجود له إلاّ في ذهنه فهو إخبار كاذب كما في مزاعمهم المتقدمة، وقول الله كناية عن كلامه المنزل في الكتب السماوية على رسله، ونصب لفظ الحق، لأنه صفة لموصوف محذوف تقديره الكلام الحق، وتعريف الحق للإطلاق.

قوله (وهو يهدى السبيل) وهو تعالى الذي يرشد إلى السبيل الآمن الذي ينتهي إلى الغاية المفيدة، وهي السعادة التي ينشدها الإنسان.

قوله تعالى ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥ ﴾

قوله (أدعوهم لآبائهم) أي: انسبوهم إلى آبائهم الصلبيين، والمراد بالدعوة أن يقال للآخر يا فلان بن فلان، واللام المقترن بالآباء للاختصاص، والآباء جمع أب وهو الوالد الصلبي، كالنهي عن دعوة زيد بن حارثة بزيد بن محمد.

قوله (هو أقسط عند الله) ضمير الفصل عائد إلى الدعاء بالنسبة إلى الوالد الصلبي، ولفظ الدعاء مصدر مفهوم من الفعل (ادعوهم)، وهو كقوله تعالى (اعدلوا هو أقرب للتقوى) [المائدة ٨]، أي العدل أقرب للتقوى، و: أقسط، بمعنى أعدل عند الله قولا وحكما.

قوله (فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) الفاء لتفريع الحكم، أي: فإن لم تعرفوا آباء المدعوين فقولوا يا أخي في الدين، والموالي الأولياء، فالمؤمنون أولياء بعض بالولاية الدينية.

قوله (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي: لا ذنب عليكم إن سهوتم في دعوتهم بغير ما أمر الله.

قوله (ولكن ما تعمدت قلوبكم) الاستدراك على النفي لتثبيت الذنب في حال تعمد دعوتهم إلى غير آبائهم، والتعمد مبالغة في العمد وهو القصد إلى فعل أمر ما، والإسناد إلى القلوب على سبيل المجاز العقلي كما تقدم غير مرة يراد به النفس والإدراكات الباطنية.

قوله (وكان الله غفورا رحيما) أي: وكان الله ولم يزل كثير الستر لذنوبكم فيما أخطأتم به، كثير الرحمة بكم.

وقد شددت السنة النبوية الشريفة في تأكيد العمل بالآية كقوله ﷺ: من انتسب إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله. ذكر في كتب السنن وغيرها. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦ ﴾

قوله (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) النبي هو محمد ﷺ فتعريف اللفظ للعهد، والمقصود بالولاية ولاية التصرف والرجحان، لا مجرد ولاية النصرة والمحبة، واسم التفضيل بمعنى لو دار أمر الولاية بين النبي ﷺ ونفس المؤمن فإن للنبي الرجحان، والولاية مطلقة عامة في مطلق الترجيحات كما يظهر من السياق ليست مختصة بالدعوة فحسب، قال في الميزان: ففيما إذا توجه شيء من المخاطر إلى نفس النبي فليقه المؤمن بنفسه، ويفده نفسه، وليكن النبي أحب إليه من نفسه، وأكرم عنده من نفسه، ولو دعته نفسه إلى شيء والنبي إلى خلافه، أو أرادت نفسه منه شيئا وأراد النبي خلافه، كان المتعين استجابة النبي ﷺ وطاعته، وتقديمه على نفسه. انتهى.

وفي الكشاف: وقال مجاهد: كل نبي فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنون إخوة لان النبي ﷺ أبوهم في الدين. انتهى.

ومنه الحديث المستفاد من الآية كما في الدر المنثور مرفوعا عن جابر عن النبي ﷺ أنه كان يقول: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فأيما رجل مات وترك دينا فإلي، ومن ترك مالا فهو لورثته. انتهى.

وكما في مسند ابن حنبل وسنن النسائي والدر المنثور عن بريدة قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت عليا فتنقصته، فرأيت وجه رسول الله ﷺ تغير، وقال: يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه. انتهى.

وفى الاحتجاج عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في حديث طويل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، من كنت أولى به من نفسه فأنت أولى به من نفسه، وعليٌّ بين يديه في البيت. انتهى.

ومنه قوله عليه السلام في نهج البلاغة: فأعينوني بمناصحة خلية من الغش سليمة من الريب، فوالله إني لأولى الناس بالناس. انتهى.

قوله (وأزواجه أمهاتهم) أي وأزواج النبي ﷺ أمهات للمؤمنين، والمراد حرمة التزويج بهن من بعد وفاة الرسول ﷺ حرمة تأبيدية، لأن الله جعلهن بمنزلة أمهاتهم فهو جعل تشريعي، قال الله تعالى في السورة نفسها: (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) [الأحزاب ٥٣].

قال في الكشاف: وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: لسنا أمهات النساء، تعني أنهن إنما كن أمهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم، والدليل على ذلك أن هذا التحريم لم يتعد إلى بناتهن، وكذلك لم يثبت لهن سائر أحكام الأمهات. انتهى.

وفي سنن البيهقي: عن عائشة أن امرأة قالت لها: يا أمه، فقالت: أنا أم رجالكم، لست بأمك. انتهى.

قال الشيخ الطبرسي: فعلى هذا لا يجوز أن يقال لإخوانهن وأخواتهن، أخوال المؤمنين، وخالات المؤمنين، قال الشافعي: تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر، ولم يقل هي خالة المؤمنين. انتهى.

قوله (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) المقصود بذوي الأرحام الذين يتصلون بالقرابة النسبية فهم أولى ببعض في التوارث، والكلام ناسخ لما كان يعمل به في أول الهجرة من التوارث بالمؤاخاة والولاية.

قوله (في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) الظرف قيد تأكيدي، وكتاب الله يحتمل معنى كونه حكما منزلا من الله تعالى في القرآن أو اللوح المحفوظ، و(من) تبيينية، ولفظ المؤمنين بمعنى المؤمنين غير المهاجرين.

وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام: وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)، وقوله تعالى (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين)، فنحن مرة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة. انتهى.

قوله (إلاّ أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا) الاستثناء منقطع، وفعل المعروف إلى الأولياء بمعنى الوصية لمن أحب بشيء من التركة حد الثلث.

قوله (كان ذلك في الكتاب مسطورا) اسم الإشارة إلى حكم نسخ الميراث بالهجرة، و(في) للملابسة المجازية، وتعريف الكتاب يراد به اللوح المحفوظ أو القرآن، والمسطور المكتوب في سطور.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ ﴾

قوله (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) إذ: الظرفية متعلقة بفعل محذوف تقديره: واذكر يا محمد، وأخذ الميثاق كناية عن القسم بأداء كمال العهد، وهو من النبيين بمعنى كمال التبليغ والصدق في الدعوة بأن يصدق اللاحق السابق ويتبعه على أن الدين واحد، و(من) حرف ابتداء، ويبدو أن هذا الأخذ مأخوذ منهم في عالم المثال والذر، فعن عبد الله بن عباس: قال: قيل: يا رسول الله متى أخذ ميثاقك؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. انتهى.

قوله (ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) خصوصية ذكر هؤلاء الأسماء الخمسة من بين النبيين، لأنهم أصحاب شريعة، ولذلك روعي في ترتيبهم الأسبقية الزمنية، وإنما قدم الرسول ﷺ لشرفه عند الله عليهم، و(من) في الكلام تفيد ابتداء الغاية.

قوله (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) إعادة فعل الأخذ لتأكيد الخصوص بعد إيراد العموم، والضمير في (منهم) عائد إلى النبيين الخمسة صلوات الله عليهم، والميثاق الغليظ العهد المؤكد على كمال التبليغ بالرسالة، وصفة الغليظ مستعارة من وصف الأعيان والمراد عظم الميثاق وجلال شأنه.

قوله تعالى ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾

قوله (ليسئل الصادقين عن صدقهم) جملة تعليل لأخذ الميثاق، أي: ليسأل الله الأنبياء الصادقين عن صدقهم في كمال انطباق دعوة التبليغ على العمل في الحياة الدنيا ومصداقها في أممهم، وهو مضمون أخذ الميثاق على النبيين، والكلام قريب من معنى قوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) [المائدة ١٠٩].

وقيل ليسأل الله أمم الأنبياء من الصادقين في توحيد الله وعدله عمن قصدوا بصدقهم، أ قصدوا به وجه الله أم قصدوا به غيره، والأول أوفق للسياق.

قوله (وأعد للكافرين عذابا أليما) الإعداد التهيئة، وكونه للعذاب يفيد منتهى المبالغة في التهديد، واللام المقترن بلفظ الكافرين للاختصاص، وصفة العذاب بالأليم مبالغة في الألم يراد به المؤلم، والعدول عن التعليل إلى الإخبار فلم يقل: وليعد للكافرين عذابا أليما، لأن عذاب الكافرين ليس علة

غائية لأخذ الميثاق من النبيين، بل لأنه مجازاة على ابتداء الكافرين بكفرهم.

قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) لما ذكر الميثاق ووجوب حفظه، ذكر ما يتصل به من مصاديق كمال تأديته لبعض المؤمنين، وبالضد من الخائنين لعهودهم وذلك في غزوة الخندق وما يليها.

والنداء للمؤمنين زمن الرسول ﷺ في المدينة وقت غزوة الخندق، والأمر بذكر نعمة الله لاستحضار المنة دائما، وإفراد النعمة دون ذكر جمعها لتعظيمها لأن مفردها مجموعة غير منتهية من النعم، وهي نصرتهم بدفع الأحزاب عنهم يوم الخندق.

قوله (إذ جاءتكم جنود) إذ الظرفية متعلقة بـ (اذكروا)، بمعنى حين، ومجيء الجنود يراد بهم الأحزاب المتحالفة على قتال النبي ﷺ بعد وقعة أحد، وتنكير الجنود للتكثير، لأنهم كانوا طوائف شتى من قبائل مختلفة محيطين بهم من غطفان وكنانة والأحابيش ويهود بني قريظة والنضير.

قوله (فأرسلنا عليهم ريحا) الفاء للتفريع، والإرسال مجاز في تسليط الله على الجنود ريحا عاتية اقتلعت معسكرهم، وحرف الاستعلاء في (عليهم)

لإفادة تمكن الريح منهم، والريح الهواء الشديد، وتنكيره للنوعية، لأنها كانت ريح الصبا باردة في ليال شاتية، وفي الحديث المشهور عن الرسول ﷺ: نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور. ذكر في الكشاف. انتهى.

قوله (وجنودا لم تروها) أي: وأرسل جنودا ملائكة غير مرئيين لتشجيع المؤمنين وتخذيل المشركين، وجملة (لم تروها) بمعنى نفي الرؤية العينية، وموقعها الصفة.

قوله (وكان الله بما تعملون بصيرا) الخطاب للمؤمنين في مضمونه الترغيب في إثابة المؤمنين الثابتين، والترهيب في تحذير المتخاذلين.

وذكرت قصة الأحزاب في كتب التاريخ والتفاسير متفرقة، فقد وردت في تفسير القمي والدر المنثور، وفي المجمع ذكرت قصة يوم الخندق في حديث مفصل، وفي نقله فائدة قال: ذكر محمد بن كعب القرظي وغيره من أصحاب السير قالوا: كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحيى بن أخطب في جماعة من بنى النضير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليهم حتى نستأصلهم، فقالت لهم قريش: يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول فديننا خير أم دين محمد؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه فأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله فيهم (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا - إلى قوله - وكفى بجهنم سعيرا)، فسر قريشا ما قالوا، ونشطوا لما دعوهم إليه، فأجمعوا لذلك

واتعدوا له، ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون عليه وأن قريشا قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم. فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر في فزارة، والحارث بن عوف في بني مرة، ومسعر بن جبلة الأشجعي فيمن تابعه من الأشجع، وكتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد فأقبل طليحة فيمن اتبعه من بنى أسد وهما حليفان أسد وغطفان، وكتب قريش إلى رجال من بني سليم، فأقبل أبو الأعور السلمي فيمن اتبعه من بنى سليم مددا لقريش. فلما علم بذلك رسول الله ﷺ ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار إليه سلمان الفارسي، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حر قال: يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون حتى أحكموه. فمما ظهر من دلائل النبوة في حفر الخندق ما رواه أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال: حدثني أبي عن أبيه قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب أربعين ذراعا بين عشرة، فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، وكان رجلا قويا فقال الأنصار: سلمان منا، وقال المهاجرون: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت، قال عمرو بن عوف: فكنت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن وستة من الأنصار نقطع أربعين ذراعا، فحفرنا حتى إذا بلغنا الثرى أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا

فقلنا: يا سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ فأخبره عن الصخرة فأما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب، وأما أن يأمرنا فيه بأمره، فإنا لا نحب أن نجاوز خطه، فرقى سلمان حتى أتى رسول الله ﷺ وهو مضروب عليه قبة فقال: يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء من الخندق مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحك فيها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك، فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق، وأخذ المعول وضرب بها ضربة فلمعت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها يعني لابتي المدينة حتى لكأن مصباحا في جوف ليل مظلم فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح، فكبر المسلمون، ثم ضرب ضربة أخرى فلمعت برقة أخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى. فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي أرى؟ فقال: أما الأولى فإن الله عز وجل فتح علي بها اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق، فاستبشر المسلمون بذلك، وقالوا: الحمد لله موعد صادق، قال: وطلعت الأحزاب، فقال المؤمنون: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، وقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يحدثكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر في يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا. ومما ظهر فيه أيضا من آيات النبوة ما رواه أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن عبد الواحد بن أيمن المخزومي قال حدثني أيمن المخزومي قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: كنا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كدية وهي الجبل فقلنا: يا رسول

الله إن كدية عرضت فيه فقال رسول الله ﷺ رشوا عليها ماء ثم قام وأتاها وبطنه معصوب الحجر من الجوع فأخذ المعول أو المسحاة فسمى ثلاثا ثم ضرب فعادت كثيبا أهيل فقلت: ائذن لي يا رسول الله إلى المنزل ففعل فقلت للمرأة هل عندك من شيء؟ فقالت: عندي صاع من شعير وعناق فطحنت الشعير فعجنته وذبحت العناق وسلختها وخليت بين المرأة وبين ذلك. ثم أتيت رسول الله ﷺ فجلست عنده ساعة ثم قلت: ائذن لي يا رسول الله ففعل فأتيت المرأة فإذا العجين واللحم قد أمكنا فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: إن عندنا طعيما لنا فقم يا رسول الله أنت ورجلان من أصحابك فقال: وكم هو؟ فقلت: صاع من شعير وعناق فقال للمسلمين جميعا: قوموا إلى جابر فقاموا فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله فقلت: جاء بالخلق إلى صاع شعير وعناق. فدخلت على المرأة وقلت: قد افتضحت جاءك رسول الله ﷺ بالخلق أجمعين فقالت: هل كان سألك كم طعامك؟ قلت: نعم. فقالت: الله ورسوله أعلم قد أخبرناه ما عندنا فكشفت عني غما شديدا، فدخل رسول الله ﷺ فقال: خذي ودعيني من اللحم فجعل رسول الله ﷺ يثرد ويفرق اللحم ثم يحم هذا ويحم هذا، فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا، ثم قال رسول الله ﷺ: كلي واهدي فلم نزل نأكل ونهدي قومنا أجمع. أورده البخاري في الصحيح.

قالوا: ولما فرغ رسول الله من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل

تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هناك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام، وخرج عدو الله حيي بن أخطب النظيري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب بني قريظة وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك، فلما سمع كعب صوت ابن أخطب أغلق دونه حصنه. فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه يا كعب افتح لي فقال: ويحك يا حيي إنك رجل مشؤم، إني قد عاهدت محمدا ولست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلاّ وفاء وصدقا، قال: ويحك افتح لي حتى أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: إن أغلقت دوني إلاّ على جشيشة تكره أن آكل منها معك، فاحفظ الرجل ففتح له فقال: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها وبغطفان على سادتها وقادتها، قد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه، فقال كعب: جئتني والله بذل الدهر بجهام قد اهراق ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شيء فدعني ومحمدا وما أنا عليه، فلم أر من محمد إلاّ صدقا ووفاء، فلم يزل حيي بكعب يفتل منه في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهدا وميثاقا، لئن رجعت قريش وغطفان، ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب عهده وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله ﷺ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ بعث سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بنى عبد الأشهل وهو

يومئذ سيد الأوس وسعد بن عبادة أحد بنى ساعدة ابن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات ابن جبير فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فان كان حقا فالحنوا لنا لحنا نعرفه ولا تفتوا أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس. وخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث مما بلغهم عنهم. قالوا: لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد، فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه، وقال سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمتهم فإن ما بيننا وبينهم أعظم من المشاتمة. ثم أقبلوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: عضل والقارة - لغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله خبيب بن عدي وأصحابه أصحاب الرجيع - فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين، وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن وظهر النفاق من بعض المنافقين، فأقام رسول الله، وأقام المشركون عليه بضعا وعشرين ليلة، لم يكن بينهم قتال إلاّ الرمي بالنبال، إلاّ أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود أخو بني عامر ابن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بنى كنانة فقالوا: تهيؤا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان؟ ثم أقبلوا تعنق بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج

علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين، حتى أخذ عليهم الثغرة التي منها اقتحموا وأقبلت الفرسان نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود فارس قريش، وكان قد قاتل يوم بدر حتى ارتث وأثبته الجراح ولم يشهد أحدا، فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مشهده، وكان يعد بألف فارس وكان يسمى فارس يليل، لأنه أقبل في ركب من قريش حتى إذا كانوا بيليل - وهو واد قريب من بدر - عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لأصحابه: امضوا فمضوا فقام في وجوه بنى بكر حتى منعهم أن يصلوا إليه فعرف بذلك. وكان اسم الموضع الذي حفر فيه الخندق المذاد وكان أول من طفره عمرو وأصحابه فقيل في ذلك: عمرو بن عبد كان أول فارس جزع المذاد وكان فارس يليل. وذكر ابن إسحاق أن عمرو بن عبد ود كان ينادي: من يبارز؟ فقام علي وهو مقنع في الحديد فقال: أنا له يا نبي الله، فقال: إنه عمرو، اجلس. ونادى عمرو: ألا رجل؟ وهو يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها؟ فقام علي فقال: أنا له يا رسول الله، ثم نادى الثالثة فقال:

ولقد بححت عن النداء بجمعكم هل من مبارز؟

ووقفت إذ جبن المشجع موقف البطل المناجز

إن السماحة والشجـــــــــــاعة في الفتى خير الغرائز

فقام علي فقال: يا رسول الله أنا له، فقال: انه عمرو، فقال: وإن كان عمروا فاستأذن رسول الله ﷺ فأذن له.

وفيما رواه لنا السيد أبو محمد الحسيني القايني عن الحاكم أبي القاسم الحسكاني بالإسناد عن عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن جده، عن حذيفة قال: فألبسه رسول الله ﷺ درعه (ذات الفضول)، وأعطاه سيفه (ذا الفقار)، وعممه عمامته (السحاب)، على رأسه تسعة أكوار، ثم قال له: تقدم. فقال لما ولى: (اللهم احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه). قال ابن إسحاق: فمشى إليه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز

انى لأرجو أن أقيم عليك ناحية الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

قال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فقال: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فإني أكره أن أهريق دمك، فقال علي: لكني والله ما أكره أن أهريق دمك، فغضب عمرو ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضبا فاستقبله على بدرقته فضربه عمرو بالدرقة، فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه، وضربه علي على حبل العاتق فسقط، وفى رواية حذيفة: وتسيف على رجليه بالسيف من أسفل فوقع على قفاه وثارت بينهما عجاجة، فسمع علي يكبر، فقال رسول الله ﷺ: قتله والذي نفسي بيده، فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن

الخطاب، فإذا علي يمسح سيفه بدرع عمرو. فكبر عمر بن الخطاب وقال: يا رسول الله قتله، فحز علي رأسه، وأقبل نحو رسول الله، ووجهه يتهلل، فقال عمر بن الخطاب: هلا استلبته درعه، فإنه ليس للعرب درع خير منها؟ فقال: ضربته فاتقاني بسوأته، فاستحييت ابن عمي أن أستلبه، قال حذيفة: فقال النبي ﷺ: أبشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمد لرجح عملك بعملهم، وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلاّ وقد دخله وهن بقتل عمرو، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلاّ وقد دخله عز بقتل عمرو. وعن الحاكم أبى القاسم أيضا بالإسناد عن سفيان الثوري عن زبيد الثاني عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال: كان يقرأ (وكفى الله المؤمنين القتال بعلي)، وخرج أصحابه منهزمين حتى طفرت خيولهم الخندق، وتبادر المسلمون فوجدوا نوفل بن عبد العزى جوف الخندق، فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم: قتلة أجمل من هذه ينزل بعضكم أقاتله فقتله الزبير بن العوام، وذكر ابن إسحاق: أن عليا طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فمات في الخندق. وبعث المشركون إلى النبي ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف فقال النبي: هو لكم لا نأكل ثمن الموتى، وذكر علي أبياتا منها:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ... ونصرت رب محمد بصواب

فضربته وتركته متجدلا ... كالجذع بين دكادك ورواب

وعففت عن أثوابه لو أنني ... كنت المقطر بزّنى أثوابي

قال ابن إسحاق: ورمى حنان بن قيس بن العرفة سعد بن معاذ بسهم وقال: خذها وأنا ابن العرفة فقطع أكحله فقال سعد: عرف الله وجهك في النار اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة. قال: وجاء نعيم بن مسعود الأشجعي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت ولم يعلم بي أحد من قومي فمرني بأمرك، فقال له النبي ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعة، فانطلق نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة فقال لهم: إني لكم صديق، والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة إن البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، وإنما قريش وغطفان بلادهم غيرها، وإنما جاؤوا حتى نزلوا معكم، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا حتى تأخذوا رهنا من أشرافهم، تستوثقون به، أن لا يبرحوا حتى يناجزوا محمدا. فقالوا له: قد أشرت برأي. ثم ذهب فأتى أبا سفيان وأشراف قريش فقال: يا معشر قريش إنكم قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمدا ودينه، وإني قد جئتكم بنصيحة فاكتموا علي، فقالوا: نفعل ما أنت عندنا بمتهم، قال: تعلمون أن بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد، فبعثوا إليه أنه لا يرضيك عنا إلاّ أن نأخذ من القوم رهنا من أشرافهم وندفعهم إليك فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك عليهم حتى نخرجهم من بلادك، فقال:

بلى فإن بعثوا إليكم يسألونك نفرا من رجالكم فلا تعطوهم رجلا واحدا واحذروا. ثم جاء غطفان وقال: يا معشر غطفان إني رجل منكم، ثم قال لهم ما قال لقريش، فلما أصبح أبو سفيان وذلك يوم السبت في شوال سنة خمس من الهجرة بعث إليهم أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش أن أبا سفيان يقول لكم: يا معشر اليهود إن الكراع والخف قد هلكا وإنا لسنا بدار مقام فاخرجوا إلى محمد حتى نناجزه، فبعثوا إليه أن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم نستوثق بهم، لا تذهبوا وتدعونا حتى نناجز محمدا. فقال أبو سفيان: والله لقد حذرنا هذا نعيم فبعث إليهم أبو سفيان: إنا لا نعطيكم رجلا واحدا فإن شئتم أن تخرجوا وتقاتلوا وإن شئتم فاقعدوا، فقالت اليهود: هذا والله الذي قال لنا نعيم. فبعثوا إليهم إنا والله لا نقاتل حتى تعطونا رهنا، وخذّل الله بينهم، وبعث سبحانه عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد حتى انصرفوا راجعين، قال محمد بن كعب قال حذيفة بن اليمان: والله لقد رأيتنا يوم الخندق وبنا من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه إلاّ الله، وقام رسول الله ﷺ يصلي ما شاء الله من الليل ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم يجعله الله رفيقي في الجنة، قال حذيفة: فوالله ما قام منا أحد مما بنا من الخوف والجهد والجوع، فلما لم يقم أحد دعاني فلم أجد بدا من اجابته، قلت: لبيك قال: اذهب فجئ بخبر القوم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع، قال: وأتيت القوم فإذا ريح الله وجنوده تفعل بهم ما تفعل ما يستمسك لهم بناء ولا تثبت لهم نار ولا يطمئن لهم قدر فإني لكذلك إذ خرج أبو

سفيان من رحله ثم قال: يا معشر قريش لينظر أحدكم من جليسه، قال حذيفة: فبدأت بالذي عن يميني فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان، ثم عاد أبو سفيان براحلته فقال: يا معشر قريش والله ما أنتم بدار مقام هلك الخف والحافر، وأخلفتنا بنو قريظة، وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء ثم عجل فركب راحلته، وإنها لمعقولة ما حل عقالها إلاّ بعد ما ركبها قال: قلت في نفسي: لو رميت عدو الله وقتلته كنت قد صنعت شيئا فوترت قوسي ثم وضعت السهم في كبد القوس، وأنا أريد أن أرميه فأقتله فذكرت قول رسول الله ﷺ لا تحدثن شيئا حتى ترجع. قال فحططت القوس ثم رجعت إلى رسول الله وهو يصلي فلما سمع حسي فرج بين رجليه فدخلت تحته، وأرسل على طائفة من مرطه فركع وسجد ثم قال: ما الخبر؟ فأخبرته. وعن سليمان بن صرد قال: قال رسول الله ﷺ حين أجلى عنه الأحزاب: الآن نغزوهم ولا يغزوننا فكان كما قال، فلم يغزهم قريش بعد ذلك وكان هو يغزوهم حتى فتح الله عليهم مكة. انتهى.

وفى المجمع أيضا روى الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: لما انصرف النبي ﷺ عن الخندق ووضع عنه اللامة واغتسل واستحم تبدى له جبريل فقال: عذيرك من محارب ألا أراك أن قد وضعت عنك اللامة وما وضعناها بعد. فوثب رسول الله ﷺ فزعا فعزم على الناس أن لا يصلوا صلاة العصر حتى يأتوا قريظة فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس واختصم الناس فقال بعضهم: ان رسول الله عزم علينا أن لا نصلي حتى نأتي قريظة فإنما نحن في عزمة

رسول الله ﷺ فليس علينا اثم، وصلى طائفة من الناس احتسابا وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها حين جاؤوا بني قريظة احتسابا فلم يعنف رسول الله ﷺ واحدا من الفريقين، وذكر عروة أنه بعث علي بن أبي طالب على المقدم ودفع إليه اللواء وأمره أن ينطلق حتى يقف بهم على حصن بني قريظة ففعل وخرج رسول الله على آثارهم، فمر على مجلس من الأنصار في بنى غنم، ينتظرون رسول الله ﷺ فزعموا أنه قال: مر بكم الفارس آنفا فقالوا: مر بنا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج فقال رسول الله ﷺ: ليس ذلك بدحية ولكنه جبرائيل أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب. قالوا: وسار علي حتى إذا دنا من الحصن سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق فقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: أظنك سمعت لي منهم أذى؟ فقال: نعم يا رسول الله فقال: لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا، فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال: يا اخوة القردة والخنازير، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ فقالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولا. وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب، وكان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت قريش وغطفان، فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم. قالوا: ما هن؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد

تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على دمائكم وأموالكم ونسائكم. قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدا، ولا نستبدل به غيره. قال: فإذا أبيتم على هذا فهلموا فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا يهمنا، وإن نظهر لنجدن النساء والأبناء، فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين؟ فما خير في العيش بعدهم. قال: فإن أبيتم علي هذه فإن الليلة ليلة السبت وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا، فعلّنا نصيب منهم غرة فقالوا: نفسد سبتنا؟ ونحدث فيه ما أحدث من كان قبلنا فأصابهم ما قد علمت من المسخ؟ فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما. قال الزهري: وقال رسول الله ﷺ حين سألوه أن يحكم فيهم رجلا: اختاروا من شئتم من أصحابي، فاختاروا سعد بن معاذ، فرضي بذلك النبي ﷺ فنزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأمر رسول الله ﷺ بسلاحهم فجعل في قبته، وأمر بهم فكتفوا وأوثقوا وجعلوا في دار أسامة، وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ، فجئ به فحكم فيهم بأن يقتل مقاتلوهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم وتغنم أموالهم، وأن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار وقال للأنصار: إنكم ذو عقار وليس للمهاجرين عقار، فكبر رسول الله ﷺ وقال لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل، وفى بعض الروايات: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة - وأرقعة جمع رقيع اسم سماء الدنيا. فقتل رسول الله مقاتليهم، وكانوا فيما زعموا ستمائة مقاتل، وقيل: قتل منهم أربعمائة

وخمسين رجلا وسبى سبعمائة وخمسين، وروي أنهم قالوا لكعب بن أسد وهو يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ ارسالا: يا كعب ما ترى يصنع بنا؟ فقال كعب: أفي كل موطن تقولون؟ ألا ترون أن الداعي لا ينزع ومن يذهب منكم لا يرجع، هو والله القتل، وأُتي بحيي بن أخطب عدو الله عليه حلة فاختية قد شقها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة لئلا يسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما بصر برسول الله ﷺ فقال: أما والله ما لمت نفسي على عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم قال: يا أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب الله وقدره ملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضرب عنقه، ثم قسم رسول الله ﷺ نساءهم وأبناءهم وأموالهم على المسلمين وبعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الأنصاري فابتاع بهم خيلا وسلاحا، قالوا: فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فرجعه رسول الله ﷺ إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد. وروي عن جابر بن عبد الله قال: جاء جبرائيل إلى رسول الله ﷺ فقال: من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ قد قبض. انتهى.

وفي تفسير القمي: فاخرج كعب بن أسيد مجموعة يداه إلى عنقه فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال له: يا كعب أما نفعك وصية ابن الحواس الحبر الذكي الذي قدم عليكم من الشام فقال: تركت الخمر والخمير وجئت إلى البؤس والتمور لنبي يبعث مخرجه بمكة ومهاجرته في هذه البحيرة يجتزي بالكسيرات والتميرات، ويركب الحمار العاري، في عينيه حمرة، وبين

كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه، لا يبالي من لاقى منكم، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر، فقال: قد كان ذلك يا محمد، ولولا أن اليهود يعيرونّي أني جزعت عند القتل لآمنت بك وصدقتك، ولكني على دين اليهود عليه أحيا وعليه أموت، فقال رسول الله ﷺ: قدموه واضربوا عنقه فضربت، وفيه أيضا: فقتلهم رسول الله ﷺ في البردين بالغداة والعشي في ثلاثة أيام وكان يقول: اسقوهم العذب وأطعموهم الطيب وأحسنوا أساراهم حتى قتلهم كلهم، فأنزل الله عز وجل فيهم: (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم - إلى قوله - وكان الله على كل شيء قديرا). انتهى.

قوله تعالى ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾

قوله (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم) العامل في (إذ) قوله: واذكروا، والخطاب للمؤمنين، والظرفان المتقابلان لإفادة إحاطة المتحزبين وتمكنهم من المؤمنين، فالذين جاؤوهم من فوقهم أي من فوق الوادي جهة المشرّق، وهم قريظة اليهود وغطفان، وأما الذين جاؤوهم من أسفل منهم فهم من جهة المغرب ناحية مكة وهم أبو سفيان ومن تبعه من أعراب القبائل ومن استأجرهم من الأحابيش.

قوله (وإذ زاغت الأبصار) أي: واذكروا إذ، والزيغ الميل، وزيغ الأبصار بمعنى ميلها عن كل شيء وثباتها في النظر إلى العدو، والأبصار جمع

بصر وهو آلة الإبصار، والكلام كناية عن شدة الحيرة والدهشة النابعين من الخوف.

قوله (وبلغت القلوب الحناجر) التركيب كناية عن شدة الهلع، أي: ووصلت القلوب لشدة هلعها جوف الحلقوم، كأنها خلعت مكانها فأصبحت دقاتها تسمع قريبة من المسامع، وذلك يكون وقت الخوف الشديد، وقال الفراء في معنى الكناية: أنهم جبنوا، وجزع أكثرهم، وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن ينتفخ سحره، والسحر: الرئة، فإذا انتفخت الرئة، رفعت القلوب إلى الحنجرة. انتهى.

وفي الخبر المروي: قال أبو سعيد الخدري: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله، هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر؟ فقال: قولوا اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، قال: فقلناها فضرب الله عز وجل وجوه أعدائه بالريح فهزمهم. ذكر في مسند ابن حنبل. انتهى.

قوله (وتظنون بالله الظنونا) أي: واختلفت ظنونكم بالله بين منافق متخاذل شاك، يعتقد عودة الجاهلية، وذهاب الإسلام، وبين ضعيف في الإيمان، مضطرب الجنان، والظن الشك، واشتقاق المفعول منه لإفادة مطلق نوعية الشكوك، والباء للتعدية بمعنى (في) أي: تشكون بنصر الله وتأييده.

قوله تعالى ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ١١ ﴾

قوله (هنالك ابتلي المؤمنون) اسم الإشارة للبعيد يراد به موقف المؤمنين في ذلك اليوم العصيب من غزوة الخندق، والابتلاء الاختبار من الله والامتحان لمعرفة حقيقة الإيمان ومدى ثبات القلوب عليه.

قوله (وزلزلوا زلزالا شديدا) فعل الزلزال واشتقاق المفعول منه لإفادة شدة اضطراب النفوس المؤمنين من ذلك الموقف فهم بين من اضطرب خائفا على نفسه من القتل، وبين من اضطرب عليه دينه.

ولفظ الشديد صفة للزلزال، والشدة القوة غير أنها كما ذكر الشيخ الطوسي في التبيان: والشدة قوة تدرك بالحاسة، لان القوة التي هي القدرة لا تدرك بالحاسة، وإنما تعلم بالدلالة، فلذلك يوصف تعالى بأنه قوي، ولا يوصف بأنه شديد. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾

قوله (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) المنافقون الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، والذين في قلوبهم مرض استعارة لضعفة الإيمان الذي تهتز قلوبهم لأول عارض خطر.

قوله (ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غرورا) مقول القول لذلك فصل الكلام، والكلام مؤكد بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء على الحكاية، والغرور إراءة الشر في صورة الخير، أو تصوير المكروه في صورة المحبوب،

والتصريح بلفظ الرسول لأنهم متظاهرون في الإسلام، والوعد الذي سماه المنافقون غرورا هو الوعد بالفتح كما في الروايات المؤيدة لذلك فقد قال المنافقون مستخفين بأن الرسول ﷺ يعدهم الباطل ويخبرهم أنه يبصر في يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لهم بينما هم يحفرون الخندق ولا يستطيعون أن يبرزوا.

وقيل إن القائل من المنافقين رجل اسمه معتب بن قشيرة، قال في التبيان: وقال العتابي: ليس عاقل يقول: إن الله وعد غرورا، لكنهم لما كذبوا رسوله وشكوا في خبره، فكأنهم كذبوا الله، وإذا نسبوا الرسول بأنه غرهم فقد نسبوا الله إلى ذلك في المعنى، وإن لم يصرحوا به. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾

قوله (وإذ قالت طائفة منهم) والطائفة المجموعة من الناس، و(من) في (منهم) للتبعيض، وضمير الغائبين راجع إلى المنافقين.

قوله (يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا) أي: يا أهل المدينة لا مكان لإقامتكم هنا، لأن الغلبة ليست لكم، فارجعوا إلى بيوتكم.

ويثرب اسم المدينة قبل أن يغير اسمها الرسول ﷺ بعد الهجرة إليها، والفاء في (فارجعوا) لتفريع الأمر على النفي.

والكلام من البديع القرآني الذي وقع اتفاقا على وزن الخفيف المقطوع التفعيلة الثالثة، وأخذها بشر بن حذلم حين نعى الإمام الحسين (عليه السلام) في المدينة بعد رجوع السبايا بتوجيه من الإمام زين العابدين (عليه السلام) فقال:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها   قتل الحسين فأدمعي مدرار

الجسم منه مضرج في كربلا   والرأس منه على القناة يدار

قوله (ويستأذن فريق منهم النبي) أي: ويطلب بعض المنافقين والذين في قلوبهم مرض الإذن من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرجوع، ودلالة مضارع الاستئذان إلحاح طلب الإذن من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم تصرح الآية باستجابة الرسول لهم.

قوله (يقولون إن بيوتنا عورة) فصل الكلام لأنه تعليل للاستئذان، وهو تعللهم بأنهم يريدون حماية بيوتهم لأنها مكشوفة غير مؤمنة، ولفظ العورة كما قيل: كل شيء يتخوف منه في ثغر، أو حرب، ومكان معور، ودار معورة: إذا لم تكن حريزة.

قوله (وما هي بعورة) جملة النفي المؤكد تكذيب من الله للمنافقين المتعللين لأن المدينة محصنة بالخندق وجيش المسلمين، فعن الصادق (عليه السلام): بل هي رفيعة السمك حصينة.

قوله (إن يريدون إلاّ فرارا) جملة تأكيد بالقصر، أي: ما يريدون إلا فرارا، والإرادة للعزم على الفعل، والفرار أصله الكشف، ويراد به الانهزام من احتمال القتل للنجاة بالنفس على تقديرهم.

قوله تعالى ﴿ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ١٤ ﴾

قوله (ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها) جملة الافتراض لبيان حال المنافقين ومرضى القلوب، والمعنى: إن جنود المشركين لو دخلوا عليهم المدينة من كل جانب وسألوهم الردة لأطاعوهم غير متباطئين.

وضمائر جمع الغائبين عائدة على المنافقين ومرضى القلوب، وفعل الدخول مناسبة لمعاني الغزو والفتح، والضمير فيه راجع إلى المدينة أوفق من معنى رجوعه إلى البيوت، أي: دخل جنود الشرك المدينة، و(من) ابتدائية، والأقطار الأنحاء جمع قطر وهي أنسب إلى معنى المدينة منها إلى البيوت.

و(ثم) للتراخي الرتبي، والسؤال بمعنى العرض، والفتنة الردة إلى الكفر، واللام في (لأتوها) في جواب (لو)، والمراد بالإتيان الإجابة والطاعة، والهاء في الفعل راجع إلى العودة إلى الشرك المفهوم من لفظ الفتنة.

قوله (وما تلبثوا بها الا يسيرا) أي: ما تأخروا في إطاعة المشركين إلا زمانا قليلا.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾

قوله (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) القسم والتحقيق لتأكيد خيانة عهد الله من المنافقين، وخيانة العهد بمعنى حنثهم بيمينهم على الإيمان بالله ورسوله وعلى الجهاد في سبيله، لكنهم خانوا العهد في أحد وانسحبوا وخذلوا المسلمين.

قوله (لا يولون الأدبار) جملة النفي تفسير لفعل المعاهدة، أي: لا ينهزموا من ساحة قتال الأعداء، والتولية الإعراض، والأدبار الظهور، أي: لا يعطوا ظهورهم لأن المنهزم يكون منه ذلك.

قوله (وكان عهد الله مسؤلا) الإخبار مضمونه التهديد، أي: من يعط العهد على نفسه أمام ربه يكن محاسبا عليه.

قوله تعالى ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾

قوله (قل لن ينفعكم الفرار من الموت أو القتل) الكلام رد من الله على قول المنافقين (إن بيوتنا عورة)، و(لن) للنفي التأبيدي، لأن نفع الفرار مؤقت في حكم المعدوم، وإسناد النفع إلى الفرار على سبيل المجاز العقلي للمبالغة، والموت يراد به حتف الأنف، والقتل بإزهاق الروح من الغير.

وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام: وإن الفار لغير مزيد في عمره، ولا محجوز بينه وبين يومه. انتهى.

قوله (وإذا لا تمتعون إلاّ قليلا) أي: وإن متعكم الفرار بتأخير الأجل فإن تمتعكم تمتيع قليل، لأنه محتوم في الآخر.

قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾

قوله (قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة) الاستفهام للإنكار، أي: لا أحد يمنعكم من إرادة الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة، لأن أمرهما موكول إليه سبحانه، فالنفع يسأل منه والضر يدفع به، وليس من عوارض زائلة، والعصمة المنع، و(من) ابتدائية، وفعل الإرادة بمعنى قضائه سبحانه الذي لا يرد ولا يبدل، والباء في (بكم) للملابسة، ومقابلة السوء بالرحمة لإفادة أنه سوء خاص ينزل بهم لعصيانهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) أي: تطلب الولاية والنصرة من الله وحده، وبغير ذلك ليس لهم من ينصرهم أو يدفع عنهم، وفي الكلام عدول من مخاطبة المنافقين إلى إخبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لإفادة تجاهلهم وتهديدهم.

قوله تعالى ﴿ ۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨ ﴾

قوله (قد يعلم الله المعوقين منكم) قد هنا تفيد تحقيق معنى الفعل، بمعنى إن الله ليعلم المعوقين من المنافقين، والمعوقون هم المثبطون لعزائم المسلمين عن القتال ببث الشائعات وتخذيل الهمم، و(من) في (منكم) للتبعيض.

قوله (والقائلين لإخوانهم هلم إلينا) المراد بـ (إخوانهم) إخوانهم في النفاق وضعف الإيمان، لأنهم قرناء في ذلك، فقد كانوا يقولون: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه فخلوهم، واسم الفعل (هلم) بمعنى انضم إلينا وأقبل علينا.

قوله (ولا يأتون البأس إلاّ قليلا) أي: ولا يحضرون القتال إلا حضورا قليلا لدفع الشبهة عن أنفسهم.

قوله تعالى ﴿ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٩ ﴾

قوله (أشحة عليكم) النص على الحال من (يأتون)، أي: بخلاء بنفوسهم على المسلمين، والأشحة جمع شحيح، والشح بخل مع حرص.

قوله (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك) الفاء للتفريع، ومجيء الخوف مجاز استعاري لحضور القتال الذي يحتمل فيه الموت فيخافون، وجملة (رأيتهم) جواب (إذا) الشرطية، والرؤية للبصر، والخطاب للرسول ﷺ، وهم إنما ينظرون إلى الرسول ﷺ لتعلق أبصارهم به من دون إرادة كأنهم يتفرسون في صنيع الرسول ﷺ.

قوله (تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) أي: لا تستقر عيونهم على حال لشدة الخوف كحال الذي نزل به الموت، والدوران الحركة من موضع إلى موضع، ودوران أعين الخائفين لأنهم يتوقعون مجيء ما يكرهون من كل جانب، والتشبيه بالذي يغشى عليه الموت لأن في نزع الروح انقلاب حدقات العيون، والغشيان أصله التغطية، ويراد به ذهاب العقل والوعي، والفعل استعارة من إحاطة أسباب الموت بمن نزلت فيه، وهي ساعة الاحتضار التي تشخص فيها العيون فلا تطرف. وحرف الاستعلاء في (عليه) لتمكن ملابسة الصفة من الموصوف، و(من) تفيد السبب.

ومن هذه الصورة القرآنية قول علي (عليه السلام): إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) الفاء للتفريع، وذهاب الخوف مجاز يراد به زوال أسبابه وهي الحرب والقتال، أي: إذا اطمأنوا على أنفسهم من القتل، والسلق الضرب والطعن، والباء المقترن بلفظ الألسنة للملابسة، واللفظ جمع لسان، والحداد جمع حاد، أي: نالوا منكم بكلام جارح قاطع، كحد السيف في أثره على ما غنمتم من خير، لأنهم بخلاء لا يريدون النفع لغير أنفسهم.

قوله (أشحة على الخير) النصب على الحال، أي: بخلاء على الخير الذي أصابه المسلمون.

قوله (أولئك لم يؤمنوا) اسم الإشارة لتمييزهم بما سيخبر عنهم من نفي استقرار الإيمان في نفوسهم.

قوله (فأحبط الله أعمالهم) الكلام مفرع على النفي، والإحباط الإسقاط، أي أذهب الله بثواب أعمالهم، فلا أثر لها عنده، ولا يترتب عليها أجر يوم القيامة.

قوله (وكان ذلك على الله يسيرا) اسم الإشارة إلى إحباط الأعمال، وهو سهل يسير على الله بتهيئة سبله للمنافقين تهيئة مجازاة لا ابتداء، فيحرموا من أجر التوحيد، ويعاقبوا على استبطان الكفر.

قوله تعالى ﴿ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ٢٠ ﴾

قوله (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) الكلام يراد به إظهار دواخل نفوس المنافقين وضعفة الإيمان، أي: يظنون لشدة خوفهم أن جماعات المشركين المتحزبة على الرسول ﷺ من قريش وغطفان وأسد واليهود لم ينهزموا بعد ولم يذهبوا عن المدينة.

قوله (وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب) أي: وإن يرجع الأحزاب إلى المدينة كرة ثانية يحبوا أن يكونوا في البدو خارج المدينة، ليتعللوا بذلك عن القتال، ولفظ البادين جمع باد، والبادي الخارج إلى البدو، والبدو سكان الخيم في الصحراء، الذين يتنقلون من مكان إلى آخر، طلبا للماء والكلأ، و(في) للتلبس الظرفي، والأعراب جمع لا مفرد له، وقيل مفرده أعرابي، وهم سكان المدر.

قوله (يسئلون عن أنبائكم) أي: يسألون عن أخباركم سؤال تمن بزوالكم وذهاب دولتكم، فهو سؤال ترصد لا سؤال محبة، والأنباء الأخبار المهمة.

قوله (ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا) أي: ولو افترض وجودهم فيما بين المسلمين واضطروا إلى البقاء لقتال الأحزاب ما قاتلوهم إلا قتال تعلة ورياء بقصد التمويه على المسلمين.

قوله تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

قوله (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) الكلام يراد به الحث على الجهاد والصبر عليه، و(لقد) قسم وتحقيق لأهمية الإخبار، ومضي الكون لإفادة الاستقرار والثبات في وجوب حكم الاقتداء بالرسول ﷺ، والخطاب في (لكم) لعموم المخاطبين من المسلمين، و(في) للتلبس الظرفي، أي: في مورد رسول الله، وذكر رسول الله لإفادة تعظيم الاقتداء، والأسوة القدوة، ووصفها بالحسنة، لأنها مما تزين من فعال المقتدي وتصلح من شأنه.

ومن هذا المعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام في الرسول ﷺ: فتأس بنبيك الأطيب الأطهر ﷺ، فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه والمقتص لأثره، ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) اللام في (لمن) للاختصاص، للإشارة إلى أن التأسي بالرسول ﷺ جميل حسن، لا يتم إلا لمن اتصف بالإيمان الحقيقي.

وجملة (من) وصلته بدل من (لكم)، ورجاء الله توقع ثوابه، ورجاء اليوم الآخر الاعتقاد به، وذكر الله دوام استحضاره تعالى في النفس حتى يكون منعة لها من الهلاك في المآثم.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (ولما رأى المؤمنون الأحزاب) رجوع بالكلام إلى وصف حال المؤمنين مقابل ما تقدم من صفة حال المنافقين في رؤية الأحزاب، وفي ضمنه التوبيخ للمنافقين لأنهم لم ينتفعوا بهذه القدوة، والمراد بالمؤمنين المتصفون بحقيقة الإيمان الخالص.

قوله (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) القول من المؤمنين دال على ثباتهم على الإيمان رغم شدة الموقف، واسم الإشارة لموقف حصار الأحزاب، ووعد الله والرسول ﷺ إشارة إلى ما أخبروا به من الابتلاء بالمحن، فقد قيل إنهم كانوا قد سمعوا قوله تعالى: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب) [البقرة ٢١٤].

قوله (وصدق الله ورسوله) أي: وصدق الله ورسوله في إنفاذ وعده.

قوله (وما زادهم إلاّ ايمانا وتسليما) أي: وما زادهم الابتلاء إلا إيمانا بالله ورسوله وتسليما لأمره تعالى في نصرة دينه.

قوله تعالى ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾

قوله (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) تفيد (من) التبعيض لا التبيين، وتنكير لفظ الرجال لتعظيم شأنهم، وجملة (صدقوا) محلها الصفة للرجال، وصدقهم بحسب سياق الآيات في ثباتهم على الإيمان، وعدم فرارهم في وقت ملاقاة العدو في محاذاة قوله تعالى في المنافقين (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار).

قوله (فمنهم من قضى نحبه) الفاء للتفريع، و(منهم) أي: من الرجال، وقضاء النحب كناية عن قضاء الأجل بموت أو قتل في سبيل الله، وأصل النحب على ما قال الراغب: النذر المحكوم بوجوبه، يقال: قضى فلان نحبه، أي: وفى بنذره. انتهى.

قوله (ومنهم من ينتظر) أي: ومن الرجال المؤمنين من ينتظر أجله في سبيل الله، وكلمة توحيده.

قوله (وما بدلوا تبديلا) أي: ثابتون على عهدهم في الإيمان والجهاد، ما غيروا قولهم، ولا بدلوا عهدهم.

وفي التبيان: روي أن الآية نزلت في حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فالذي قضى نحبه حمزة، وجعفر، والذي ينتظر علي عليه السلام. انتهى.

وفى المناقب لابن شهرآشوب وغيره: عن عمرو بن ثابت عن أبي إسحاق عن علي عليه السلام قال: فينا نزلت (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)، فأنا والله المنتظر ما بدلت تبديلا. انتهى.

ومن لطيف الإشارة إلى الآية (رجال صدقوا) قوله عليه السلام المذكور في نهج البلاغة: تالله لقد علمت تبليغ الرسالات، وإتمام العدات، وإتمام الكلمات. انتهى.

وفيه: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا احمر البأس وأحجم الناس قدم أهل بيته، فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة، فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر، وقتل حمزة يوم أحد، وقتل جعفر يوم مؤتة، وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة، ولكن آجالهم عجلت ومنيته أجلت، فيا عجبا للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي. انتهى.

قوله تعالى ﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٤ ﴾

قوله (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) اللام في فعل الجزاء للتعليل، والجزاء الإعطاء على الاستحقاق، ولفظ الصادقين يراد بهم المؤمنون الذين تقدم ذكرهم في صدق العهد، والباء المقترن بلفظ الصدق للسبب، أي: بسبب صدقهم.

قوله (ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) أي: وليعذب المنافقين إن شاء تعذيبهم، فيما لو لم يتوبوا، أو يتوب عليهم إن تابوا.

قوله (إن الله كان غفورا رحيما) جملة تذييل، والتصريح بلفظ الجلالة ومضي الكون لإفادة أن كثرة المغفرة والرحمة من شأنه سبحانه.

قوله تعالى ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥ ﴾

قوله (ورد الله الذين كفروا بغيظهم) أي: وأرجع الله الكافرين متلبسين بحنقهم وحقدهم.

قوله (لم ينالوا خيرا) جملة في موقع الحال، أي: ردهم الله في حال من الخيبة لم ينالوا فيما ظنوه خيرا من القضاء على النبي ﷺ والمؤمنين.

قوله (وكفى الله المؤمنين القتال) أي: وأغنى الله المؤمنين عن القتال، فلم يبتلوا به، والتصريح بلفظ الله، لأن ردهم وكفايته تعالى كانت بمعجزة بإرسال الريح العاصفة الباردة، وتسليطها على عسكر المتحزبين.

قوله (وكان الله قويا عزيزا) إظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار للتعظيم، والله تعالى قوي يقوى على ما يريد، وعزيز لا يغلب فيما يريد.

قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾

قوله (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم) التعبير بالإنزال دون الإخراج، لأن اليهود من بني قريظة كانوا متحصنين في قلاعهم وحصونهم العالية مشرفين منها على غيرهم، لذلك تعلق به الظرف (من صياصيهم) لأن الصيصية الحصن الذي يمتنع به، والإتيان بصفة المظاهرة دون التصريح بهم، لإفادة تقديم العلة على النتيجة، والمظاهرة المعاونة، وفاعل الفعل راجع إلى قريظة اليهود، والضمير (هم) راجع إلى المشركين، و(من) للتبيين، و(أهل الكتاب) اليهود أصحاب التوراة، و(من) الثانية ابتدائية.

قوله (وقذف في قلوبهم الرعب) القذف مجاز من إلقاء شدة الخوف في قلوب الخائنين من يهود قريظة.

قوله (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) أي: تقتلون رجالهم، وتأسرون ذراريهم.

قوله تعالى ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

قوله (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) فعل الإرث مجاز من الملك، أي: ملك الله المؤمنين أرض اليهود وديارهم وأموالهم.

قوله (وأرضا لم تطؤها) أي: وملككم أرضا لم يوجف المسلمون عليها بخيل أو ركاب، وهي أرض خيبر، فأفاءها الله لنبيه، ونحلها ابنته فاطمة عليها السلام.

قوله (وكان الله على كل شيء قديرا) جملة تذييل، بالإخبار عن كمال قدرته تعالى في النصر والتأييد.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ ﴾

قوله (يا أيها النبي قل لأزواجك) الخطاب للرسول ﷺ بصفة النبوة خطاب تعظيم من الله تعالى، وفيه أمر من الله لنسائه على سبيل التخيير.

ونساء النبي ﷺ زوجاته التسعة التي قبض عنهن وهن: خمس نسوة من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بن أبي أمية، وسودة بنت زمعة، وكان تحته صفيه بنت حي ابن خطب، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وزوجات النبي ﷺ ليس بينهن بكر إلا عائشة، وأغلبهن أما أرامل قتل عنهن أزواجهن في سبيل الله أو ماتوا، ومنهن ثيبات، في

دليل على أن التزويج بهن ليس من قبيل طلب الدنيا ومتعها، وإنما جاء طلبا لإصلاح حال أو تقوية روابط اجتماعية.

قوله (إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) الشرط لإفادة التبيين والتخيير بين التسريح أو البقاء مع الرسول ﷺ، وإرادة الحياة الدنيا بمعنى تفضيلها على الآخرة، وجعلها أولوية بالرغبة فيها والإقبال عليها وعلى متعها المختلفة التي عبر عنها بالزينة، لأنها عارضة ليست من الجوهر.

قوله (فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا) الفاء في جواب (إن)، وفعل الأمر(تعالين) بمعنى أقبلن، قال الزمخشري في الكشاف: أصل تعال أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطأ ثم كثرت حتى استوت في استعماله الأمكنة، ومعنى تعالين: أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد أمرين، ولم يرد نهوضهن بأنفسهن كما تقول: أقبل يخاصمني، وذهب يكلمني، وقام يهددني. انتهى.

والفعل (أمتعكن) مجزوم لأنه جواب الأمر (تعالين)، والتمتيع إعطاؤهن مالا يتمتعن به عند التطليق، والتسريح التطليق ووصفه بالسراح الجميل، أي: سراحا من دون خشونة ومشاجرة.

قوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله (وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة) الكلام تخيير ثان، وإرادة الله بمعنى تفضيل ما عند الله من ثواب، وإرادة الرسول ﷺ البقاء معه على الزهد في الدنيا وتفضيل الدار الآخرة عليها.

قوله (فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) جملة (إن) جواب لـ (إن) الشرطية، وفيها تهييج لهن لاختيار الزوجية على التسريح.

ومحصل معنى الآيتين: إن اجتماع سعة العيش في الحياة الدنيا ورفاهيته بجعله الأصل من دون الآخرة معنى لا يستقيم مع البيت النبوي، لأن تعلق القلب يكون في واحد من الإرادتين: أما التعلق بالدنيا أو التعلق بالآخرة، قال تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه).

ويستنتج من سياق الآيتين المعاني الآتية:

أولا: تدل معاني الآيتين في أسلوب التخيير بين زوجية النبي ﷺ والتسريح على شكوى من بعض الأزواج من طريقة عيشتهن في تفضيل الآخرة على زينة الدنيا وسعتها، فقد روي في تفسير القمي عن سبب نزول الآية: أنه لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة خيبر وأصاب كنز آل أبي الحقيق قلن أزواجه أعطنا ما أصبت فقال لهن رسول الله ﷺ: قسمته بين المسلمين على ما أمر الله عز وجل، فغضبن من ذلك، وقلن: لعلك ترى أنك إن طلقتنا أن لا نجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا؟ فأنف الله عز وجل لرسوله، فأمره أن يعزلهن، فاعتزلهن رسول الله ﷺ في مشربة أم إبراهيم تسعة وعشرين يوما حتى حضن وطهرن، ثم أنزل الله عز وجل هذه الآية

وهي آية التخيير فقال: (يا أيها النبي قل لأزواجك - إلى قوله - أجرا عظيما) فقامت أم سلمة أول من قامت فقالت: قد اخترت الله ورسوله، فقمن كلهن فعانقنه، وقلن مثل ذلك الحديث. انتهى.

وروي في التبيان عن سبب النزول: أن كل واحدة من نسائه طلبت شيئا، فسألت أم سلمة سترا معلقا، وسألت ميمونة حلة، وسألت زينب بنت جحش بردا يمانيا، وسألت أم حبيبة ثوبا سحوانيا، وسألت حفصة ثوبا من ثياب مصر، وسألت حويرية معجرا، وسألت سودة قطيفة خيبرية، فلم يقدر على ذلك، لأن الله تعالى كان خيره بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة فاختار الآخرة، وقال: اللهم أحيني مسكينا، وأمتني مسكينا، واحشرني مسكينا في جملة المساكين، فحينئذ أمره الله تعالى بتخيير النساء، فاخترن الله ورسوله، فعوضهن الله عن ذلك أن جعلهن أمهات المؤمنين. انتهى.

ثانيا: أن الكرامة في زوجية النبي ﷺ مشروطة بالإحسان، وليس للزوجية كرامة مستقلة من حيث هي زوجية، لأن الأصل التقوى ولا نسب ولا حسب فوقها مع جلال قدر الزوجية النبوية.

قوله تعالى ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ﴾

قوله (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) العدول من مخاطبة النبي ﷺ إلى مخاطبة نسائه لإفادة التأكيد،

والإتيان بمعنى الفعل، والفاحشة كل فعل شنيع مستقبح وهي الكبيرة كإيذاء الرسول ﷺ والغيبة والافتراء عليه، ووصفها بالمبينة أي الظاهرة، ومضاعفة العذاب تهديد لهن بالحكم عليهن يوم القيامة بالمثلين من العذاب.

قوله (وكان ذلك على الله يسيرا) وكون ذلك العذاب المضاعف سهلا على الله لأن المانع ارتفع وهو خرق مبدأ التقوى والإحسان، إذ لا كرامة لعبد عند ربه بغيرهما.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾

قوله (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) التذكير في فعل القنوت فلم يقل: ومن تقنت، لأن الضمير في اسم الموصول راجع إلى عام بمعنى أي أحد، والقنوت الخضوع إلى الله ولزوم طاعته، وعطف الرسالة على الإلهية للتعظيم، وجزم فعل العمل على العطف، وجملة (نؤتها) جواب (من) الشرطية المجزوم، ولفظ المرتين لأنه أجر مضاعف، وفي إيراد الأفعال بصيغة المضارع دلالة المداومة والاستمرار.

قوله (وأعتدنا لها رزقا كريما) أي: وهيأنا لها رزقا لا مثيل له من القرب في الجنة.

قوله تعالى ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ ﴾

قوله (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) الخطاب لتأكيد التكاليف، فالكلام ينفي مساواتهن لسائر النساء في التكاليف، إذ لهن الأجر المضاعف، بشرط التقوى، والنفي بـ (كأحد) وليس بـ : كواحدة، لأن (أحد) يستعمل للنفي العام المفرد والجمع والمذكر والمؤنث.

قوله (فلا تخضعن بالقول) وفرع على ذلك الشرط الاحتياط بالعمل بالتكاليف، فنهى عن ترقيق الكلام مع الرجال، لأن ذلك سبيل إلى مرضى القلوب.، والخضوع تذلل ظاهري أثره في الجوارح، والباء المقترن بلفظ القول تفيد السبب، أي: بسبب الكلام اللين الرقيق.

قوله (فيطمع الذي في قلبه مرض) الفاء للتعقيب، لأن رغبات الشهوة تتلو ترقيق الكلام، والإتيان بالموصول وصلته لإفادة بيان علة التفريع بالطمع.

قوله (وقلن قولا معروفا) أي: وقلن كلاما يرتضيه الشرع والعرف، لا يحتمل إثارة الريبة والفساد.

قوله تعالى ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾

قوله (وقرن في بيوتكن) القر بمعنى الثبات والاستقرار أي: اقررن في بيوتكن ولازمنها.

قوله (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) نهي بعد أمر لتعليم نساء الرسول ﷺ بآداب البيت النبوي، والنهي عن التبرج بمعنى النهي عن الظهور بملابس الزينة كما كان يصنع في الجاهلية القديمة قبل الإسلام، وأصل التبرج كما جاء في التبيان: من البرج، وهو السعة في العين، وطعنة برجاء، أي: واسعة، وفي أسنانه برج إذا تفرق ما بينها. انتهى.

قوله (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) الأوامر في لزوم الامتثال بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لكونهما من أشرف العبادات، والأمر بطاعة الله ورسوله إطناب من باب ذكر العام بعد الخاص.

قوله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) تفيد (إنما) الحصر، وإرادة الله فعله، واللام في (ليذهب) للتأكيد، والفعل منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والإذهاب الإزالة، والرجس مطلق القاذورات المعنوية كالمعاصي ونحوها، والمراد بفعل الإرادة والإذهاب تثبيت ملكة تهذيب عالية تمنع من وقوع النفس في الاعتقادات الباطلة وسيء الأعمال، وهي بمعناها الاصطلاحي العصمة الممنوحة لأهل البيت عليهم السلام.

ونصب (أهل البيت) على النداء بأداة محذوفة، أو نصبه على المدح بتقدير: أعني، وتعريف البيت للعهد يراد به بيت الرسالة والنبوة، قال الشيخ

الطبرسي: والعرب تسمي ما يلتجأ إليه بيتا، ولهذا سموا الأنساب بيوتا، وقالوا: بيوتات العرب، يريدون النسب. انتهى.

وأهل البيت هم أهل البيت النبوي وهم على الخصوص النبي ﷺ وعلي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين عليهم السلام، فقد نزلت الآية فيهم، وليس في أزواج النبي ﷺ، إذ لا يستقيم سياق الآيات معهن بعد جملة خطابهن مرة بعد مرة بصيغة التأنيث الجمعي، فضلا عن الروايات الكثيرة المعتبرة لتأييد سبب النزول، قال السيد في الميزان: فالآية لم تكن بحسب النزول جزءا من آيات نساء النبي ولا متصلة بها، وإنما وضعت بينها إما بأمر من النبي ﷺ أو عند التأليف بعد الرحلة، ويؤيده أن آية (وقرن في بيوتكن) على انسجامها واتصالها لو قدر ارتفاع آية التطهير من بين جملها، فموقع آية التطهير من آية (وقرن في بيوتكن) كموقع آية (اليوم يئس الذين كفروا) من آية محرمات الأكل من سورة المائدة. انتهى.

قوله (ويطهركم تطهيرا) الجملة مؤكدة بالمفعول المطلق المفيد لنوعية التطهير، أي: يطهر نفوسهم من كل سوء، بتحصينها بملكة إلهية في إدراك الحق.

وفي التبيان - وغيره كثير - روي عن أم سلمة أنها قالت: إن النبي ﷺ كان في بيتي فاستدعى عليا وفاطمة والحسن والحسين، وجللهم بعباء خيبرية، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فأنزل الله تعالى قوله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل

البيت ويطهركم تطهيرا)، فقالت أم مسلمة قلت: يا رسول الله هل أنا من أهل بيتك؟ فقال: لا، ولكنك إلى خير. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤ ﴾

قوله (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) يفيد فعل أمر الذكر حفظ ما يقرأ من الآيات الكريمة والسنة الشريفة في الذهن واستحضاره دائما فلا ينسى، وذلك لتأثيره في تسديد النفس.

قوله (إن الله كان لطيفا خبيرا) جملة تعليل لأمر الذكر، لأن من لطفه تعالى الإرشاد إلى ما ينتفع به، ولأنه العليم بما يصلح عباده، ومضي الكون لإفادة أن اللطيف الخبير صفتان ذاتيتان له سبحانه.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ٣٥ ﴾

قوله (إن المسلمين والمسلمات) الابتداء بـ (إن) لأهمية الإخبار في أن فضيلة العمل بالتقوى في الإسلام هي الأساس في التفاضل بين ذكر وأنثى، وذكر الواحدي في سبب نزول الآية أنه: لما رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، فقال ﷺ: ومم ذلك؟ قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله تعالى هذه الآية (إن المسلمين والمسلمات) الخ. انتهى.

أقول: وقيل في روايات أخر إن القائلة هي أم سلمة.

وبناء الآية على تقديم التذكير على التأنيث على سبيل التغليب كما هي عادة العرب في لغتهم.

والإسلام أصله التسليم وهو أعلق بالعمل، قال أمير المؤمنين عليه السلام: لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي، الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل الصالح. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله (والمؤمنين والمؤمنات) والإيمان أعلق بالقلب، وتترتب عليه عمل الجوارح، لذلك كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن.

قوله (والقانتين والقانتات) القنوت الخضوع ولزوم الطاعة، وفيه دلالة مداومة الذكر العبادي.

قوله (والصادقين والصادقات) الصدق مطابقة القول للعمل، وإن شئت فقل ظهور الاعتقاد بالعمل.

قوله (والصابرين والصابرات) الصبر حبس النفس على ما تكره، والصبر في الدين صبران: صبر على المعصية وصبر على الطاعة، ومن الصبر حمل النفس على عدم الجزع في تحمل الابتلاءات المختلفة.

قوله (والخاشعين والخاشعات) الخشوع تذلل قلبي، يظهر أثره في الجوارح، فالمؤمن يؤمن بما يعتقد في قلبه، ثم يرتب عمله على ذلك الاعتقاد، ولذلك امتدحوا في آيات الكتاب العزيز.

قوله (والمتصدقين والمتصدقات) التصدق الإنفاق فيما يرضي الله، وهو من العبادات المالية التي يدعو إليها الدين الحنيف كثيرا.

قوله (والصائمين والصائمات) الصوم معناه منع النفس عما حرمه الله عليها في نهار الصوم من طعام ونحوه مما فصله الفقه، وإطلاقه عاما يدخل فيه الواجب والمندوب.

قوله (والحافظين فروجهم والحافظات) والفرج تقال لعورة الإنسان ذكرا أو أنثى، وحفظه بمعنى منعه مما حرم الله عليه، وفي الكلام حذف دل عليه ما قبله لإفادة الإيجاز، أي: والحافظات فروجهن.

قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) ذكر الله بمعنى ديمومة استحضاره بالقول والقلب وعدم غفلة ذكره تعالى، ومعمول لفظ الذاكرات لفظ الجلالة أي: والذاكرات الله كثيرا.

وفي المعجم الصغير للطبراني: روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: إذا أيقظ الرجل أهله من الليل، فتوضئا وصليا، كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات. انتهى.

ونقل الشيخ الطبرسي: وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا، حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا، وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من بات على تسبيح فاطمة عليها السلام، كان من الذاكرين الله كثيرا، والذاكرات. انتهى.

قوله (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) الجملة خبر الابتداء، والإعداد التهيئة مبالغة في تكريم المخبر عنهم، والتصريح بلفظ الله لتعظيم ما أعد لهم، واللام في (لهم) للأجل، وتنكير (مغفرة) و(أجرا) للتعظيم، والأجر الثواب ووصفه بالعظم لكثرته حتى كأنه يرى.

قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾

قوله (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الحكم التشريعي الذي تضمنه الكلام تمهيد لما بعده في الآية اللاحقة، وقيل: إن الآية نزلت في أمر تزويج النبي ﷺ زينب بنت جحش ابنة عمته من مولاه زيد بن حارثة، واعتراض زينب وأخيها على ذلك أول مرة، ثم الإذعان بحكم الله ورسوله بعد ذلك.

ونفي الكون في قوله (ما كان) بمعنى: لا يحق لأحد، وهو أشد أشكال النفي، وتسمى اللام المقترنة بلفظ المؤمن بلام الجحود.

قوله (إذا قضى الله ورسوله أمرا) الشرط الظرفي يفيد نفي ملك الاختيار أمام التشريع الإلهي، وقضاء الله يراد به تشريعه الأحكام والتكاليف وتصرفه تعالى في شؤون عباده بواسطة رسله، وأما العطف بالرسالة فيراد به التصرف في شؤون الناس ـ دون التشريع ـ بحكم الولاية التي جعلها الله له في قوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)، لأن التشريع من مختصات الله تعالى.

قوله (أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الجملة محلها الخبر لـ (كان)، ومضمونها نفي حق الاختيار بإزاء التشريع بالقبول أو الرفض بل عليهم الطاعة، وضمير الجمع في (لهم) و(أمرهم) راجع إلى المؤمن والمؤمنة لأن الحكم عام يشمل جميع المؤمنين.

وإنما قال (من أمرهم) ولم يقل: لهم الخيرة فيه، على ما ذكر في الميزان: للدلالة على منشأ توهم، وهو انتساب الأمر إليهم. انتهى.

قوله (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) أي: ومن يعص الله ورسوله فيمت يختاران له فقد أضاع الحق إضاعة ظاهرة، أو ذهب عن الحق ذهابا ظاهرا.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾

قوله (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه) الواو للعطف على قوله (وما كان لمؤمن)، لأن الكلام متصل في قصة زيد، فقد قيل في مناسبة النزول: إن زيدا شكا إلى النبي ﷺ زوجه زينب، وراجعه في تسريحها، فنهاه النبي ﷺ، ثم طلقها، وتزوجها النبي ﷺ بعد ذلك.

والعامل في (إذ) محذوف تقديره: واذكر، والقائل النبي ﷺ، والذي أنعم الله عليه وأنعم عليه النبي ﷺ هو زيد بن حارثة، أنعم الله عليه بالهداية والإيمان، وأنعم النبي ﷺ عليه بالإحسان إليه وعتقه.

قوله (أمسك عليك زوجك واتق الله) فعل الإمساك بمعنى النهي عن تطليق زوجته، وتعدية الفعل بحرف الاستعلاء لإفادة شدة اللزوم، والأمر بتقوى الله بمعنى: اتق الله في تطليقها ومضارتها، وفي الكلام دلالة إصرار من زيد على تطليقها.

قوله (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) الواو للعطف، والإخفاء الإضمار، و(ما) اسم موصول، وجملة الموصول مقابلة في المعنى لما قبلها، والإبداء الإظهار، وقد كان الرسول ﷺ أوحي إليه بأن زيدا سيطلقها وأنه سيتزوج منها، وكتم ذلك الرسول ﷺ لأنه سر بينه وبين ربه، وإنما أمره لزيد بالإمساك أمر نصح وإرشاد، لا أمر إلزام، ولذلك يعد تطليق زيد عصيانا منه للنبي ﷺ.

وروي في المجمع عن علي بن الحسين عليهما السلام قوله: إن الذي أخفاه في نفسه هو أن الله سبحانه أعلمه أنها ستكون من أزواجه، وأن زيدا سيطلقها، فلما جاء زيد وقال له: أريد أن أطلق زينب قال له: أمسك عليك زوجك، فقال سبحانه: لم قلت: أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك؟ انتهى.

واستغل المنافقون الحدث فغمزوا النبي ﷺ بالأمر مدعين أنه ينهى عن الزنا، ويتزوج بامرأة ابنه، ولذلك جاء قوله تعالى بعد هذا التمهيد (وما كان محمد أبا أحد منكم) ليكذب مزاعمهم.

وقد قيل في القصة أقوال مختلفة في كتب التفسير، كثير منها ينال من قدسية الرسول ﷺ، من حيث يُدرى أو لا يُدرى.

قوله (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) الواو للعطف لاتصال الكلام، وخشية الناس بمعنى: حذر الرسول ﷺ من إذاعة الإخبار الإلهي له بأن زيدا سيطلق زوجه وسيتزوجها من بعده هو ﷺ، وهو معنى ما أخفاه في

نفسه، وإنما أخفاه لأجل الحذر من إعطاء المنافقين فرصة الطعن في مقام النبوة، والتأثير في إيمان عامة الناس، لذلك هي خشية محمودة في الله ولأجله سبحانه، اجتهد فيها الرسول ﷺ، وعاتبه عليها رب العزة عتاب تأييد ونصر مثل قوله تعالى (عفا الله عنك لم أذنت لهم) [التوبة ٤٣]، لأن أمر تزويجه فرض من الله لا دخل لاختيار النبي ﷺ فيه، بدليل قوله تعالى بعدها (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها)، وإنما أمر الله بذلك الحكم لأنه أراد إبطال عادة جاهلية أصبحت سنة اجتماعية موروثة، وهي حرمة التزوج بأزواج الأدعياء، ولأجل التوسعة على المؤمنين برفع الحرج عنهم بعد ذلك.

قوله (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) الكلام مفرع على ما قبله، وقضاء الوطر كناية عن الدخول بالزوج والتمتع فيها بحكم الشرع، وإظهار اسم زيد بعد ما تقدم من إضماره لإفادة استقلال المذكور في أمر التطليق، والوطر الأرب وقضاء الشهوة، وفي (زوجناكها) فعل ومفعولين بسبب التعدية بالتضعيف.

قوله (لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) جملة التعليل وسبب التزويج لتحقيق حكم الله في إبطال سنن الجاهلية، والحرج ضيق النفس.

قوله (إذا قضوا منهن وطرا) الشرط الظرفي بمعنى: في حال تسريح أزواج الأدعياء الذي عبر عنه بقضاء الوطر، وضمير الجمع في (قضوا) للمؤمنين، وفي (منهن) راجع إلى أزواج الأدعياء، والأدعياء المُتبنَّوْن.

قوله (وكان أمر الله مفعولا) أي: حكمه تعالى نافذا متحققا.

ومن هنا يظهر فساد كثير من الأقوال التفسيرية في مسألة الإخفاء والخشية التي لا تليق بحضرة الرسول ﷺ كتفسير تعلق قلبه بهواها ـ أي زينب بنت جحش ـ وأن الله فرض التزويج بها بسبب ذلك، بينما الأمر بغير ذلك كما اتضح.

قوله تعالى ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾

قوله (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) الكلام في معنى إباحة تزويج النبي ﷺ فيما اختار الله له، وإن ورد عاما، بمعنى: لا سبب يمنع النبي ﷺ من فعل ما أباحه الله له وجوزه.

و(من) زائدة لتقوية عموم النفي، والفرض بمعنى التعيين والقسمة.

قوله (سنة الله في الذين خلوا من قبل) السنة أصلها الطريقة، ويراد بها أحكام الله تعالى وشرائعه، و(في) للملابسة الظرفية، و(الذين خلوا) هم الأنبياء السابقون على النبي ﷺ، والإبهام دون التصريح لمناسبتها لمعنى السنة، وبناء الظرف (قبل) لأنه مقطوع عن الإضافة، أي: من قبله، أي: من قبل النبي ﷺ.

قوله (وكان أمر الله قدرا مقدورا) مضي الكون كما تقدم أكثر من مرة للتعبير عن رسوخ المعنى وثبوته، وأمر الله شأنه تعالى الذي يقدر به

المقادير، كل بما يناسب حاله وتقتضي به المصلحة التي لا يعلمها سواه تعالى، وكان من قدره تعالى أنه لم يمنع أنبياءه مما أباحه لهم فلم يمنع نبيه محمد ﷺ من ذلك.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩ ﴾

قوله (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه) الجملة بدل من قوله (الذين خلوا من قبل)، وثناء من الله على أنبيائه لتمام أدائهم إلى من بعثوا إليهم، والتبليغ التوصيل ودلالة مضارعه التجدد منهم، ورسالات الله جمع رسالة وهي أحكامه وشرائعه، والخشية خوف قلبي مما يكره بسبب صدق الاعتقاد، وعن الفرق بين الخشية والخوف قال الشيخ الطوسي في أوصاف الأشراف: أن الخوف والخشية وإن كانا في اللغة بمعنى واحد إلا أن بين خوف الله وخشيته وفي عرف أرباب القلوب فرقا، وهو أن الخوف تألم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات، والتقصير في الطاعات، وهو يحصل لأكثر الخلق وإن كانت مراتبه متفاوتة جدا، والمرتبة العليا منه لا تحصل إلا للقليل، والخشية: حالة نفسانية تنشأ عند الشعور بعظمة الخالق وهيبته وخوف الحجب عنه، وهذه حالة لا تحصل إلا لمن اطلع على حال الكبرياء وذاق لذة القرب، ولذا قال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)، فالخشية: خوف خاص، وقد يطلقون عليها الخوف. انتهى. ودلالة مضارع فعل الخشية في الآية التجدد.

قوله (ولا يخشون أحدا الا الله) نفي مؤكد بأسلوب القصر، فليس في قلوب الأنبياء سبب للخوف من أحد إلا خوف الله لأنهم علموا أن تعلق وجودهم به سبحانه.

قوله (وكفى بالله حسيبا) الكفاية الغنى به سبحانه، والتصريح بلفظ الله للعلة، والحسيب مبالغة في الحفظ لأعمال العباد، ومحاسبتهم عليها، ومعنى الفاصلة متناسب مع الخشية.

قوله تعالى ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

قوله (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) النفي للرد على اعتراض المنافقين في التزويج بزوجة زيد بعده، والمعنى: ليس محمد أبا لزيد، ولا لرجالكم حتى يمتنع عليه التزويج بزوج أحدكم من بعد تسريحها، لأنه ليس بتزويج من زوج ابن.

ونفي أبوة النبي ﷺ لعموم رجال زمانه، وقت نزول الآية، لأن للنبي ﷺ أولادا صغارا هم القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وقد ماتوا قبل أن يبلغوا رجالا، كما أن حفيديه الحسن والحسين ابناه توفي عنهما وهما صغار، لذلك الآية منطبقة على أبوة الرجال في وقت الخطاب، ولا تنفي أبوته المطلقة.

قوله (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) الاستدراك على النفي لتأكيد رسالة الرسول ﷺ وختام نبوته، والمراد تنبيه المخاطبين إلى وجوب تعظيم الرسول ﷺ وأن ما فعله بأمر من ربه.

والرسول هو الحامل لرسالة ربه إلى من بعثه الله إليهم، والنبي هو الذي يحمل نبأ الغيب من ربه إلى قومه، والختم المنع وكون الرسول ﷺ خاتما للنبيين بمعنى أن الله تعالى أنهى النبوة به، فلا نبي من بعده يرسل، ولا وحي ينزل، وإنما شريعته نافذة باقية إلى يوم الدين.

وروي عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: إنما مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى دارا، فأكملها وحسنها إلاّ موضع لبنة، فكان من دخلها ونظر إليها فقال: ما أحسنها إلاّ موضع هذه اللبنة، قال ﷺ: فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء. ذكر في السنن والصحاح وغيرها. انتهى.

قوله (وكان الله بكل شيء عليما) مضي الكون لأن صفة العلم صفة ذاتية له سبحانه، والعليم الكثير العلم، ولذلك ناسبه الإتيان بمتعلقه الذي تقدم للاهتمام.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمؤمنين بصفتهم الإيمانية لإفادة الانتباه إلى شرف الانتماء إليها والعمل بمقتضاها.

قوله (اذكروا الله ذكرا كثيرا) ذكر الله الكثير بمعنى دوام استحضاره سبحانه وعدم غفلته، وفي الحديث المرفوع عن الرسول ﷺ قال: من عجز عن الليل أن يكابده، وجبن عن العدو أن يجاهده، وبخل بالمال أن ينفقه، فليكثر ذكر الله عز وجل. ذكره الطبرسي والمتقي الهندي وغيرهما على اختلاف بسيط. انتهى.

وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام روي: من مصاديق الذكر الكثير قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثلاثين مرة، ومنه تسبيح الزهراء وهو المروي عن الصادق عليه السلام.

وفي مجمع البيان عن الواحدي بإسناده عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس قال: جاء جبرائيل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد قل (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، عدد ما علم، وزنة ما علم، وملء ما علم)، فإن من قالها كتب الله له بها ست خصال: كتب من الذاكرين الله كثيرا، وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار، وكان له غرسا في الجنة، وتحاتت عنه خطاياه كما تحات ورق الشجرة اليابسة، وينظر الله إليه، ومن نظر الله إليه لم يعذبه. انتهى.

وجاء في الكافي: قال الصادق عليه السلام: وكان أبي [يعني به الباقر عليه السلام] كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه، وإنه ليذكر الله، وآكل معه الطعام، وإنه ليذكر الله، ولقد كان يُحدّث القوم ما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانا لازقا بحنكه يقول: لا إله إلا الله، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا، ومن كان لا يقرأ منا أمره

بالذكر، والبيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عز وجل فيه يكثر بركته ويحضره الملائكة ويهجره الشياطين ويضئ لأهل السماء كما يضئ الكوكب لأهل الأرض، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن، ولا يذكر الله يقل بركته ويهجره الملائكة ويحضره الشياطين. انتهى.

وفي عدة الداعي لابن فهد: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من ذكر الله في السر فقد ذكر الله كثيرا، إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية، ولا يذكرونه في السر فقال الله عز وجل: (يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلاّ قليلا). انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾

التسبيح تنزيه الله تعالى عما لا يليق بساحته سبحانه، وتقييده بظرف البكرة والأصيل لإفادة المداومة عليه وهو من قبيل الذكر الكثير، والبكرة أول النهار، وضده الأصيل آخره، والكلام في معنى قوله تعالى (يسبحون له بالليل والنهار) [السجدة ٣٨].

قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) معنى الصلاة يتحدد بحسب النسبة إلى فاعلها، فإن كانت من الله فهي بمعنى الرحمة منه والغفران، وإن كانت من الملائكة فهي بمعنى الاستغفار، وأما من العباد فهي بمعنى الدعاء، فصلاة الله على المؤمنين رحمة منه، وعلة لذكرهم الكثير له.

قوله (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) اللام للتعليل، وفعل الإخراج مجاز استعاري، ولفظ الظلمات تشبيه للغفلة عنه سبحانه، ولفظ النور تشبيه لذكره تعالى، و(من) حرف ابتداء لغاية، و(إلى) حرف انتهاء لغاية.

قوله (وكان بالمؤمنين رحيما) أظهر لفظ المؤمنين ولم يضمر فلم يقل: وكان بكم رحيما، لبيان علة ايجاب رحمته تعالى، وهو أنهم موصوفون بصفة الإيمان.

قوله تعالى ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾

قوله (تحيتهم يوم يلقونه سلام) أي: ويوم القيامة، يوم يلقون الله تعالى يحييهم ربهم وملائكته بتحية السلام والأمان من أهوال القيامة وفزعها، ولقاء الله تعالى مجاز، يراد به لقاء ثوابه الموعود.

قوله (وأعد لهم أجرا كريما) الإعداد التهيئة، مبالغة في إثابة المؤمنين الثواب الجزيل، واللام في (لهم) بمعنى: لأجلهم.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾

قوله (يا أيها النبي) خطاب بصفة النبوة خطاب اعتزاز وتشريف من الله لنبيه ﷺ.

قوله (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) والإرسال البعثة إلى الأمة بالنبوة والرسالة، ونصب لفظ الشاهد وما بعده على الحال، والشاهد الشهيد على

أعمال أمته في حالي الطاعة والعصيان ليشهد لهم وعليهم، فيجازيهم ربهم بحسبها، والمبشر لأن عاقبة الطاعة الجنة، والنذير لأن عاقبة العصيان العذاب والنار.

قوله تعالى﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾

قوله (وداعيا إلى الله بإذنه) الواو للعطف على الفعل (وأرسلناك)، والداعي إلى الله بمعنى الداعي إلى توحيده تعالى، والامتثال لأوامره ونواهيه، والظرف (بإذنه) محله الحال، أي: بعلمه وأمره.

قوله (وسراجا منيرا) أي: وأرسلناك سراجا منيرا، والسراج المنير استعارة باعتبار ما يهتدى بالرسول والقرآن في الدين، ولفظ المنير وصف مبالغة لنور السراج.

قوله تعالى﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾

قوله (وبشر المؤمنين) الخطاب للرسول ﷺ، والبشارة سرور يظهر على بشرة وجه المبشر بفتح الشين، وأل المؤمنين للعهد، أي: المؤمنون المتصفون بحقيقة الإيمان.

قوله (بأن لهم من الله فضلا كبيرا) الباء للتعدية، واللام في (لهم) للاختصاص، و(من) ابتدائية، والتصريح باسم الله لتعظيم الفضل، والفضل زيادة العطاء على الاستحقاق، ووصفه بالكبر لكثرته.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾

قوله (ولا تطع الكافرين والمنافقين) أي: ولا تطع الكافرين فيما عرضوا عليك أيها النبي ﷺ في ترككم التعرض لآلهتهم مقابل الأمان والسلام، وأيدهم في ذلك المنافقون، والنهي عود للتذكير بأول افتتاح السورة.

قوله (ودع أذاهم) أي: لا تكترث لما يسمعوك من أذى، فإن الله كافيك، وهم في قبضته.

قوله (وتوكل على الله) أي: وفوض أمرك الله وأسنده إليه.

قوله (وكفى بالله وكيلا) لأن من وكل أمره إلى ربه فقد ظفر، وإظهار لفظ الله في موضع إضماره، فلم يقل: وكفى به، لتعظيم التوكيل، ولإفادة أن تكون الجملة مثلا يذكره العباد دائما.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) خطاب النداء لإفادة الإقبال على التكليف بعده.

قوله (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) والشرط لبيان حكم المعقود عليها عقد نكاح ولكن غير مدخول بها، والنكاح يراد به معنى عقد التزويج لا الدخول بدليل نفي المس، واستعمال لفظ المؤمنات لإفادة تعليل الالتزام بالتسريح الجميل، وتفيد (ثم) التراخي الرتبي والزماني، ونفي المس كناية قرآنية عن نفي الدخول بهن.

قوله (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) الفاء واقعة في الجزاء، و(ما) نافية واللام في (لكم) لنفي الملك، ومعنى (عليهن) أي: ليس مفروضا عليهن، و(من) زائدة لتأكيد نفي العموم، وهو نفي إلزام العدة للمطلقة غير المدخول بها.

ومعنى (تعتدونها) من الاعتداد مبالغة في العد، أي: تستوفونها بالعدد، وتحصون عليها بالأقراء والأشهر.

وإنما فرض الله العدة لأجل حفظ الأنساب، وأما التي طلقت قبل المسيس فقد أسقطها الله عنها لبراءة رحمها، ولها أن تتزوج من يومها.

قوله (فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا) الفاء لتفريع الأمر على النفي، والتمتيع بمعنى: إعطاؤهن ما يجبر خواطرهن من مال، وهو في الحكم الشرعي إعطاؤها نصف المهر، وفيه تفصيل، والتسريح التطليق، ووصفه بالسراح الجميل أي: التطليق الذي يكون من دون مشاجرة وتعنيف أو تضييع للحقوق.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠ ﴾

قوله (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) الخطاب للنبي ﷺ لتعليم الأمة تنظيم رابطة الزوجية القائمة على الشرع المنصوص عليه، والإحلال الإباحة، وعدت الآية سبعة أصناف من النساء داخلة في الحلية.

واللام في (لك) بمعنى لأجل انتفاعك، وتوصيف الأزواج بجملة الموصول (اللاتي آتيت أجورهن) قيد توضيحي أجري مجرى الخبر، لأنه مفروغ منه، لأن مهور الأزواج شرط في العقد، والإيتاء الإعطاء، وأجورهن مهورهن.

قوله (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) وهو الصنف الثاني مما أحل الله، وملك اليمين يراد به الإماء الراجعة إليه من الغنائم والأنفال، ومن الأولى مارية القبطية أم ابنه ﷺ إبراهيم، ومن الأنفال صفية وجويرية أعتقهما وتزوجهما.

والقيد في (مما أفاء الله عليك) للتوضيح لا للاحتراز، و(مما) مكونة من (من) الابتدائية، و(ما) اسم الموصول، والفيء سهم الرسول ﷺ من غنائم الحرب، وإسناد الفعل إلى الله لأنه جار بحكمه وشرعه، لا باجتهاد بشر، وحرف الاستعلاء في (عليك) لإفادة امتنان الله على نبيه.

قوله (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك) وهذه هي الأصناف الأخرى التي أحلها الله في عقد النكاح.

قوله (اللاتي هاجرن معك) جملة الموصول محلها الصفة لما تقدم، وأريد بالهجرة الهجرة إلى المدينة، وهذا القيد رفع بعد ذلك، قال في المجمع: وهذا إنما كان قبل تحليل غير المهاجرات، ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل. انتهى.

قوله (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) وهو الصنف السابع، والعطف بمعنى: وأحللنا لك امرأة مؤمنة بتوحيد الله إن وهبت نفسها منك بغير صداق. والقيد بكونها مؤمنة يقتضي أن غير المؤمنة لا تحل لو وهبت نفسها للنبي ﷺ.

وعن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام قوله: المرأة المؤمنة هي أم شريك الأزدية التي وهبت نفسها للنبي ﷺ. ذكر في الدر المنثور. انتهى.

والعدول في الكلام من خطاب النبي ﷺ إلى الغائب لإفادة تعظيمه بذكر صفة النبوة له.

قوله (إن أراد النبي أن يستنكحها) الشرط لإفادة أن تلك الحلية ليست مفروضة على النبي ﷺ، بل هي خاضعة لاستحبابه ورغبته، والاستنكاح مبالغة في رغبة النكاح.

قوله (خالصة لك من دون المؤمنين) النصب على الحال، أي: إن عقد النكاح بلفظ الهبة مما خصه الله لنبيه وحده، ولا يحل لأحد غيره.

وقيل: إن زينب بنت خزيمة أم المساكين، وهي من الأنصار، وهبت نفسها للرسول بغير مهر، وقيل ميمونة بنت الحارث، وقيل غيرها.

وجاء في المجمع: وقيل: هي خولة بنت حكيم، عن عروة بن الزبير، وقيل: إنها لما وهبت نفسها للنبي ﷺ قالت عائشة: ما بال النساء يبذلن أنفسهن بلا مهر؟ فنزلت الآية، فقالت عائشة: ما أرى الله تعالى إلا يسارع في هواك؟ فقال رسول الله ﷺ: وإنك إن أطعت الله سارع في هواك. انتهى.

قوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) الإخبار لبيان منة الله على نبيه بتأكيد ما خصه الله بهذا الضرب من النكاح دون غيره، فقد أوجب على غيره من المؤمنين شرط المهر وتحديد العدد، بينما وضع ذلك عن نبيه ﷺ.

قوله (وما ملكت أيمانهم) الواو للعطف على (في)، بمعنى: وفيما ملكت أيمانهم.

وأما ملك اليمين فقد فرض الله على المؤمنين ألاّ يقع لهم الملك كما قال الطبرسي: إلا بوجوه معلومة من الشراء والهبة والإرث والسبي، وأبحنا لك غير ذلك، وهو الصفي الذي تصطفيه لنفسك من السبي، وإنما خصصناك على علم منا بالمصلحة فيه من غير محاباة، ولا جزاف. انتهى.

قوله (لكيلا يكون عليك حرج) جملة تعليل، أي: إن ذلك الإحلال في العقد بغير مهر إن وهبت المرأة نفسها للنبي ﷺ وأرادها لرفع الضيق والإثم عنه.

قوله (وكان الله غفورا رحيما) التعبير بمضي الكون للدلالة على أن صفتي الغفران والرحمة ثابتتان لذاته تعالى، والغفور الرحيم صيغتا مبالغة لكثرة الستر والإنعام على العبد.

قوله تعالى ﴿ ۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾

قوله (ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء) الخطاب للنبي ﷺ أعطاه الله الخيرة في الإرجاء والإدناء والقسمة والتسوية بين أزواجه.

والفعل (ترجي) بتليين الياء أصله ترجئ، والإرجاء التأخير والتبعيد، والإيواء الإدناء والضم، من الفعل أوي يأوي إذا انضم إلى مأواه، لذلك يتعدى بـ (إلى)، ومنه قوله تعالى (إذ أوى الفتية إلى الكهف) [الكهف ١٠]. أما الفعل آوى فيتعدى بنفسه تقول: آويته، وآواه.

قوله (ومن ابتغيت ممن عزلت) أي: ومن طلبت من اللاتي عزلتها ولم تقبلها، أي: يجوز للنبي ﷺ أن يطلب من عزل من أزواجه أو يؤخر أو يقدم أو يقسم أو لا يقسم بينهن.

قوله (فلا جناح عليك) تفريع على ما تقدم، بنفي مطلق الإثم واللوم عن النبي ﷺ في فعل ما يشاء مما ذكر.

قوله (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) تعليل للنفي، أي: لأن ذلك الترخيص أقرب من أن تسر به نفوسهن ولا يحزن ويرضين بما أعطيتهن كلهن، لعلمهن بأن له ﷺ الرخصة في التسوية والتفضيل، فتطيب نفس المتقدمة بما قسمت له، وترجو المتأخرة أن تتقدم بعد.

قوله (والله يعلم ما في قلوبكم) أي: والله وحده يعلم ما في قلوبكم من ميل ورضى وسخط.

قوله (وكان الله عليما حليما) أي: وكان الله ولم يزل موصوفا بكثرة العلم بما يصلح عباده، وبكثرة الحلم فلا يعاجلهم بالعقوبة.

قوله تعالى ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ ﴾

قوله (لا يحل لك النساء من بعد) أي: لا يحل لك من بعد النساء اللواتي أحلهن الله لك فيما عد من الأصناف السابقة وهن: اللواتي آتاهن أجورهن، وبنات عمه، وبنات عماته، وبنات خاله، وبنات خالاته، اللاتي هاجرن معه، ومن وهبت نفسها له، وله الجمع بغير حصر، أو يراد به المحرمات المذكورة في سورة النساء في قوله تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم) [النساء ٢٣]، وهو المروي عن الصادق عليه السلام.

قوله (ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) أي: لا يحل تطليق واحدة، والتزويج بأخرى بعدها، والإعجاب بالحسن بمعنى وقوع جمالهن في القلب.

قوله (إلاّ ما ملكت يمينك) استثناء الإماء من جملة التحريم.

قوله (وكان الله على كل شيء رقيبا) الإخبار في مضمونه التحذير من المخالفة، وتقديم المعمول (على كل شيء) للاهتمام ورعاية الفاصلة المنتهية بألف المد، والرقيب العالم الحافظ.

قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلاّ أن يؤذن لكم إلى طعام) خاطب الله المؤمنين لتأديبهم بالآداب الاجتماعية اللائقة بالتعامل مع مقام النبوة، فنهاهم عن الدخول إلى بيوت النبي ﷺ بغير استئذان، والمتعلق (إلى طعام) سبب في أمثال الإذن.

قوله (غير ناظرين أناه) جملة حال، أي: غير منتظرين نضج الطعام، وذلك بأن يدخلوا مبكرين قبل نضجه فيطيلوا المكث في البيت، ويقال للطعام يأني إذا بلغ حال النضج.

قوله (ولكن إذا دعيتم فأدخلوا) لكن: لتبيين أدب الدعوة إلى الطعام على ما استدرك.

قوله (فإذا طعمتم فانتشروا) الفاء للتفريع، أي: إذا أكلتم فاخرجوا من البيت.

قوله (ولا مستأنسين لحديث) الجملة معطوفة على الحال (غير ناظرين) حال ثانية، أي: غير ناظرين نضج الطعام بالاستئناس بحديث بعضكم بعضا، أو غير ماكثين بعد الأكل مستأنسين لحديث.

قوله (إن ذلكم كان يؤذي النبي) جملة تعليل لأوامر ما سبق، وهو أنه يؤذي النبي ﷺ ويضيق عليه من راحته والاختلاء ببيته.

قوله (فيستحيي منكم) ويتفرع من الأذى أنه يأخذه الحياء من أن يسألكم الخروج من بيته.

قوله (والله لا يستحيى من الحق) النفي بمعنى: والله لا يترك توضيح الحق لكم، فيؤدبكم بتعظيم النبي ﷺ والامتناع عن فعل ما يؤذيه، كدخولكم بيته من غير إذن، أو طول مكثكم في بيته حين يدعوكم إلى طعام.

وهذا من الأدب الإلهي الذي أدب به الثقلاء، فقد ذكر أنه نزلت آية الحجاب لما بنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، وأولم عليها، قال أنس: أولم عليها بتمر وسويق، وذبح شاة، وبعثت إليه أمي أم سليم بحيس [تمر معجون بسمن] في تور [أي إناء] من حجارة، فأمرني رسول الله ﷺ أن أدعو أصحابه إلى الطعام، فدعوتهم، فجعل القوم يجيئون ويأكلون، ويخرجون، ثم يجئ القوم فيأكلون ويخرجون، قلت: يا نبي الله، قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه؟ فقال: ارفعوا طعامكم، فرفعوا طعامهم، وخرج القوم، وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت، فأطالوا المكث، فقام ﷺ وقمت

معه، لكي يخرجوا، فمشى حتى بلغ حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، فإذا هم جلوس مكانهم، فنزلت الآية. ذكر في المجمع وغيره. انتهى.

قوله (وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب) ضميرا جمع التذكير عائدان إلى المسلمين المخاطبين، وضميرا جمع التأنيث راجعان إلى زوجات النبي ﷺ، والمتاع ما يحتاج إليه، ويقال للشيء القليل، ونصبه لأنه مفعول ثان لـ (سألتموهن)، والمعنى: إذا سألتم أزواج النبي ﷺ شيئا مما تحتاجون إليه فاسألوهم ذلك من وراء ستر.

قوله (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) اسم الإشارة إلى الأمر بتكليم نساء النبي ﷺ وسؤالهن من وراء حجاب، و(أطهر): اسم تفضيل، أي: أزكى لقلوبكم وقلوبهن، وأبعد لخواطر الشيطان، التي تدعو إلى ميل الرجال إلى النساء.

قوله (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) أي: وما يحق لكم أيها المؤمنون أن تؤذوا رسول الله في مخالفة ما أمر به في نسائه في حياته ولا في شأن من شؤونه، ولا من بعد مماته، والإتيان بصيغة (رسول الله) لبيان علة النفي.

وفي مجمع البيان: ونزل قوله: (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) إلى آخر الآية، في رجل من الصحابة، قال: لئن قبض رسول الله ﷺ لأنكحن عائشة بنت أبي بكر، عن ابن عباس، قال مقاتل: وهو طلحة بن عبيد الله، وقيل: إن رجلين قالا: أينكح محمد نساءنا، ولا ننكح نساءه، والله لئن مات

لنكحنا نساءه، وكان أحدهما يريد عائشة، والآخر يريد أم سلمة، عن أبي حمزة الثمالي. انتهى.

قوله (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) نهي تشريعي من الله تعظيما لنبيه، ولحفظ صلة الأزواج بالرسالة، والاطلاع على خصوصيته.

قوله (إن ذلكم كان عند الله عظيما) القطع لتعليل ما تقدم من نفي ونهي، وهو لأن إيذاء الرسول ﷺ اثم عظيم عند الله، يعاقب عليه مرتكبه.

قوله تعالى ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

قوله (إن تبدوا شيئا أو تخفوه) جمل متقابلة لبيان كمال علم الله، في الإبداء والإخفاء لعموم الأشياء، والإبداء الإظهار، وتنكير لفظ (شيء) لإفادة عمومها، والإخفاء الإضمار ضد الإظهار.

قوله (فإن الله كان بكل شيء عليما) الجملة جواب لـ (إن) الشرطية، والإخبار بكمال علم الله في خصوص السياق يراد به تهديد من كان يؤذي النبي ﷺ أو يذكر نكاح أزواجه من بعده.

قوله تعالى ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ﴾

قوله (لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن) النفي في معنى الاستثناء من الاحتجاب، فقد أباح الله لأزواج النبي ﷺ مخالطة آبائهن وأبنائهن وإخوانهن وأبناء إخوانهن وأبناء أخواتهن.

ولم تأت الآية على ذكر الأخوال والأعمام مراعاة للبيت النبوي، لأنهم من الممكن أن يصفوهن إلى أبنائهم.

قوله (ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن) وكذلك رفع قيد الاحتجاب عن مخالطة النساء المؤمنات من قريناتهن في الإيمان دون غيرهن من الكافرات، وكذلك رفع الحجاب عن الإماء والعبيد.

قوله (واتقين الله) العدول بالكلام إلى خطاب الحضور لتأكيد تكليف أزواج النبي ﷺ بما شرع لهن من أحكام يجب عليهن اتقاء مخالفتها.

قوله (إن الله كان على كل شيء شهيدا) القطع لتعليل الأمر، وفي الإخبار تهديد بأن الله لا يغيب عنه شيء مما يخالف أوامره ونواهيه.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

قوله (إن الله وملائكته يصلون على النبي) لما ذكر في الآيات السابقة تعظيم النبي ﷺ ختم بما لا يدانيه من منزلة رفيعة عند ربه، وصيغة

ابتداء المعنى بحرف التأكيد لإفادة تحقيقه وثباته لأن الجملة الإسمية شأنها ذلك، والإتيان بمضارع فعل الصلاة لما فيه من دلالة التجدد والاستمرار.

وصلاة الله على نبيه بمعنى: رحمته النازلة إليه وجميل الثناء عليه، وأما صلاة ملائكته تعالى على النبي ﷺ فالدعاء له بالاستغفار وبحسن الثناء.

قوله (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) الكلام نتيجة لما تقدمها من تمهيد، وأمر الله المؤمنين بالصلاة على النبي ﷺ سؤال الرحمة له من الله تعالى، والتسليم يراد به الدعاء للنبي ﷺ بالسلامة، مثل: سلمك الله، والسلام عليك يا رسول الله، أو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعضهم فسر التسليم بمعنى: تسليم الأمور له، والانقياد إلى أوامره، واشتقاق المصدر (تسليما) من فعله لإفادة نوعية من السلام.

وفي الخبر الصحيح: قال رجل: يا رسول الله أما السلام عليك فقد علمناه فكيف الصلاة عليك؟ قال: قل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد. ذكر في كتب التفسير والصحاح والسنن. انتهى.

وسئل الإمام الرضا عليه السلام عن معنى الصلاة على النبي ﷺ فقال: صلاة الله رحمة من الله، وصلاة الملائكة تزكية منهم له، وصلاة المؤمنين دعاء منهم له. نقله الصدوق في ثواب الأعمال. انتهى.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧ ﴾

قوله (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة) الابتداء بحرف التأكيد لأهمية الإخبار، وإيذاء الله مجاز لتهويل إيذاء رسوله وتعظيم هذا الجرم، لأن الله منزه عن كل هوان، وإنما شرك نفسه بالإيذاء مع الرسول ﷺ لتشريف نبيه، ولفظ اللعن أصله الطرد من رحمة الله، وهو يكون في الدنيا بمنع الرحمة من أن تنال الملعونين، ويكون في الآخرة بإبعادهم عن موضع رحمته إلى موضع غضبه، وهو عذاب النار.

قوله (وأعد لهم عذابا مهينا) أي: وهيأ الله لهم يوم القيامة عذابا يخزيهم ويهينهم.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨ ﴾

قوله (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) غالبا ما يستعمل فعل الإيذاء للإشارة إلى الإيذاء بالقول كالغيبة والافتراء والقذف، وذكر المؤمنين والمؤمنات لإفادة عموم الإيذاء باللسان، وتقييده بالظرف (بغير ما اكتسبوا) لإخراج القصاص والحد والتعزير من النهي المتضمن في الآية،

لأنها تكون مقابل ما اكتسبوا. ولتأكيد أن أذاهم للمؤمنين والمؤمنات كان من انحراف نفوسهم من غير ما يوجب ذلك.

قوله (فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) الفاء واقعة في تقدير الجزاء، لأن قوة الابتداء في معنى الشرط، والاحتمال مبالغة في تكلف الحمل، تشبيها للبهتان بالوزر الثقيل، والبهتان أن تقول في غيرك ما ليس فيه، وهو من أبشع أذية اللسان، والإثم المبين المعصية الظاهرة.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾

قوله (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) إيراد الحكم على لسان النبي ﷺ لجدارته بتلقيه كونه محل العناية الإلهية، والابتداء بالأمر بذكر أزواج النبي ﷺ وبناته ثم تعميمه بأمر نساء المؤمنين لإفادة التأكيد والاستقصاء، والإدناء التقريب، وحرف الاستعلاء في (عليهن) لإفادة إحاطة الجلباب واشتماله عليهن، و(من) ابتدائية، والجلباب ملاءة المرأة، التي تستر بها رأسها وجيبها.

قوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي: ذلك الستر أقرب إلى أن يميزن بعفتهن، فلا يدنو إليهن مرتاب، أو قيل: يميزن بأنهن حرائر لا إماء،

والقول الأول أوفق وأنسب، والفاء لتفريع النتيجة، وهو نفي إيذائهن بالقول من أهل الريبة.

قوله (وكان الله غفورا رحيما) استعمال مضي الكون، لأنه أرسخ في التعبير عن إثبات الصفات الذاتية لله سبحانه كصفة التكثير للغفران والرحمة.

قوله تعالى ﴿ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠ ﴾

قوله (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض) القسم والشرط للتهديد، والانتهاء الامتناع والكف عن الإفساد، والمنافقون هم الذين آمنوا باللسان دون الجنان، والذين في قلوبهم مرض هم الذين اعتلت قلوبهم بضعف الإيمان، تغايروا عن المنافقين في كونهم يشككون وينقلبون مع أول عارض خطر يعرض لهم.

قوله (والمرجفون في المدينة) الإرجاف أصله الاضطراب، ويراد بهم الساعون لإلقاء الفتن والشائعات الباطلة، التي ترجف المجتمع وتجعله يموج اضطرابا، وتعريف المدينة للعهد الحضوري، أي: المدينة المنورة.

قوله (لنغرينك بهم) اللام في جواب القسم، وجواب القسم نفسه جواب للشرط، والإغراء كما في التبيان: الدعاء إلى تناول الشيء بالتحريض عليه. انتهى. والخطاب للرسول ﷺ أي: لنسلطنك عليهم.

قوله (ثم لا يجاورونك فيها إلاّ قليلا) أي: ثم لا يبقون يساكنونك في المدينة إلا زمنا قليلا، يعني به: أما أن يقتلوا، أو ينفوا مطرودين منفيين عن المدينة.

وشدة الجزاء متأتية من شدة خطر هؤلاء، فقد جاء في سبب التنزيل عن القمي في تفسيره أنها: نزلت في قوم منافقين كانوا في المدينة، يرجفون برسول الله ﷺ إذا خرج في بعض غزواته يقولون: قتل وأسر، فيغتم المسلمون لذلك، ويشكون إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل في ذلك (لئن لم ينته - إلى قوله - الا قليلا). انتهى.

قوله تعالى ﴿ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ ﴾

قوله (ملعونين أينما ثقفوا أخذوا) نصب لفظ ملعونين على الحال من ضمير (يجاورونك) العائد على المنافقين والمرجفين، أو على الذم، أو على الصفة لـ (قليلا) بمعنى: إلا أذلاء ملعونين، والملعون المنفي المطرود، و(أينما): اسم شرط للمكان، والثقف إدراك الشيء ومسكه، والمعنى: أينما وُجِد هؤلاء المنافقون والمرجفون وظُفِر بهم فخذوهم، واقتلوهم أبلغ القتل.

قوله (وقتلوا تقتيلا) تضعيف فعل القتل واشتقاق المفعول منه مبالغة في إزهاق أرواحهم، والقضاء على وجودهم.

قوله تعالى ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢ ﴾

قوله (سنة الله في الذين خلوا من قبل) سنة الله طريقته الجارية في حكم الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم وهي قتلهم، ونصب لفظ السنة لأنه بتقدير: سن الله سنة، وإضافتها إلى اسم الله لتكرارها في أقوام أنبيائه ولتعظيمها.

قوله (ولن تجد لسنة الله تبديلا) نفي تأبيدي، أي: لا يتهيأ لأحد تغيير سنة الله، ولا قلبها من جهتها، فهي واحدة ثابتة.

قوله تعالى ﴿ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣ ﴾

قوله (يسئلك الناس عن الساعة) فعل مضارع السؤال دال على إلحاح السائلين على الرسول ﷺ عن موعد يوم القيامة أقريب أم بعيد، ولفظ الناس خليط من عامتهم وخاصتهم، ولفظ الساعة تقال للبرهة الزمنية القصيرة، وتعريفها للعهد يراد بها يوم القيامة، وسميت القيامة بالساعة لأنها تكون فجأة في ساعة واحدة.

قوله (قل إنما علمها عند الله) إجابة قطعت كل سؤال بقصر أمر الساعة في علم الله وحده، لأنها من مختصاته لم يعلم بها أحدا من خلقه، إذ لا مصلحة في ذلك.

قوله (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) الاستفهام بمعنى: أي شيء يعلمك من أمر الساعة؟ لعل قيامها قريب، والكلام زاد من إبهامها، ولفظ القريب أي: قريبا وقوعها.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ ﴾

قوله (إن الله لعن الكافرين) لعن الكافرين بمعنى طردهم من رحمة الله، والموضع الذي يخلو من رحمته تعالى هو محل نزول عذابه.

قوله (وأعد لهم سعيرا) أي: وهيأ لهم نارا اشعلت، واستعر لهيبها واشتد.

قوله تعالى ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ ﴾

قوله (خالدين فيها أبدا) النصب على الحال من الضمير في (لهم)، والظرفية في (فيها) للتلبس في سعير النار، والتأبيد تأكيد بعد تأكيد في دوام البقاء.

قوله (لا يجدون وليا ولا نصيرا) أي: لا يجدون من يدفع عنهم عذابا أو ينتصر لهم، والولي من يلي أمر مولاه ويقوم عليه، ولفظ النصير من ينصره في بعض ما يتعرض له.

قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾

قوله (يوم تقلب وجوههم في النار) أي: تقلب السعير وجوههم من حال إلى حال، ومن جهة إلى أخرى، كما يفعل باللحم المشوي.

ونصب لفظ اليوم على الظرفية، والعامل فيها تقديره: واذكر، والتقليب التصريف والتحويل، وإسناد الفعل إلى الوجوه على سبيل المجاز العقلي، للمبالغة في تصوير شدة تقلبها، فتسود وتصفر وتصير كالحة، وخصت الوجوه بالذكر، لأنها مظهر الكبر والاستعلاء على الله، فأذلها الله وأذل أصحابها.

قوله (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) مضارع القول لاستحضار الحالة، والقول منهم وهم في العذاب تمن منهم لشدة حسرتهم على ما أضاعوا في حياتهم الدنيا من فرصة النجاة من النار، وهي طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ، ومد لام لفظ الرسول، لإفادة مد الصوت في الفاصلة، لأن الآيات قرآن يقرأ.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾

قوله (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا) القول من الكافرين المعذبين إقرار منهم على ضلال أنفسهم، ليكون سبيلا لتخفيف العذاب عنهم، والسادة جمع سيد وهو على ما ذكر في التبيان: الملك المعظم الذي يملك تدبير السواد الأعظم، ويقال للجمع الأكثر السواد الأعظم. انتهى. والكبراء جمع الكبير أي: الكبير السن، والسادة والكبراء إشارة إلى قادة الضلال وأئمة الضلال الذين تتبعهم العامة.

قوله (فأضلونا السبيلا) الفاء للتفريع، أي: حملونا بطاعتهم على إضاعة سبيل الحق والصواب، وتعريف السبيل للعهد.

قوله تعالى ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨ ﴾

قوله (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) الكلام حكاية عن قول الكافرين وهم في النار، سألوا ربهم مضاعفة العذاب لسادتهم وكبرائهم لضلال نفوسهم وإضلال غيرهم.

قوله (والعنهم لعنا كبيرا) أي: والعنهم لعنا كثيرا، مرة بعد مرة.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى) خطاب من الله للمؤمنين لنهيهم عن إيذاء النبي ﷺ كما آذى بعض بني إسرائيل نبيهم

موسى، فنسبوا إليه ما ليس فيه وافتروا عليه شتى الافتراءات التي برأه الله منها كقولهم ليس لموسى ما للرجال، ولعل أظهر ما أوذي به النبي ﷺ هو ما ذكر في السورة من أمر قصة زيد.

قوله (فبرأه الله مما قالوا) الفاء لتفريع تبرئة الله لنبيه موسى مما افترى عليه بعض قومه.

قوله (وكان عند الله وجيها) أي وكان موسى عند الله عظيم القدر رفيع المنزلة.

واختلفت أشكال إيذاء بني إسرائيل لموسى على أقوال:

أحدها: أن موسى وهارون صعدا الجبل فمات هارون فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفوا أنه قد مات وبرأه الله من ذلك عن علي وابن عباس.

وثانيها: أن موسى كان حييا ستيرا يغتسل وحده فقالوا: ما يستتر منا الا لعيب في جلده اما برص واما أدرة فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر فمر الحجر بثوبه فطلبه موسى فرآه بنو إسرائيل عريانا كأحسن الرجال خلقا فبرأه الله مما قالوا. رواه أبو هريرة مرفوعا. ذكر في المجمع والدر بتصرف. انتهى.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) خطاب نداء من الله للمؤمنين وأمر لهم بتقواه بالتزام أوامره واجتناب نواهيه.

قوله (وقولوا قولا سديدا) أي قولوا قولا فيه إصابة وصدق للواقع وخير للنفس والمخاطبين، فاللغو والغيبة والنميمة وباطل القول كلها صفات تخرج الكلام وصاحبه من السداد، واشتقاق المفعول المطلق من الفعل لإفادة النوعية، ووصفه بالسديد مبالغة يراد به المسدد أي الذي يصيب الواقع.

قوله تعالى ﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾

قوله (يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) جزم فعل الإصلاح لأنه جواب فعل أمر القول، وفاعل (يصلح): الله، جعل إصلاح العمل وغفران الذنوب مترتب على ملازمة القول السديد، لأن من روض نفسه على الصدق انقطع عن كذب القول، ومن احتاط بالتقوى تعالت نفسه عن باطل القول، قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن لم تكن حليما فتحلّم، فإنه قلّ من تشبّه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم. ذكر في نهج البلاغة. انتهى. واللام في (لكم) بمعنى: لأجلكم، وغفران الذنوب سترها والصفح عنها.

قوله (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أي: ومن يطع الله ورسوله في التزام الأوامر واجتناب النواهي فقد ظفر برضوان الله وجناته.

قوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ ﴾

قوله (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال) العرض بمعنى إظهار الشيء واضحا بعرضه، والأمانة كل ما يودع ويحفظ عند الغير ليسترد.

والمراد ـ والله أعلم ـ بعرض الأمانة عهد الله وميثاقه على الإنسان بالتزام توحيده تعالى وأوامره ونواهيه في كتبه، وعلى أيدي رسله، وسماها السيد في الميزان بالولاية الإلهية، فهي أمانة مودعة باعتبار أن خلق الإنسان لأجل خلافة الله في أرضه أخذ عليه العهد بذلك، فهي أمانة ثقيلة في وزنها المعنوي تحتاج أهلية لتقبلها وحفظها وليس إلا الإنسان يصلح لذلك لما أودع الله فيه من علم وفكر.

قوله (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) فإباية السموات والأرض والجبال عن تحمل هذه الأمانة وإشفاقهن منها لافتقاد الإمكانية وانعدام الصلاحية، فهي بوزن قيمتها المعنوية أثقل منهن على كبر حجمهن، وفعل الحمل استعارة لذلك المعنى.

قوله (وحملها الإنسان) حملها الإنسان لتلبسه بهذا الحمل وصلاحه، لأن يحفظها أو يضيعها بحسب ما يهتدي إليه فكره وعلمه على الرغم من

ضعفه وصغر حجمه، ولكنه ضيع الأمانة ولم يؤد تمام العبودية بل خرج على زيها.

قوله (إنه كان ظلوما جهولا) الهاء في (إنه) راجع إلى الإنسان، وذلك لأن عموم الإنسان ظلوم كثير الظلم لنفسه، جهول كثير الجهل بمبلغ الثواب والعقاب فيما لو لم يعلم بعاقبة خيانة الأمانة.

قوله تعالى ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ٧٣﴾

قوله (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) جملة غائية، لأن عاقبة حمل الأمانة فرز فريقين خائنين لها وهم المنافقون والمشركون، والفريق الآخر هم الذين حفظوا الأمانة، وهم المؤمنون.

قوله (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أي: وليعود على المؤمنين بقبول توبتهم، وفعل مضارع التوبة دال على تجدد التوبة مرة بعد مرة، برجوع العبد إلى ربه مرارا وبقبولها منه تعالى تكرارا، وفي الكلام التفات من ضمير التكلم إلى الغياب، وإظهار اسم الله في موضوع الإضمار لإفادة أن عواقب الأمور كلها إليه سبحانه.

وفي تفسير معنى العرض والأمانة أقوال كثيرة لمن رغب بالرجوع إليها، ولعل الأنسب ما ذكرنا لو قورنت بما ذكره القوم، والله أعلم.

قوله (وكان الله غفورا رحيما) أي: وكان الله موصوفة ذاته بكثرة المغفرة للمؤمنين، وبكثرة الرحمة بهم.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ثم أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها، إنها عرضت على السماوات المبنية والأرض المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها، ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عز لامتنعن، ولكن أشفقن من العقوبة، وعقلن ما جهل من هو أضعف منهن، وهو الإنسان، إنه كان ظلوما جهولا. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

سورة سبأ

مكية، وهي أربع وخمسون آية

السورة مكية افتتحت واختتمت ببيان كمال الحمد له تعالى على نعمته، واختصاصه بالبعث، وأكدته مرة بعد مرة، وعرضت آيات السورة أصول العقيدة كالتوحيد والنبوة والمعاد، وأبطلت شبهات المعترضين حول ذلك، بحسن الحوار والموعظة الحسنة، وذكرت السورة جانبا من قصة النبي داوود وسليمان لبيان المنة ووجوب شكر الله تعالى عليها.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾

قوله (الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض) صيغة التحميد إنشاء ثناء لله تعالى وتعليم للعباد في كونه المستحق لكل ثناء، ولذلك يصرح باسم الله دائما، لأن عموم جنس كل حمد منته إليه تعالى، فكل موجود مرتبط به غير مستقل عنه يستمد بقاءه منه سبحانه، واللام في (لله) و(له) لام الملك والاختصاص، وفائدة الإتيان باسم الموصول وصلته لبيان تعليل إنشاء الحمد.

وافتتاح السورة بصيغة التحميد منبئ بغرضها القائم على إثبات دلائل التوحيد، وما يتعلق به من إرسال الرسل، ومسألة المعاد.

وفي نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عليه السلام: الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره، وسببا للمزيد من فضله ودليلا على آلائه وعظمته. انتهى.

قوله (وله الحمد في الآخرة) تقديم (له) للقصر، وتعريف لفظ الحمد قصر ثان في الله تعالى، وشبه الجملة (في الآخرة) قيد ظرفي، لأن في الآخرة تحقيقا لمعنى الحمد الخالص لله، فالحقائق تتكشف فلا حمد لغيره سبحانه.

قوله (وهو الحكيم الخبير) أي: وهو الله تعالى المستحق وحده للحمد الحكيم المتقن لما خلق في الدنيا والآخرة، والخبير العليم بما دق وخفي من قول أو فعل يثيب عليه الطائعين ويعاقب بسببه العاصين.

والكلام مؤكد بأشد تأكيد، فضمير الفصل للقصر، وتعريف لفظ الحكيم قصر ثان.

قوله تعالى ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ﴾

قوله (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها) الكلام تفصيل لمعنى (الحكيم الخبير)، وصيغ المضارع للتجدد والاستمرار، وعلم الله ثابت قديم جيء به بالمضارع باعتبار تجدد فعل الموجود، والولوج الدخول بتلبس، بدليل الظرفية (في)، وتعريف الأرض للعموم.

والخروج ضد الولوج، يراد به ظهور ما كان مستورا كخروج النبات من الأرض، وخص جملتي الولوج والخروج بالعلم من دون ذكر الدبيب مثلا لما فيهما من خفاء واستتار، ولأنهما كناية عن كل متحرك.

قوله (وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) الواو للعطف على (يعلم)، والنزول أصله هبوط الشيء من علو، و(من) ابتدائية، والسماء كل ما يعلو، كنزول الماء من السحاب، والعروج الصعود يقابل النزول، ومن أمثلته صعود الأبخرة إلى الجو لتتكثف منها السحب ويحصل بها المطر، أو عروج الأرواح بعد قبضها إليه تعالى، أو صعود الأعمال التي يجازى عليها العبد.

قوله (وهو الرحيم الغفور) أي: وهو وحده تعالى كثير الرحمة بالمؤمنين، وكثير الغفران للتائبين.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ ﴾

قوله (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) وهم كفار قريش فقد كانوا يصرون على جحود الآخرة مع وضوح الدلائل، وإسناد فعل الإتيان إلى الساعة وهي يوم القيامة من باب المجاز العقلي للمبالغة، لأن الله تعالى هو

الذي يؤتي بها ولا تكون إلا بأمره، ونفي الإتيان مجاز لنفي وقوع يوم القيامة.

قوله (قل بلى وربي لتأتينكم) الكلام رد من الله على لسان نبيه، وتستعمل (بلى) في إيجاب النفي لإبطاله، والقسم بلفظ الرب مضافا إلى ياء النبي ﷺ لتشريف الرسول ﷺ، واللام في (لتأتينكم) واقعة في جواب القسم، وفعل الإتيان بمعنى حتمية وقوع يوم القيامة.

قوله (عالم الغيب) صفة للرب المقسم به، وإضافة اسم الفاعل إلى مفعوله للمبالغة، والغيب كل ما غاب عن الحس، وفيه إشارة إلى اختصاص علمه تعالى بقيام الساعة.

قوله (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض) الجملة تبيين لمعنى علم الله للغيب، والعزوب الخفاء، وتعديته بـ (عن) لتضمنه معنى البعد، والهاء فيها بمعنى: عن علم الله، ومثقال الذرة تقريب لصورة علم الله تعالى بما دق من الأشياء سواء في أقصى ما تصوره الإنسان في عموم السموات، أو بما قرب منه في عموم الأرض، والمثقال اسم آلة لوزن أصغر ما يظهر به الثقل، والذرة أخف الأوزان وأحقرها في المقدار، وشكلها ما يتطاير في الهواء في كوى الضوء أو أشعة الشمس.

والمراد من هذا التصوير لعلم الله تعالى الإشارة إلى إبطال حجة المشركين في إنكارهم المعاد لنفي إمكان رجوع الأجساد، لأنها تصبح رميما تختلط أجزاؤها ببعض.

قوله (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين) العطف بمعنى نفي خفاء ما هو أصغر من مثقال الذرة عن علمه تعالى، وذكر (ولا أكبر) للاستقصاء، لأن العلم بالأصغر مقتض للعلم بالأكبر، والكتاب المبين لأن كل شيء مقيد في اللوح المحفوظ، ثابت لا يتغير ولا يتبدل وإن زال رسمه.

قوله تعالى ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾

قوله (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات) جملة غاية للمعاد، وهو مجازاة المؤمنين، واللام في (ليجزي) للتعليل، والجزاء إعطاء الغير ما يستحقه، وجملة الموصول وصلته تعليل لما سينوه بهم من نوع الجزاء.

قوله (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) اسم الإشارة للتنويه بالمؤمنين العاملين، وتقديم (لهم) للاهتمام، وتنكير لفظي المغفرة والرزق للتعظيم، والرزق الكريم كناية عن الجنة، لأنه وافر كثير لا ينتهي.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥ ﴾

قوله (والذين سعوا في آياتنا معاجزين) العطف على (الذين آمنوا) لأنه علة ثانية للقيامة، والتقدير: وليجزي الذين سعوا، والمراد بهم الكافرون

المصرون على إنكار البعث، والسعي الجد في المشي وهو دال على الاهتمام، و(في) بمعنى لأجل، وآيات الله آياته النازلة في القرآن، فقد وضع المشركون جل اهتمامهم في الكفر بها وصد الناس عنها، ونصب (معاجزين) حال من الضمير في (سعوا)، وهو مبالغة في (معجزين)، والكلام مبني على الاستعارة بالكناية تشبيها للآيات بالمسافة التي يحث فيها المشركون الخطى للسبق في صد الناس عن الإيمان بها.

قوله (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) جملة قابلت التي قبلها في جزاء المؤمنين، ولفظ الإشارة لجدارة الكافرين بما أشير به إليهم من عذاب، وتنكير اللفظ للنوعية، و(من) للتبيين، والرجز الرجس القذر، ووصفه بالأليم مبالغة يراد به المؤلم.

قوله تعالى ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾

قوله (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق) فعل الرؤية للرؤية العلمية، والذين أوتوا العلم هم علماء المسلمين، والذي أنزل إلى الرسول ﷺ من ربه هو القرآن، وجملة الموصول محلها النصب لأنها مفعول أول لـ (يرى). و(من) ابتدائية، وجملة (هو الحق) مفعول ثان، وضمير الفصل للقصر. وكون القرآن حقا لأنه ثابت الصدور من الله لا ارتياب فيه ولا تغيير ولا تبديل.

قوله (ويهدي إلى صراط العزيز الحميد) الواو للعطف على (الحق) من عطف الفعل على المصدر لأنه في قوته. وفاعل (يهدي) القرآن على سبيل المجاز العقلي، لأن الإيمان به سبب إلى سبيل الله الذي كني عنه بصفة العزيز الحميد ليقابل ما ذكر من توصيف الكافرين بالمعاجزين، فالله عزيز لا يغلب في سلطانه، وحميد محمود في أفعاله.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ ﴾

قوله (وقال الذين كفروا) الواو للعطف على قوله (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة)، ويراد بهم كفار قريش، لذكر أفانين أباطيلهم، والقرآن عبر عنهم بصفتهم في جملة الموصول لأن الكفر أثبت لهم وألزم.

قوله (هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق) الاستفهام من مشركي مكة على سبيل الاستهزاء بالنبي ﷺ، ومضمونه الإنكار للبعث، كأنهم استدلوا بما ذكروا على صحة ما زعموا من إنكار الساعة. وتنكير لفظ الرجل للاستخفاف، والإنباء الإعلام، والتمزيق التقطيع، وفعله ومصدره الميمي كناية عن تفتت أجزاء الأجساد في التراب بعد الموت، وجملة الظرف لـ (إذا) تقدمت للاهتمام، لأن أصل الكلام: ينبئكم إنكم لفي خلق جديد إذا مزقتم كل ممزق.

قوله (إنكم لفي خلق جديد) الإخبار ليس جوابا لـ (إذا) الظرفية، بل لأنه مقول الفعل (ينبئكم)، و(في) للملابسة الظرفية، والخلق الجديد كناية عن إعادة أجساد الموتى بعد فنائها للبعث والحساب، فهو خلق جديد من هذه الناحية.

قوله تعالى ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ٨ ﴾

قوله (أفترى على الله كذبا أم به جنة) الكلام تتمة لقول كفار مكة، والاستفهام منهم على سبيل التعجيب من بعث الموتى، بمعنى: أهو عاقل من يكذب على الله بادعاء إعادة خلق الأجساد بعد فنائها أم به جنون لا يدرك ما يقول، وضمير الغائب في الفعل (افترى) و(به) راجع إلى النبي ﷺ.

قوله (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) الكلام رد من الله تعالى على قول مشركي مكة، وتفيد (بل) الإعراض عما رددوا من قول. ونفي الإيمان بالآخرة كناية عن إنكار المعاد، و(في) للتلبس الظرفي، أي: مستقرون في العذاب، والإتيان بجملة الموصول وصلته لبيان علة ما بعده من استحقاق العقاب.

وتعريف العذاب للعهد، وهو عذاب النار الذي توعدهم به الله على لسان رسوله، والضلال البعيد هو الضلال الذي لا يؤمل منه رجوع إلى هدى. والعطف لأنه تلبس ثان.

قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾

قوله (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) الفاء للتفريع، والاستفهام يفيد التقرير والتوبيخ على إنكارهم البعث، وهم محاطون بالأرض والسماء المسخرتين بأمره تعالى، فلو شاء لا أرض تقلهم ولا سماء تظلهم. وأريد بقوله (ما بين أيديهم) الكناية عن جهة القدام، لذلك قابله بقوله (وما خلفهم)، و(من) بيانية، وليس ذكر السماء والأرض من باب اللف والنشر، بل المراد إحاطة السماء والأرض بمن ينظر من أمام أو من خلف.

قوله (إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) الكلام تبيين للتقرير والتوبيخ، والتعليق على المشيئة في الترديد بـ (أو) بين الخسف والإسقاط لبيان كمال القدرة الإلهية، والخسف بالأرض يكون بإحداث الاضطراب فيها فتبتلعهم بزلزالها، والإسقاط نزول الشيء من

علو، وحرف الاستعلاء في (عليهم) مجاز للتمكن، والكسف القطع و(من) ابتدائية، ولفظ السماء تقال لما علا.

قوله (إنّ في ذلك لآية لكل عبد منيب) اسم الإشارة إلى ما تقدم من إحاطة السماء والأرض بوصفهما منقادتين لقدرته سبحانه، والآية العلامة الدالة على كمال التوحيد والألوهية، واللام المقترن بلفظ الكل للملك، والعبد المنيب العبد الراجع إلى ربه، وخص الآية لعموم المنيبين، لأنهم لا يجترئون على الاستهزاء بالنبي ﷺ وبآيات الله، وفي الكلام تعريض بمشركي مكة وباستكبارهم الذي كان سببا في استعلائهم على الإيمان بالله.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾

قوله (ولقد آتينا داود منا فضلا) ذكر جانب من قصة داوود وسليمان وقصة سبأ شواهد لبيان المنة ووجوب شكر الله تعالى عليها، والقسم والتحقيق في (لقد) لأهمية الإخبار، والإتيان الإعطاء، وداوود صاحب المزامير، أحد أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى، وحرف الابتداء في (منا) ابتدائية، والنون نون العظمة، والفضل زيادة العطاء، وتنكيره للتعظيم، فقد آتى الله داوود الزبور والحكمة، وسخر له الجبال والطير تسبح معه، وألان له الحديد.

قوله (يا جبال أوّبي معه والطير) الكلام تبيين لجملة الإيتاء، والمراد أمر الله الجبال والطير للتسبيح بترجيع الصوت مع داوود، يؤيده قوله تعالى في موضع آخر (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب) [ص ١٩]، وهو أوفق من القول بتفسير التأويب بمعنى: إن الجبال كانت تسير معه إذا سار، والتأويب الترجيع بالتسبيح مع داوود، مأخوذ من الأوب وهو الرجوع، فكان إذا سبح داوود ربه رجعت الجبال التسبيح معه بأصدائها والطير بأصواتها.

وروي عن الصادق عليه السلام في حديث يذكر فيه قصة داود عليه السلام قال: إنه خرج يقرأ الزبور، وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر إلاّ أجابه. ذكر في كمال الدين. انتهى.

وخطاب الجبال بندائها وإنزالها منزلة العقلاء، دون تكرار الفعل (وآتينا) لبيان كمال العزة لله، وأن كل شيء منقاد لمشيئته غير ممتنع على إرادته.

وتقديمها على الطير من باب تقديم الأغرب، لأنه أظهر للمقدرة والمعجزة، فالجبال توصف بالجوامد والطير حيوان متحرك.

قوله (وألنا له الحديد) أي: وجعل الله لأجل داوود الحديد لينا مطاوعا له، يتصرف فيه كما يشاء كما يفعل بالطين والعجين، من دون تسليط النار عليه وضربه بالمطرقة.

قوله تعالى ﴿ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١ ﴾

قوله (أن اعمل سابغات) جملة مفسرة لإلانة الحديد، وعمل السابغات بمعنى: صنع الدروع الواسعة الضافية، وداوود أول من اتخذ صنعة الدروع من البشر، بتعليم الله، فقد كانت من قبل صفائح، فكان يبيعها ويأكل هو وعياله بثمنها، وروي عن الصادق عليه السلام قوله: إن الله أوحى إلى داود عليه السلام: نعم العبد أنت إلا أنك تأكل من بيت المال، فبكى داود أربعين صباحا، فألان الله له الحديد، وكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بألف درهم، فعمل ثلاثمائة وستين درعا، فباعها بثلاثمائة وستين ألفا، فاستغنى عن بيت المال. ذكر في المجمع. انتهى.

قوله (وقدر في السرد) أي: نسج الدرع ونظمها بحيث تكون مساميره مناسبة لا صغيرة دقيقة فيقلق نسج الدرع، ولا كبيرة غليظة فتفصم الحلق.

والتقدير التعديل والاقتصاد، ومفعول فعله محذوف تقديره: وقدر المسامير والحلق، والسرد التتابع، قال الطبرسي: وهو مأخوذ من سرد الكلام يسرد سردا، إذا تابع بين بعض حروفه وبعض. ذكر في مجمع البيان. انتهى.

قوله (واعملوا صالحا) الأمر لداوود وقومه بالعمل الصالح، وهي الطاعات شكرا لله تعالى على عظيم مننه ونعمه.

قوله (إني بما تعملون بصير) إخبار ظاهره واضح، ومضمونه يفيد معنى الأمر بالشكر في (واعملوا)، والبصير كناية عن العالم المطلع.

قوله تعالى ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر) العطف بمعنى: وسخرنا لسليمان الريح، وتسخيرها بأن جعل الله تعالى الريح طوع أمر نبيه سليمان.

وجملة الغدو والرواح موقعها الحال، والعامل فيه ما تقدر من معنى التسخير، والغدو أول النهار إلى الظهر، والرواح من الظهر إلى آخر النهار، والمعنى: تسخير الله لسليمان الريح في تنقله، بأن اختصرت له المسافات فأصبح مسير شهرين من الغدو والرواح للراكب مسير يوم واحد لسليمان.

قوله (وأسلنا له عين القطر) أي: وأذبنا لأجل سليمان النحاس، فسالت كالعين الجارية.

قوله (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه) أي: وجمع من الجن من يعمل أمامه حاضرا غير خفي بين يديه بعلم الله وتسخيره، وفي الكلام

معنى أن الله كلف بعض الجن للعمل كأسراء بإمرة سليمان بتغيير خلقهم على سبيل الإعجاز.

قوله (ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) أي: ومن ينحرف من بعض الجن عن أمر الله، فيعصي سليمان، ولم يطعه نذقه عذاب النار في الدنيا قبل الآخرة.

قوله تعالى ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾

قوله (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل) أي: الجن يعملون لأجل سليمان ما يرغب من أماكن العبادة لله وهي المحاريب، وصنع التماثيل وهي الصور المجسمة لأشكال الملائكة وصور السباع والبهائم، وكان ذلك جائزا في شريعتهم.

وجاء في المجمع: وكان مما عملوه بيت المقدس، وقد كان الله عز وجل سلط على بني إسرائيل الطاعون، فهلك خلق كثير في يوم واحد، فأمرهم داود أن يغتسلوا، ويبرزوا إلى الصعيد بالذراري والأهلين، ويتضرعون إلى الله لعله يرحمهم، وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد، وارتفع داود فوق الصخرة، فخر ساجدا يبتهل إلى الله سبحانه، وسجدوا معه فلم يرفعوا رؤوسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون، فلما أن شفع الله داود في بني إسرائيل جمعهم داود بعد ثلاث، وقال لهم: إن الله تعالى قد منّ عليكم

ورحمكم، فجددوا له شكرا بان تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم فيه مسجدا، ففعلوا وأخذوا في بناء بيت المقدس، وكان داود ينقل الحجارة لهم على عاتقه، وكذلك خيار بني إسرائيل، حتى رفعوه قامة، ولداود يومئذ سبع وعشرون ومائة سنة، فأوحى الله إلى داود أن تمام بنائه يكون على يدي ابنه سليمان، فلما صار داود ابن أربعين ومائة سنة توفاه الله، واستخلف سليمان فأحب إتمام بيت المقدس، فجمع الجن والشياطين، وقسم عليهم الأعمال، يخص كل طائفة منهم بعمل، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها [البلور] الأبيض الصافي من معادنه، وأمر ببناء المدينة من الرخام والصفاح، وجعلها اثني عشر ربضا، وأنزل كل، ربض منها سبطا من الأسباط. ولما فرغ من بناء المدينة، ابتدأ في بناء المسجد، فوجه الشياطين فرقا: فرقة يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها، وفرقة يقلعون الجواهر والأحجار من أماكنها، وفرقة يأتون بالمسك، والعنبر، وسائر الطيب، وفرقة يأتون بالدر من البحار، فأوتي من ذلك بشيء لا يحصيه إلا الله تعالى، ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الأحجار حتى صيروها ألواحا، ومعالجة تلك الجواهر واللآلئ. قال: وبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض، والأصفر، والأخضر، وعمده بأساطين المها الصافي، وسقفه بألواح الجواهر، وفضض سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت والجواهر، وبسط أرضه بألواح الفيروزج، فلم يكن في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد، كان يضئ في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناه لله

تعالى، واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا، فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزا بخت نصر بني إسرائيل، فخرب المدينة وهدمها، ونقض المسجد، وأخذ ما في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر واليواقيت والجواهر فحملها إلى دار مملكته من أرض العراق. انتهى.

قوله (وجفان كالجواب وقدور راسيات) أي: وصنع الجفان، وهي قصاع الطعام الكبيرة التي تسع كثرة السدنة والخدم، وشبهها بالجوابي وهي الحياض العظيمة التي يجبى فيها الماء للشراب لسعتها.

والقدور جمع قدر، وهي التي يطبخ فيها الطعام، وهي راسيات ثابتات لأن الطبخ فيها مستمر صباح مساء، فهي لا تزال من أماكنها، وفي الكلام محسن بديعي من وزن الرمل اتفاقا.

قوله (اعملوا آل داود شكرا) الأمر بمعنى: قلنا لهم يا آل داوود اعملوا بطاعة الله شكرا له تعالى على ما أنعم عليكم وآتاكم من فضل، والآل أخص من الأهل ويراد به داوود وابنه سليمان ومتعلقيهم، ونصب لفظ الشكر لأنه مفعول لأجله.

قوله (وقليل من عبادي الشكور) التقديم للاهتمام، والأصل: والشكور قليل من عبادي، والشكور صيغة مبالغة من تكرار الشكر واستمراره من المؤمن، ولفظ الشاكر من يقع منه الشكر، و(من) للتبعيض، ولا يخلو الكلام من تعليل أي إن الشاكرين لله قليل من عبادي فكثروهم بشكركم.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلاّ دابة الأرض) الفاء للتفريع، و(لما) حرف شرط يفيد التوقيت، وقضاء الله على سليمان الموت بمعنى إيجابه عليه وحلول سببه فيه، وجملة (ما دلهم) جواب (لما)، وضمير الغائبين في (دلهم) راجع إلى أهل مملكته، أي: لم يعرفوا أن سليمان توفي إلا حينما أكلت الأرضة عصاه، فخر ساقطا على وجهه، ودابة الأرض الأرضة على ما ذكرت الروايات.

قوله (تأكل منسأته) الجملة موقعها الحال، ومضارع فعل الأكل لاستحضار الحالة، والمنسأة العصا العظيمة.

قوله (فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) الكلام متفرع على قوله (ما دلهم)، والخرور السقوط، والتبين التعرف على أمر مجهول، و(أن) حرف نسخ مخفف من (أن) الثقيلة.

والجن الكائنات المخلوقة من النار التي سخر الله بعضها لأمر سليمان، واللبث طول البقاء.

ومن السياق، يبدو أن سليمان عليه السلام قبض واقفا متكئا على عصاه، وبقي على تلك الحال حتى أرسل الله الأرضة تأكل في منسأته، فلما انكسرت

العصا وسقط سليمان على الأرض علم أهل بلاطه بموته، وأدركت الجن جهلها بالغيب، وأنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما بقوا مهانين في العذاب المذل طوال مدة قبض سليمان إلى حين خروره، وقيل إن التبيين للإنس بمعنى أبانت الجن للإنس، لأنهم كانوا يظنون أن الجن تعلم الغيب.

وروى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن سليمان أمر الشياطين فعملوا له قبة من قوارير، فبينا هو قائم متكئ على عصاه في القبة ينظر إلى الجن كيف يعملون، وهم ينظرون إليه، ولا يصلون إليه، إذا رجل معه في القبة، فقال: من أنت؟ فقال: أنا الذي لا أقبل الرشى ولا أهاب الملوك، فقبضه وهو قائم متكئ على عصاه في القبة، قال: فمكثوا سنة يعملون له، حتى بعث الله الأرضة، فأكلت منسأته، وفي حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فكان آصف يدبر أمره حتى دبت الأرضة. ذكر في علل الشرائع، والمجمع. انتهى.

قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾

قوله (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) ذكر سبأ لبيان سوء عاقبة الكفور بعد بيان حسن عاقبة الشكور، وفيها ردع لمشركي قريش لأن حالهما متشابهان.

وسبأ هم العرب العاربة باليمن سموا بذلك نسبة إلى جدهم أبي عرب اليمن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، و(في) للملابسة الظرفية، والمسكن موطن السكن والاستقرار، ولفظ الآية بمعنى الحجة على توحيد الله تعالى، وتنكيرها للتعظيم.

قوله (جنتان عن يمين وشمال) ارتفع (جنتان) لأنه بدل من (آية)، وشبه الجملة محلها الصفة لـ (جنتان)، أي: عن يمين مسكنهم وعن شماله، أي إن بلادهم عامرة بالبساتين متصلة ببعضها.

قوله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) الأمر بالأكل للإباحة، و(من) بيانية، للتذكير بمنة الله عليهم، والرزق كناية عن ثمر الجنتين، وإضافة الرب إلى كاف خطابهم لتذكيرهم بعبوديتهم له تعالى، وتعقيب الأمر بشكره لأن من الواجب ذلك بعد ذكر الرزق، وتعدية الفعل باللام في (له) للتأكيد والاختصاص.

قوله (بلدة طيبة ورب غفور) أي هذه بلدة طيبة، وهي طيبة باعتبار صلاح المقام فيها لأنها مخصبة نزهة وذات ثمر متنوع كثير وليس فيها ما يؤذي من الهوام، والرب الغفور الرب الكثير الغفران والتجاوز عمن أساء.

قوله تعالى ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾

قوله (فأعرضوا) الفاء للتفريع، والإعراض كناية عن تنكرهم لنعم الله عليهم بتجاهل شكرها، وبعدم قبول دعوة أنبيائهم إلى التوحيد بالله.

قوله (فأرسلنا عليهم سيل العرم) الفاء للترتيب الذكري، والمراد إغراقهم بالسيل، والعرم السيل الكثير الذي لا يطاق، وهو من إضافة الموصوف إلى الصفة للمبالغة، وذكر أن الماء كان يأتي أرض سبأ من أودية اليمن وكان يجتمع ماء السيول وماء المطر بين جبلين كانا فيها، فصنع أهل سبأ سدا، ليأخذوا منه الماء بقدر حاجتهم، فلما أعرضوا عن شكر الله، وكذبوا رسله بعث الله جرذا نقبت سدهم، ففاض الماء عليهم وأغرقهم.

قوله (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل) أي: وبدلهم الله بجنتيهما العامرتين بالخيرات بجنتين موصوفتين بما ذكر من سوء الشجر، وسميت بالجنتين على سبيل المشاكلة، كما في قوله تعالى (ومكروا ومكر الله) [آل عمران ٥٤]، والأكل أي الثمر المأكول، ولفظ الخمط صفة للأكل أي ثمر مر المذاق، ولفظ الأثل وشيء معطوف على الأكل أي وذواتي أثل وشيء من السدر، والأثل الطرفاء أي الشجر الكبير الذي لا ثمرة فيه، والسدر النبق ووصفه بالقليل بمعنى أن أكثر الشجر من الأثل والخمط.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله (ذلك جزيناهم بما كفروا) أي: ذلك التبديل للجنتين بأخريين من الخمط والأثل مجازاة على سوء أعمالهم وكفرهم، واسم الإشارة محلها المصب لفعل الجزاء، والباء في (بما) للسبب، أي: بسبب كفرهم.

قوله (وهل نجازي إلاّ الكفور) أي: ولا نجازي بهذا الجزاء إلا الكفور المصر على الكفر.

قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

قوله (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة) الواو للعطف على قوله (كان لسبأ) لبيان تتمة الكلام حول قصة سبأ، والضمير في (بينهم) راجع إلى سبأ، ووصف القرى بأنها مباركة لعموم خيراتها، وهي قرى الشام، والقرى الظاهرة مفعول ثان لفعل الجعل ووصفها بالظاهرة لأنها متصلة ببعض فكانت الثانية ترى من الأولى لقربها منها، فكانوا لا يحتاجون في تجارتهم من سبأ إلى الشام إلى زاد لأنهم يبيتون في قرية ويقيلون بأخرى حتى يرجعوا.

قوله (وقدرنا فيها السير) أي: عدلنا في سير السفر بين اليمن والشام من القرية إلى القرية مقدارا واحدا، نصف يوم، للتخفيف عنهم.

قوله (سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) أي: وقلنا لهم بلسان الحال: سيروا في تلك القرى ليلا إن شئتم أو نهارا في حال من الأمن، والكلام إشارة إلى تكامل نعم الله عليهم في السفر كما في الحضر.

قوله تعالى ﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩ ﴾

قوله (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) الفاء تفيد التفريع، والقول من أهل سبأ بطر للنعمة وبغي، فقد سألوا الله أن يجعل المفاوز والفلوات بين اليمن والشام ليركبوا إليها الرواحل ويقطعوا المنازل لأنهم ملوا من الراحة، فمعنى (باعد بين أسفارنا) أي اجعل أسفارنا ذوات مسافات بعيدة، فهم قابلوا نعمة الله بالكفران بدلا من شكرها، كما فعل بنو إسرائيل حين سألوا الثوم والبصل مكان المن والسلوى، قال تعالى (فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها) [البقرة ٦١].

قوله (وظلموا أنفسهم) أي: وظلموها بارتكابهم المعاصي وإصرارهم على الكفر.

قوله (فجعلناهم أحاديث) الفاء للتفريع، أي: عاقبهم الله فاستأصلهم وجعلهم خبرا من الأخبار تتناقله الناس من جيل لجيل.

قوله (ومزقناهم كل ممزق) كناية عن شدة تفريقهم في الأرض أشتاتا بعد أن كانوا مجتمعا واحدا حتى ضرب بهم المثل في التفرقة فقيل (تفرقوا

أيادي سبأ)، والتمزيق التقطيع، وفي المجمع: في الحديث عن فروة بن مُسَيْك [بالتصغير] قال: سألت رسول الله ﷺ عن سبأ أرجل هو أم امرأة؟ فقال: هو رجل من العرب ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاؤم أربعة فأما الذين تيامنوا فالأزد وكندة ومذحج والأشعرون وأنمار وحمير، فقال رجل من القوم: ما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة، وأما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان. انتهى.

قوله (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي: إن في ذلك الذكر من قصة سبأ لآيات دالة على وجوب مقابلة النعم بالشكر لمن كان كثير الصبر في جنب الله، متواصل الشكر له سبحانه.

وذكرت قصة أهل سبأ في المجمع: ألقت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عامر الذي يقال له مزيقياء بن ماء السماء، وكانت قد رأت في كهانتها أن سد مأرب سيخرب، وأنه سيأتي سيل العرم، فيخرب الجنتين. فباع عمرو بن عامر أمواله، وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكة، فأقاموا بها وما حولها، فأصابتهم الحمى، وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى، فدعوا طريفة، فشكوا إليها الذي أصابهم، فقالت لهم: قد أصابني الذي تشكون، وهو مفرق بيننا. قالوا: فماذا تأمرين؟ قالت: من كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد، ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد، وكانت أزد عمان. ثم قالت: من كان منكم ذا جلد وقسر، وصبر على أزمات الدهر، فعليه بالأراك من بطن مر، وكانت خزاعة. ثم قالت: من كان منكم يريد الراسيات في الوحل، المطعمات في المحل، فليلحق بيثرب ذات النخل،

وكانت الأوس والخزرج. ثم قالت: من كان منكم يريد الخمر والخمير، والملك والتأمير، وملابس التاج والحرير، فليلحق ببصرى وغوير، وهما من أرض الشام، وكان الذين سكنوها آل جفنة بن غسان. ثم قالت: من كان منكم يريد الثياب الرقاق، والخيل العتاق، وكنوز الأرزاق، والدم المهراق، فليلحق بأرض العراق، وكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش، ومن كان بالحيرة، وآل محرق. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

قوله (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) الكلام كناية عن الحكاية عن قول إبليس في قوله تعالى (فبما أغويتني لأقعدن لكم صراطك المستقيم) [الأعراف ١٦]، وقوله (ولأغوينهم أجمعين) [ص ٨٢]، وتصديق الظن بمعنى أن إبليس أصاب ظنه في متابعتهم إياه، لأن قوله ظن لم يكن عن علم وتحقيق، ونصب اللفظ على نزع الخافض بمعنى: في ظنه، وحرف الاستعلاء في (عليهم) دال على تمكن وسوسة الشيطان منهم، والضمير فيه راجع إلى عامة الناس ويدخل فيه أهل سبأ.

قوله (فاتبعوه إلاّ فريقا من المؤمنين) الفاء للتفريع، والاتباع الطاعة، والضمائر في الفعل بمعنى: فأطاعوا إبليس فيما دعاهم إليه من الإعراض عن الإيمان بالله والكفر بنعمه، ونصب المستثنى بـ (إلا) لأنه منقطع، و(من) بيانية.

قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ۝٢١ ﴾

قوله (وما كان له عليهم من سلطان إلاّ لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) أي: إنا لم نمكن الشيطان من إغوائهم إلا لنميز بين من يقبل منه وبين من يمتنع، فنعذب من أطاعه ونثيب من خالفه.

والنفي بمضي الكون من أشد النفي، وحرف الجر في (عليهم) دال على نفي الاستعلاء والتمكن، والضمير (هم) راجع إلى عامة الناس كما في السابق، و(من) زائدة لتقوية نفي العموم، والسلطان الحجة القاهرة، والمعنى: أن كفرهم باختيار منهم لا بإجبار الشيطان لهم على فعل ذلك، فوسوسته إضلال وتزيين لا ترفع عنهم مسؤولية الاختيار في اتخاذ القرار، فهم ليسوا بمعذورين، قال تعالى في الحكاية عن تبرؤ إبليس من أتباعه يوم القيامة (ما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) [لإبراهيم ٢٢].

وفعل العلم بمعنى التمييز بين الفريقين، لأن الثواب والعقاب لا يكون إلا بعد وقوع ما يستحقون به ذلك، وأما العلم، فالله تعالى عالم بأحوالهم وما يكون منها فيما لم يزل، وخولف في جملة الصلتين، فجيء بالجملة الفعلية (من يؤمن بالآخرة) لأن الإيمان بالآخرة غير مستقر في نفوسهم بل طارئ على كفرهم، بينما جيء بالجملة الإسمية (ممن هو منها في شك) لأن إنكار المعاد مترسخ فيهم ثابت في نفوسهم.

و(من) في (ممن) للتمييز، وفي (منها) متعلق بفعل الشك، والهاء راجعة إلى الآخرة، و(في) للملابسة الظرفية من الارتياب.

قوله (وربك على كل شيء حفيظ) الخطاب من الله تعالى لنبيه ﷺ لكمال العناية والاهتمام، وتقديم شبه الجملة للاهتمام. والحفيظ مبالغة في الحفظ والعلم، أي عالم بكل شيء فلا يفوته علم شيء من عموم أحوالهم من شكهم أو إيمانهم أو كفرهم، فيثيب ويعاقب على ما يفعلون.

قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) الأمر بفعل الدعوة موجه إلى كفار مكة، نوع توبيخ لهم، يراد به إبطال ألوهية آلهتهم، أي: اسألوا أصنامكم التي تعبدونها من دون الله ما تحتاجون، والزعم الادعاء بالقول من دون دليل، ومفعوله محذوف دل عليه السياق أي: زعمتم الألوهية للأصنام.

قوله (لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض) في الكلام حذف دل عليه النفي تقديره: لا يستجيبون لكم لأنهم لا يملكون مثقال ذرة من خير أو شر في السموات والأرض، فليس لهم من شؤون الألوهية شيئا مما ينفع البشر كي يتخذوا آلهة.

قوله (وما لهم فيهما من شرك) نفي الشركة مع الله تعالى في ملك السموات والأرض، واللام في (لهم) لنفي الملك عن المزعومين آلهة، و(من) زائدة لنفي عموم الشركة.

قوله (وما له منهم من ظهير) أي: وليس لله منهم أي معين يعينه فيما يفترض فيه نقص الحاجة إلى إعانتهم، و(من) في (منهم) للتبيين، أو التبعيض، و(من) الثانية زائدة لتقوية عموم النفي.

والكلام ينفي بالعقل زعم الألوهية لمعبودات المشركين فهي لا تستجيب لدعوة داع لأنها لا تملك ذرة من ملك السموات والأرض وليس لها شركة مع الله ولا يحتاجها الله في إعانة، لأنه تعالى الغني.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣ ﴾

قوله (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) الشفاعة الوساطة للآخر بالخير، وإنما ذكرت الشفاعة، لأن المشركين زعموها شفعاء لهم عند الله رب الأرباب، وهم يعنون الشفاعة في الدنيا لقضاء حاجاتهم وليس شفاعة الآخرة لأنهم لا يعترفون بالمعاد أصلا.

وهي للشافع ليست مستقلة عن إرادة الله وهو معنى الاستثناء بالإذن، لأن من يأذن له الله تعالى بالشفاعة مملوك لله ضمنا مقر بعبوديته لربه كالملائكة والأنبياء والأولياء، أما الآلهة المزعومون فهم لا يملكون تلك

الاستقلالية من رأس، وعلى فرض أن الله إذن لهم بأن يشفعوا في غيرهم فمعناه أنهم سيدخلون في حيز ملكيته تعالى فينتفي بذلك ادعاء الشركة لهم معه سبحانه.

واللام في (لمن) تحتمل الملك والتعليل، قال في الكشاف: أي لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له، أو لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له: أي لشفيعه، أو هي اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمرو: أي لأجله وكأنه قيل: إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله، وهذا وجه لطيف وهو الوجه، وهذا تكذيب لقولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله). انتهى.

قوله (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم) تفيد (حتى) معنى الابتداء لانتهاء الغاية وهي متصلة بما قبلها، و(فزع عن قلوبهم) كناية عن إزالة الخوف منها على عادة لغة العرب في إحلال القلب محل الإدراكات النفسية، وضمير الجمع في (قلوبهم) و(قالوا) و(ربكم) راجع إلى الملائكة يسأل بعضهم بعضا على سبيل التباشر لإطلاق الإذن بعد طول تربص وفزع، وهو فزع تلبس التذلل بانتظار أوامر الله لأنهم ذاقوا حلاوة معرفته، ودال من السؤال والجواب على أن الملائكة مراتب في القرب والتلقي منه تعالى.

والكلام في معنى قوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلاّ من أذن له الرحمن وقال صوابا) [النبأ ٣٨].

وهذا التفسير أنسب في عود الضمير من القول بأنه راجع إلى المشركين، وغيره من أوجه الأقوال.

وفي صفة الملائكة جاء قوله عليه السلام في نهج البلاغة: أنشأهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات، أولي أجنحة تسبح جلال عزته لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعته، ولا يدّعون أنهم يخلقون شيئا مما انفرد به، بل عباد مكرمون (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)، جعلهم فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه، وحمّلهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه، وعصمهم من ريب الشبهات، فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته، وأمدّهم بفوائد المعونة، وأشعر قلوبهم تواضع إخبات السكينة وفتح لهم أبوابا ذللا إلى تماجيده. انتهى.

قوله (قالوا الحق) أي: قالوا القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى، ولفظ الحق بمعنى الثابت لا سبيل إلى تبدله وبطلانه.

قوله (وهو العلي الكبير) أي وهو الله تعالى العلي المطاع الذي دونه كل شيء، وهو الكبير في قدرته الذي يصغر عنده كل شيء، وليس للملائكة إلا تلقي قوله الحق وامتثال أوامره تعالى، والفاصلة بديعة الاتصال بسياق الآية.

قوله تعالى ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

قوله (قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله) أمر بتوجيه الخطاب إلى المشركين، للاحتجاج بتذكيرهم أنهم مستظلون بظل الله ليست لهم القدرة على الاستقلال عنه تعالى، وذكر الرزق لأن فيه عمدة بقائهم أحياء، فهو احتجاج من جهته، وأسلوب السؤال والإجابة من دونهم لتجاهلهم، لأنهم ليسوا أحرياء بالتحاور، ورزق الله من السماء يكون بإنزال الماء الذي فيه الحياة لكل شيء، ورزق الله من الأرض إخراج النبات.

قوله (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) الكلام مبني على إعطاء الإنصاف في الحجاج، وليس من باب الشك، كيلا يكاشف خصمه بالتضليل، ونحوه قول أبي الأسود الدؤلي يمدح أهل البيت عليهم السلام:

يقول الأرذلون بنو قشير طوال الدهر لا تنسى عليا

بنو عم النبي، وأقربـــوه أحــب الناس كلهم إليـــا

فإن يك حبهم رشدا أصبه ولست بمخطئ إن كان غيا

فقوله الأخير ليس لشك في حبهم، وقد أيقن أن محبتهم رشد وهدى.

والتقدير في الآية: وإنا على هدى وأنتم في ضلال، أو أنتم على هدى ونحن في ضلال، فانظروا فيما ألقي إليكم من حجج واختاروا منصفين، وضمير النصب (إياكم) على تقدير: وأعني إياكم.

واللام في (لعلى) لتأكيد خبر (إن)، واقتران (على) بلفظ الهدى لإفادة التمكن والاستعلاء المجازي من استشراف سبيل الهدى، ومنه قول أمير

المؤمنين عليه السلام: وإني لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطا. ذكر في نهج البلاغة. انتهى. بينما اقتران (في) الظرفية بلفظ الضلال لإفادة التلبس بالضلالة والانغمار فيها بحيث لا يهتدي الضال بسببها طريق منجاته.

قوله تعالى ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

قوله (قل لا تسئلون عما أجرمنا) نفي السؤال يراد به نفي الحساب، والإجرام فعل الجرم وهو الذنب، وإسناده إلى أنفس المتكلمين دون المخاطبين من أدب الخطاب يراد به جلب الخصم للتأثير في إقناعه.

قوله (ولا نسئل عما تعملون) جملة مقابلة أي: لا نحاسب على أعمالكم.

قوله تعالى ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾

قوله (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق) أريد بالجمع الحشر يوم الحساب، و(ثم) للترتيب الذكري، والفتح كناية عن التمييز بين هذا الفريق وذاك، والباء المقترن بلفظ الحق للملابسة، والحق العدل.

قوله (وهو الفتاح العليم) جملة تقرير، وضمير الفصل للقصر راجع إلى الله، والفتاح صيغة مبالغة في الفتح والتمييز، والعليم مبالغة في كثرة العلم الذي لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾

قوله (قل أروني الذين ألحقتم به شركاء) أمر بعد أمر لإفادة توبيخ المشركين، والمراد بجملة الموصول وصلته معبوداتهم التي زعموها شركاء لله، والأمر بالإراءة بمعنى إنكار أن يكون في آلهتهم صفة لمعنى الألوهية فهي ادعاء لا حقيقة له، والإلحاق في أصل معناه إضافة على الجوهر، أي إن صفة الألوهية لمعبوداتهم مجترحة مزعومة على جوهرها الخالص لله تعالى، ولفظ الشركاء أريد به معبوداتهم المزعوم لها الشركة مع الله، ونصب على الحال.

قوله (كلا بل هو الله العزيز الحكيم) النفي بت (كلا) يفيد الزجر، و(بل) انتقال بالكلام مما تقدم إلى إثبات ما بعده، والمعنى مؤكد بأشد التأكيدات لقوة تحقيقه، فضمير الفصل قصر، ولفظ الجلالة للتعظيم، وأل العزيز قصر آخر، والعزيز القوي الذي لا يقهر فلا يشاركه أحد في مملكته، والحكيم العليم بعاقبة الأمور فلا يعاجل بالعقوبة.

قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله (وما أرسلناك إلاّ كافة للناس) الكلام معطوف على ما قبله، لأنه انتقال من ذكر التوحيد إلى ذكر النبوة، لإثبات كمال الوحدانية لأن البعثة العامة للرسول ﷺ دليل على أن الله واحد، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

والخطاب في الآية من الله تعالى لنبيه ﷺ مؤكد بالقصر بالنفي والاستثناء، أي: قصرنا بعثتك في كف الناس عن الشرك بالله وفعل المعاصي، ونصب (كافة) على الحال، وأصله كافا، والكف دفع الضر بالكف، وزيدت التاء للمبالغة كما قالوا في راوية وعلامة، واللام المقترن بلفظ الناس للعلة بمعنى لأجل عموم الناس من غير نظر إلى فئة أو قومية، بل لسائر الأمم.

وعن الرسول ﷺ قوله: أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي: بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود وإنما كان النبي يبعث إلى قومه، ونصرت بالرعب يرعب مني عدوي على مسيرة شهر، وأطعمت المغنم، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأعطيت الشفاعة فادخرتها لأمتي إلى يوم القيامة وهي إن شاء الله نائلة من لا يشرك بالله شيئا. ذكر في المجمع والدر المنثور. انتهى.

قوله (بشيرا ونذيرا) حال ثانية أو بدلا من (كافة)، يؤكد معنى الكف، لأن البشير المبشر للآخر بخبر يسره، وهو الجزاء بالخير على الأعمال الصالحة، وأما النذير فهو المخوف من عاقبة فعل المعاصي.

قوله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الاستدراك لأثبات جهل الناس بجوهر الرسالة الإلهية وعموم نفعها لهم.

قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله (ويقولون متى هذا الوعد) القائلون هم مشركو مكة للرسول ﷺ، والسؤال المحكي عنهم على سبيل الاستهزاء، واسم الإشارة منهم للاستخفاف، والمقصود بسؤالهم عن الوعد ما يتوعدهم به الرسول ﷺ من البعث والنشور، وما يعقبه من عذاب إذا أصروا على الشرك.

قوله (إن كنتم صادقين) تعليق الصدق على تحقيق الوعد مبالغة منهم في تعجيز الرسول ﷺ وتحديه.

قوله تعالى ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله (قل لكم ميعاد يوم) الأمر من الله تعالى على لسان نبيه للرد على سؤالهم بحتمية وقوع المعاد، وتنكير لفظ اليوم أريد به تعظيم يوم القيامة وتوصيفه بما بعده.

قوله (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) جملة النفي محلها الصفة للفظ اليوم، والمراد به ثبات موعده وتأكيد تحقيقه، وجملتا الاستئخار

والاستقدام متقابلتان في المعنى، أريد بهما المبالغة في نفي تأخيرهم عن ساعة معادهم بأن يزاد في آجالهم، ونفي تقديمهم عليه بأن ينقص منها.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

قوله (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) الكلام معطوف على قوله (وما أرسلناك إلا كافة للناس)، والقول من مشركي مكة، والمعنى أنهم لا يؤمنون بالقرآن ولا بأي كتاب سماوي سابق كالتوراة والإنجيل، لأنهم وثنيون، لا يعتقدون بالإله الواحد ولا ببعثة الرسل، واسم الإشارة لاستخفافهم بكتاب الله أو للتأكيد، وصيغة (بين يديه) كناية عن السبق، والهاء عائدة إلى القرآن.

قوله (ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم) الخطاب للنبي ﷺ، والرؤية للعلم والبصر، و(إذ) للظرفية المجازية كمتعلقة بـ (ترى)، وأل (الظالمون) للعهد يراد بهم (الذين كفروا) لأنهم ظلموا حق ربهم في الوحدانية وظلموا أنفسهم، و(موقوفون) محبوسون بعد حشرهم للحساب بين يدي ربهم.

قوله (يرجع بعضهم إلى بعض القول) أي: يجيب بعضهم على بعض متلاومين متخاصمين فيما بينهم، كلٌّ يلقي باللائمة على صاحبه بسبب الإضلال.

قوله (يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين) جملة بيان لمراجعة الكلام، و(الذين استضعفوا) هم الأتباع يحملون (الذين استكبروا) سبب إضلالهم عن الإيمان بالله وبالرسول في الدنيا، والاستضعاف مبالغة في الضعف في المال والقوة، والاستكبار مبالغة في الكبر، والأداة (لولا) أداة وجود لامتناع، بمعنى وجودكم منعنا من الإيمان بالله، ولا متعلق لـ (مؤمنين) لأنه أريد به المعنى الاصطلاحي، وهو الإيمان بالله ورسوله.

قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ ﴾

قوله (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا) الفصل للمحاورة بين الأتباع والمتبوعين يوم القيامة.

قوله (أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم) الاستفهام لإنكار صد الأتباع المستضعفين عن دين التوحيد، ولفظ الهدى يراد به القرآن والإسلام، والمراد نفي سلب اختيارهم وإجبارهم على الشرك.

قوله (بل كنتم مجرمين) تأكيد بأن الكفر راسخ في نفوسهم، وباختيار منهم، والتصريح بلفظ المجرمين إقرار من بعضهم على بعض بتشنيع الشرك بالله.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

قوله (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) الواو دال على استمرار التلاوم والتخاصم بين أهل الشرك في موقف الحساب وإن جرى بأسلوب المحاورات المقتضي للفصل.

قوله (بل مكر الليل والنهار) تفيد (بل) للإضراب الانتقالي في الكلام، وإضافة المكر إلى الظرف من باب المجاز العقلي للمبالغة، أي بل مكركم إيانا ليل نهار هو الذي أوقعنا في الضلالة وأجبرنا على اتباعكم.

قوله (إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) الجملة تفسير للمكر، والمضارع في الأمر لاستمرار الفعل من المستكبرين، وقد يراد بـ (تأمروننا) معنى لسان الحال في أن مكانتهم وسلطتهم بمنزلة الأمر بالقول

والتحريض، والهاء في (له) راجع إلى الله، والأنداد الأمثال أي الأصنام المتخذة معبودات آلهة.

قوله (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أي: المستضعفون أخفوا ندامتهم لما أيقنوا بالعذاب لئلا يشمت بهم أهل الإيمان، والإسرار كناية عن ظهور رذائلهم النفسية لأن في ذلك اليوم لا خفاء ولا إسرار، وهو نظير كذبهم على الله وإنكارهم الشرك به وحلفهم على ذلك، ورؤية العذاب للعيان، والعذاب عذاب النار.

قوله (وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) الأغلال جمع غل وهي القيود التي تقيد حركتهم، وخصوص جعلها في أعناقهم كناية عن إذلالهم في قيادتهم على رؤوس الأشهاد إلى عذاب النار، كما تقاد الدابة من عنقها، ويراد بـ (الذين كفروا) الكافرون المستضعفون والمستكبرون.

قوله (هل يجزون إلاّ ما كانوا يعملون) الكلام تعليل وتأكيد، أي: لا يجزون إلا ما كانوا يعملون في عالم التكليف.

قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ ﴾

قوله (وما أرسلنا في قرية من نذير إلاّ قال مترفوها) أسلوب العموم والتأكيد المشدد في الكلام لأن سنة الأمم الكافرة واحدة في الكفر بأنبيائها، وفي الكلام تعريض بقريش، والإرسال البعث بالنبوة، ودلالة الملابسة

الضمنية في (في) دون استعمال (إلى) لإفادة أن المرسل ملازم لأهل القرية ليس بغريب عنها، ولفظ القرية يراد به الحاضرة حيث مجمع كثرة الناس وأهل الحل والعقد، وتنكيره للعموم، وفي ذكرها إشارة ضمنية إلى قرية مكة وأهلها، و(من) زائدة لتقوية نفي العموم، والنذير المخوف من عواقب الكفر، ويراد به الرسول النذير واختياره دون البشير لمناسبته سياق ذكر المترفين، و(إلا) أداة استثناء منتقضة بـ (ما) النافية، والمترفون أهل السعة ويراد بهم المتبوعون وأئمة الكفر الذين أنساهم بطر العيش ذكر الله وقسّى قلوبهم، والهاء في اللفظ راجع إلى القرية.

قوله (إنا بما أرسلتم به كافرون) أي: إنا كافرون بالقرآن، وهي المعجزة التي تأيد بها النبي ﷺ، والباء الأولى في (بما) متعلقة بلفظ الكافرين، والباء الثانية في (به) متعلقة بفعل الإرسال لتضمنه معنى التأييد، والهاء راجع إلى الضمير في (ما)، وإنما استعملوا الإبهام في اسم الموصول لإظهار تجاهلهم وشدة إعراضهم عن القرآن.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ ﴾

قوله (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) القول من الكافرين المترفين المتنعمين شبهة أوهموا بها أنفسهم وأتباعهم، بمنزلة العلة لكفرهم في سنة الأمم الكافرة ومنها مترفو قريش، فقد جعلوا كثرة الأموال والأولاد كرامة لهم من الله وأنها دلالة على رضاه عنهم، لذلك مهدوا لشبهتهم بنتيجة مزعومة بأنهم لن يعذبوا.

قوله (وما نحن بمعذبين) أي: لا ينزل بهم العذاب الذي يعدهم به رسلهم، لأنهم باعتقادهم بما أعطوا من أموال وأولاد مرضيون عند الله فلا يعذبهم.

قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٦ ﴾

قوله (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) القول رد من الله تعالى بلسان نبيه ﷺ على شبهات الكافرين، لأن القول جاء من عتاة قريش وإن وقع عاما لكل مترفي الأمم السابقة، وإضافة الرب إلى ياء التكلم لأن المخاطبين لا يؤمنون بالربوبية الواحدة بل يعتقدون بتعددها في آلهتهم، وأن الرزق أوكل إلى أحدها، ولذلك تأكد الكلام بـ (إن) بذكر الرزق لأنها من شأن الله وحده.

وبسط الرزق كناية عن سعته على قدر الكفاية، وقدره كناية عن تضييقه عن قدر الكفاية، ومشيئة الله في البسط والقدر لمعرفته سبحانه وحده فيما يصلح لعباده.

قوله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الاستدراك لإفادة جهل أكثر الناس بهذه الحكمة الإلهية في بسط الرزق وقدره.

قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ ﴾

قوله (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) الكلام من تمام الرد على قولهم (وما نحن بمعذبين)، والمعنى إن انتفاء العذاب غير مترتب على كثرة الأموال والأولاد بل بالإيمان والعمل الصالح.

والتقريب في (تقربكم عندنا زلفى) يقابل انتفاء العذاب، ولفظ الزلفى بدل من التقريب.

قوله (إلا من آمن وعمل صالحا) أي: إلا من آمن وعمل صالحا في ماله بأن أنفق منها في سبيل الله، وفي ولده بأن أحسن تربيتهم، فهذان القيدان بهما يتقرب إلى الله، لا بغيرهما.

قوله (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) الفاء للتفريع، واسم الإشارة للتنويه بما سيخبر عنهم من جزاء الضعف يوم القيامة، وجزاء الضعف أي الجزاء المضاعف من الأجر بسبب أعمالهم الصالحة.

قوله (وهم في الغرفات آمنون) أي: وهم في القصور العالية في الجنات آمنون مطمئنون من العذاب، والغرفة أعلى البيت.

وفي تفسير القمي: ذكر رجل عند أبي عبد الله عليه السلام الأغنياء ووقع فيهم فقال أبو عبد الله عليه السلام: اسكت فإن الغني إذا كان وصولا لرحمه، بارا بإخوانه أضعف الله له الأجر ضعفين لأن الله يقول: (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلاّ من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون). انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨ ﴾

قوله (والذين يسعون في آياتنا معاجزين) الضمير في اسم الموصول عائد إلى الكافرين الذين يجتهدون في إبطال آيات الله وتكذيبها وصد الناس عن الإيمان بها، ونصب (معاجزين) على الحال من (يسعون)، أي: يريدون أن يعجزوا الأنبياء في رسالتهم ويسبقونهم في صد الناس عن الإيمان بدعوة التوحيد.

قوله (أولئك في العذاب محضرون) لفظ الإشارة لجدارتهم بما يخبر عنهم، أي (في) للتلبس الظرفي، وأل العذاب للعهد أي عذاب النار، و(محضرون) أي: مجلوبون قهرا كما يُحضر المذنب أمام القاضي للقصاص منه.

قوله تعالى ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩ ﴾

قوله (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) تكرار الكلام لأن فائدته مختلفة، فالأول أريد به توبيخ الكافرين، وأما الثاني فهو وعظ للمؤمنين لتحقيق سعادتهم بدليل ما بعده.

قوله (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) الكلام تحبيذ لهم على الإنفاق في سبيل الله، و(ما) اسم شرط، والإنفاق صرف المال في وجوه البر، و(من) زائدة لتأكيد عموم أشياء الإنفاق قليلا كان أو كثيرا من المال ونحوه، والفاء في (فهو) واقعة في جواب الشرط، والضمير عائد إلى الله تعالى، والإخلاف العوض والإبدال، في الدنيا بزيادة النعمة، وفي الآخرة بجزيل الثواب، ومضارع الفعل لتجدده.

قوله (وهو خير الرازقين) أي: وهو الله تعالى أفضل الرازقين، لأن رزقه فضل محض منه على عباده لا يريد به نفعا ولا يدفع به ضرا، لاستحالة ذلك عليه.

والأحاديث في فضل الإنفاق كثيرة متواترة، كقوله ﷺ عن جابر: كل معروف صدقة، وما وقى به الرجل عرضه فهو صدقة، وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها، ضامنا إلا ما كان من نفقة في بنيان، أو معصية. ذكر في المجمع. انتهى.

وفى الكافي بإسناده عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من صدق بالخلف جاد بالعطية. وفيه بإسناده عن سماعة عن أبي

الحسن ﷷ قال: قال رسول الله ﷺ: من أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة. انتهى. وفي نهج البلاغة قوله ﷷ: من أيقن بالخلف جاد بالعطية. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

قوله (ويوم يحشرهم جميعا) أي: واذكر يوم القيامة وهو يوم حشرهم جميعا، أي: العابدون لغير الله، والمعبودون من الملائكة، وفاعل الحشر الله تعالى.

قوله (ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) العطف بـ (ثم) للترتيب الذكري، الاستفهام للتقرير لإفادة تبرؤ الملائكة من عابديهم إخزاء لهم، مثل قوله تعالى مخاطبا عيسى ﷷ (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) [المائدة ١١٦]، والإشارة بـ (هؤلاء) إلى الكافرين، وضمير النصب بمعنى: أهؤلاء قصدوكم بالعبادة.

قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

قوله (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم) القول من الملائكة يبرئون أنفسهم فيصرحون بعدم رضاهم بعبادة غير الله تبكيتا للمشركين، فقدموا أولا في جوابهم تنزيه الله عما لا يليق بساحة عظمته من شرك، ثم قصروا

الولاية فيه تعالى، لنفي الرضا عن عبادة غيره، ولم يذكروا لفظ العابدة تنزها لساحة قدسه، ولم يستعملوا النفي المباشر، بل استعملوا إيجاب توليته تعالى من دون المشركين لأنها أثبت في النفي وأجلب لأدب الجواب.

قوله (بل كانوا يعبدون الجن) إضراب يراد به تأكيد أن عبادة المشركين كانت للجن لا للملائكة، لأن الملائكة لم يرضوا بعبادة غير الله بينما الجن ارتضوها، دفعا لشرورهم، وقد كان الوثنيون يعبدون الملائكة طمعا في خيراتها، ويعبدون الجن دفعا لشرورها، ويعبدون كمل البشر كعيسى وغيره، والمراد بفعل العبادة معنى الطاعة.

قوله (أكثرهم بهم مؤمنون) أي: أكثر الكافرين مصدقون بعبادة الجن مطيعون لهم.

قوله تعالى ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) الفاء للتفريع، واليوم للعهد وهو يوم القيامة، والمعنى: لا يملك العابدون والمعبودون نفعا من شفاعة ولا ضرا بالتعذيب.

قوله (ونقول للذين ظلموا) أي: الذين كفروا، والقرآن يسمي المشركين ظالمين غالبا.

قوله (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) الأمر بالإذاقة زيادة في إهانتهم، لأنهم كانوا ينكرون المعاد والعذاب، وجملة الموصول محلها الصفة للنار.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) الكلام حكاية عن حال الكافرين وقت تلاوة آيات الكتاب على مسامعهم، ويفيد حرف الاستعلاء في (عليهم) تمام تبليغ الآيات بحيث تمكنت من مسامعهم، ليكون في ذلك التمكين مزيد حجة عليهم، ولفظ البينات حال مقيدة للآيات، وهي الواضحات الدالة على توحيد الله.

قوله (قالوا ما هذا إلاّ رجل) قولهم المحكي دال على شدة استهزاء مشركي مكة بالرسول ﷺ، لأنه هو الذي يتلو عليهم آيات الله، واسم الإشارة، وتنكير لفظ الرجل دالان على التحقير.

قوله (يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) الجملة موقعها الصفة للرجل، وفعل الإرادة يقال لشدة العزم، والقول منهم تحريض على دعوة النبي ﷺ بتهييج عصبيتهم العمياء لسنة آبائهم في العبادة الشركية، والصد المنع، والآباء تقال للأجداد والأعمام مثلما تقال للآباء الصلبيين.

قوله (وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى) قول ثان من مشركي مكة اتهموا به القرآن بأن مفترى مكذوب من محمد ﷺ على الله، واسم الإشارة لتمييز القرآن، ولا يراد به هنا التحقير، لأنهم كانوا قد أقروا بأنه كلام رفيع لا يشبه كلامهم، ولا هو من الإنس ولا من الجن.

والإفك يقال للشيء المصروف عن وجهته ويراد به صرف ما في القرآن من آيات من جهة إلى جهة، ووصفه بأنه مفترى أي قول محرف عن حقيقته مكذوب على الله.

قوله (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم) القول من المشركين افتراء ثالث على معجزة القرآن الذي كني عنه بلفظ الحق، ردا على وصفهم له بأنه مفترى، ولفظ الحق باعتبار صدق صدوره وثبات كلماته، والتصريح بأنهم كفروا لتعليل جرأتهم على وصف القرآن بالسحر.

قوله (إن هذا إلاّ سحر مبين) أي: ما هذا إلا سحر مبين، وأريد باسم الإشارة الاستخفاف بكتاب الله، ووصفه بالسحر باعتبار قدرته على تغيير من يهتدي به من حال الكفر إلى حال الإيمان، ووصفه بالمبين لوضوح قدرته على تغيير من هداهم الله.

قوله تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ٤٤ ﴾

قوله (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) الإخبار يراد به أن تكذيب مشركي مكة للقرآن ليس عن علم ومعرفة بل عن جهل وعناد، فالله تعالى لم ينزل عليهم كتابا يتعلمون به أن ما جاء به النبي ﷺ حق أو باطل، والإتيان الإعطاء، و(من) زائدة لتأكيد نفي عموم الكتب، وجملة (يدرسونها) موقعها الحال. والتدريس التعليم.

قوله (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أي: ولم نرسل إليهم من قبلك أيها النبي ﷺ رسولا أخبرهم ببطلان قولك.

قوله تعالى ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥ ﴾

قوله (وكذب الذين من قبلهم) الكلام في غاية التهديد لكفار قريش بذكر أحوال الأمم السابقة على نحو الإجمال، والذين من قبلهم هم جميع الأمم البائدة التي كذبت أنبياءها فأنزل الله عليهم عذاب إفنائهم، وضمير الجمع في (قبلهم) راجع إلى قريش.

قوله (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) أي: وما وصل مشركو مكة عشر ما آتى الله الأمم السابقة من قوة ومنعة وعمران ومال، كقوم عاد وثمود، وضمير الجمع الأول في (بلغوا) راجع إلى قريش، والثاني في (آتيناهم) عائد إلى الأمم.

قوله (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) الفاء الأولى للتفريع، والثانية للتعقيب، وتكذيب الرسل إنكار نبوتهم وجحود معجزاتهم، وإضافة الرسل إلى ياء الجلالة لتعظيمهم، ولتبشيع جرم أقوامهم، والسؤال بـ (كيف) لإفادة تهويل سوء عاقبة القوم المكذبين، والنكير العذاب المنكر الذي كان به استئصالهم من شأفتهم.

والالتفات في الكلام من الغيب إلى ضمير التكلم لتهويل جرم التكذيب وتعظيم العذاب.

قوله تعالى ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ٤٦ ﴾

قوله (قل إنما أعظكم بواحدة) الأمر بـ (قل) يراد به خطاب قوم النبي ﷺ لوعظهم، والواحدة صفة لموصوف محذوف تقديره: بكلمة واحدة، اختصار للموعظة.

قوله (أن تقوموا لله مثنى وفرادى) جملة تفسير للفظ لجملة الوعظ، والقيام يراد به الإقبال والاهتمام لأجل وجه الله لا الوقوف على الأرجل، و(مثنى وفرادى) موقعهما الحال والعطف على الحال، بمعنى: اثنين اثنين وواحدا واحدا، كناية عن تفرقهم، لأن فيه فرصة لأنفسهم بالتدبر من دون تأثير العقل الجمعي في إذهاب العقل.

قوله (ثم تتفكروا) العطف بـ (ثم) لإفادة الترتيب الذكري، والتفكر يراد به التدبر بأحوال الرسول ﷺ، والنظر في سيرته وصدقه وأمانته من قبل البعثة ومن بعدها، ويجب الوقوف على الجملة وفصلها عما بعدها.

قوله (ما بصاحبكم من جنة) الجملة منفية، والتقديم للاهتمام وأصله ما جنة بصاحبكم، والصاحب كناية عن نفس الرسول ﷺ، ويراد بها الصحبة الملازمة، وهي صحبة المساكنة لهم أربعين عاما، فإن الرسول ﷺ من بيئتهم وأحد أفرادهم، وزيدت (من) لتقوية عموم النفي، والجنة المس والجنون ويراد به نفي ذهاب العقل.

قوله (إن هو إلاّ نذير لكم) أي: ما هو إلا رسول من عند الله ينذركم عاقبة كفركم.

قوله (بين يدي عذاب شديد) كناية عن شدة قرب وقوع القيامة، ومنه قول الرسول ﷺ: بعثت في نَفَس الساعة.

قوله تعالى ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ ﴾

قوله (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم) الكلام تلقين من الله تعالى لرسوله ﷺ في الاحتجاج على قريش بأن دعوته لهم بالتوحيد خالصة لوجه الله لا يبتغي منها عوضا ومقابلا أو سلطة، ومعنى الشرط بـ (ما) وجوابه، إن أنا

طلبت منكم أي مقابل فهو لكم، ولازمه نفي سؤالهم، و(من أجر) أي: من عموم أي مقابل.

ويجوز أن تكون (ما) نافية، و(من) زائدة لتأكيد نفي العموم. و(فهو لكم) مفرع على النفي، لكن الأول أوفق.

قوله (إن أجري إلاّ على الله) تعليل للنفي، وفي مضمونه أن ثواب رسالته لا يجزيها سوى الله بثوابه، والكلام مؤكد بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء.

قوله (وهو على كل شيء شهيد) العطف بالواو بمعنى: أن أجر الرسول ﷺ وعمله منظوران مشهودان منه تعالى، وضمير الفصل للقصر، وتقديم الظرف للاهتمام. والشهيد العليم، لأن الشاهد الحاضر الذي يحضر الشيء ويراه.

قوله تعالى ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝٤٨﴾

قوله (قل إن ربي يقذف بالحق) أمر بعد أمر لفعل القول، لإفادة مزيد من إلقاء الحجج على قريش، وفعل القذف مستعار للإلقاء، وفيه اعتماد ودفع، والحق المقذوف استعارة بالكناية عن نزول القرآن بالوحي إلى نفس الرسول ﷺ، يراد به إمحاء أثر الباطل، والكلام في معنى قوله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) [الأنبياء ١٨].

قوله (علاّم الغيوب) خبر ثان، والعلام صيغة مبالغة من كثرة علم الله تعالى لكل ما غاب عن الحس.

قوله تعالى﴿ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ٤٩ ﴾

قوله (قل جاء الحق) مجيء الحق استعارة لنزول القرآن الذي به يتميز الحق من الباطل.

قوله (وما يبدئ الباطل وما يعيد) جملة مقابلة وكناية عن إبطال أثر الباطل، فلا إبداء له ولا إعادة، ولا إقبال ولا إدبار، لأن الحق لم يبق له بقية.

وفي الصحاح والسنن وغيرها من مصادر التفسير، عن ابن مسعود قال: دخل رسول الله ﷺ مكة، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد). انتهى.

قوله تعالى﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ٥٠ ﴾

قوله (قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي) احتجاج بعد احتجاج لبيان أثر الحق، والشرط على سبيل الفرض، والإضلال إضاعة الصواب، وعود الضلال على النفس، لأن الإنسان من نفسه أن يضل، ويعود عليه وبال ضلاله فيؤاخذ به دون غيره، ولفظ الوحي حق مطلق لا يقبل التخطئة.

قوله (وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي) أي: وإن اهتديت إلى الحق فبفضل ربي إذ أوحي إلي فله المنة دون خلقه، والباء في (فبما) للسبب.

قوله (إنه سميع قريب) الفصل للتعليل، والهاء في (إنه) ضمير الشأن للتعظيم، والسميع صيغة مبالغة في سماع دعوة عباده، ولفظ القريب بمعنى لا يخفى عليه المحق والمبطل، وصفة القرب للأعراض مستعملة مجازا لشدة العلم، وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام: قريب من الأشياء غير ملامس. انتهى.

وفي آيات الكتاب العزيز تفصيل لمعنى القرب، قال تعالى (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون) [الواقعة ٨٥]، وأكثر منه في قوله: (من حبل الوريد) [ق ١٦]، وأكثر منه في قوله: (إن الله يحول بين المرء وقلبه) [الأنفال ٢٤].

قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾

قوله (ولو ترى إذ فزعوا) أي: ولو ترى يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الكافرين وقت حلول الموت فيهم، أو حين وقوع القيامة، إذ فزعوا وخافوا، وحذف جواب (لو) لإفادة تهويل منظر الكافرين في تصورهم كل تصور.

قوله (فلا فوت) الفاء للتفريع، و(لا) نافية للجنس، والفوت الفوات أي: لا يفلتون من العقاب.

قوله (وأخذوا من مكان قريب) أي: أمسكوا من مكان قريب لا يمكنهم أن يفلتوا منه، والكناية في صيغة (من مكان قريب) تفيد المبالغة من التمكين في الأخذ، وبناء فعل الأخذ على المجهول لإفادة معنى أخذ الله بلا وسائط.

وإذا أريد بالأخذ يوم القيامة فسيكون بمعنى أن إلقاءهم في النار لا يتأخر لأنها قريبة منهم، فيكون القرب مستعملا في معناه الحقيقي.

قوله تعالى ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ٥٢﴾

قوله (وقالوا آمنا به) أي: الكافرون - ومنهم كفار مكة - أقروا بالإيمان بالمعاد وقت يوم القيامة، وعلى السياق ترجع الهاء في (به) إلى القرآن، لأنهم كانوا ينكرونه في حياتهم الدنيا.

قوله (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) الاستفهام للإنكار، والتناوش تناول الشيء بيسر، و(من) ابتدائية، والمكان البعيد تشبيه تمثيلي لبعد عالم الآخرة عن الحياة الدنيا، فقد أصبحت محالا لا يمكن تناوله بعد وقوع البعث، وبين قوله (مكان قريب) وقوله (مكان بعيد) طباق بديعي.

والمعنى: إن هذا الإيمان لا ينفعهم بشيء، لأنه إيمان قهر وإلجاء لا إيمان اختيار، ولا يمكن إعادتهم إلى عالم التكليف بعد انقضائه.

وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام في صفة الموتى: لقد استخلوا منهم أي مدكر، وتناوشوهم من مكان بعيد أفبمصارع آبائهم يفخرون؟ أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟ يرتجعون منهم أجسادا خوت، وحركات سكنت. انتهى.

هذا بحسب ظاهر المعنى للآية، فقد قيل في تفسيرها إلى آخر الآيات في السورة: إن المقصود به ظهور القائم المهدي عجل الله فرجه، فقد ذكر في كتب التفسير كالثعلبي ـ وغيره ـ في تفسيره، عن أبي حمزة الثمالي قوله: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام، والحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام يقولان: هو جيش البيداء، يؤخذون من تحت أقدامهم، قال: وحدثني عمرو بن مرة، وحمران بن أعين أنهما سمعا مهاجرا المكي يقول: سمعت أم سلمة تقول: قال رسول الله ﷺ: يعوذ عائذ بالبيت فيبعث الله إليه جيشا حتى إذا كانوا بالبيداء، بيداء المدينة، خسف بهم. وروي عن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: فبينا هم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس، في فور ذلك، حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين: جيشا إلى المشرق، وآخر إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة ـ يعني بغداد ـ فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويفضحون أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة، فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فيخرج راية هدى من الكوفة، فيلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويحل الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام بلياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبرائيل، فيقول: يا جبرائيل، اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة، يخسف الله بهم عندها،

ولا يفلت منهم إلاّ رجلان من جهينة، فلذلك جاء القول: وعند جهينة الخبر اليقين، فذلك قوله (ولو ترى إذ فزعوا) إلى آخره. انتهى.

وعلق الشيخ الطبرسي بقوله: وروى أصحابنا في أحاديث المهدي عن أبي عبد الله عليه السلام، وأبي جعفر عليه السلام مثله. انتهى.

أقول: والروايات في هذا المعنى كثيرة معتبرة.

قوله تعالى ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾

قوله (وقد كفروا به من قبل) الجملة موقعها الحال بمعنى: وكيف يردون إلى عالم الدنيا أو تقبل توبتهم وقد كفروا بالله من قبل ذلك، أي: أن الكفر مترسخ في نفوسهم لا تقبل أي هداية.

قوله (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) الواو للعطف على الحال، والجملة حال ثانية، وفعل القذف استعارة للرجم بالظن، ومضارعه دال على استحضار الحالة، ومتعلقه محذوف دل عليه ما تقدم في قوله (وقد كفروا به من قبل)، أي: يقذفون أباطيل الكفر ظنا من دون دليل.

وشبه الجملة (بالغيب) موقعها الحال، والباء فيه للملابسة، وتعريف الغيب للجنس، أي جنس ما غاب عن حس الإنسان، والمعنى: أنهم يقولون رجما بالغيب من غير دليل بإنكار المعاد والجنة والنار.

و(من) ابتدائية، و(مكان بعيد) مستعمل في معناه الحقيقي لأن من يقذف شيئا لا يراه لا يصيبه في العادة، كذلك حال الكافرين بالمعاد أو القرآن أو البعث ينكرونها جزافا بلا دليل، بينما استعمال (مكان بعيد) في الآية السابقة استعمال مجازي كما اتضح.

قوله تعالى ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

قوله (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) أي: حال الموت أو العذاب يوم القيامة بين الكافرين وبين ما اشتهوا من نجاة وتوبة أو رد إلى الدنيا.

قوله (كما فعل بأشياعهم من قبل) أي: كما حال نزول العذاب بأمثالهم من الأمم البائدة في الحياة الدنيا بينهم وبين طلب النجاة وإعلان التوبة، كحال قوم نوح أو حال فرعون، والأشياع جمع الجمع، تقول شيعة وشيع واشياع.

قوله (إنهم كانوا في شك مريب) الفصل للتعليل. أي: إنهم كانوا متلبسين في الشك من أمر البعث، فكانوا ينكرون وقوعه، فلا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب فيهم، ولفظ المريب مبالغة بمعنى مشكك، كما يقال: عجب عجيب.

سورة فاطر

مكية، وهي خمس وأربعون آية

السورة مكية، غرضها بيان الوحدانية الإلهية وما تعلق بها من إرسال الرسل ومبدأ المعاد، وفي خلال ذلك عرضت الآيات جملة من الحجج الدالة على إثبات ذلك، فذكرت من نعمه العظيمة السماوية، ومنها خلق الملائكة التي افتتحت السورة بذكرهم بوصفهم وسائطه تعالى في إنزال رحمته وتدبيره، وكذا من نعمه إرسال الرياح وإنزال الغيث، وعرضت الآيات بعض مننه تعالى على الإنسان في الأرض كإنبات النبات وتسخير البحار لحمل الفلك، وتدبيره سبحانه في عدم استواء البحرين، واختلاف الليل والنهار وغيرها من المنن الأرضية.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ١ ﴾

قوله (الحمد لله فاطر السماوات والأرض) خامس السور القرآنية التي افتتحت بصيغة تحميد الله بعد سورة الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ، وفي

افتتاحها بذلك إشارة إلى غرض السورة وهي إثبات الوحدانية، ومر تفسير الحمد.

و(فاطر السماوات والأرض) موجدها إيجادا ابتدائيا، لأن الفطر أصله الشق وهو مجاز في إظهار الشيء المضموم، و(فاطر) وإضافته صفة لله، والإتيان بها تعليل للتحميد، وذكر السموات والأرض لبيان كمال القدرة الإلهية ويراد بها ما فيهما من خلق، والسموات نظام الأجرام السماوية للمجموعات الشمسية اللامتناهية المبنية على حساب دقيق في السباحة في الفضاء من غير أن يختل أو ينهار.

قوله (جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع) والجعل هنا بمعنى الخلق، والملائكة مخلوقات من نور محضهم الله للخير، عباد مكرمون دأبهم الطاعة لله، والعطف بذكرهم علة للحمد، لأنهم وسائطه في إيصال نعمه تعالى إلى خلقه، ولا يعني ذلك احتياجه تعالى إليهم، سبحانه الغني عما خلق، ولكنه سبحانه خلق الوجود مبنيا على نظام العلة وأعطى لكل مخلوق من مخلوقاته تكليفا يحاسب به عليه.

و(رسلا) لأن الله جعلهم وسائطه إلى خلقه في العالم المشهود ينزلون بأوامره التشريعية والكونية، وصفتهم (أولي أجنحة) أي ذوات أجنحة يطيرون بها، وهي مجهزة بأنواع منها مثنى أي اثنين اثنين، وثلاث أي ثلاثة ثلاثة ورباع أي: أربعة أربعة، وقد يراد بها الاستعمال المجازي باعتبار أنهم يتنقلون طائرين بين السماء والأرض، أمثال الاستعمالات المجازية الكثيرة كألفاظ العرش والكرسي واللوح والقلم والميزان، وهذا

القول أوفق لطبيعتهم النورانية، ولعل ذكر الأجنحة يراد بها غايتها في التجهيز بقدرة التنقل السريع بين العوالم.

قوله (يزيد في الخلق ما يشاء) أي: ويزيد الله تعالى في تجهيز الملائكة ما يشاء بحسب حكمته.

واستشهد الرضا عليه السلام بالآية فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حسِّنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا، وقرأ (يزيد في الخلق ما يشاء). ذكر في العيون. انتهى.

وفي التوحيد بإسناده عن زرارة عن عبد الله بن سليمان عن الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول: إن القضاء والقدر خلقان من خلق الله يزيد في الخلق ما يشاء. انتهى.

وذكر في المجمع في قوله تعالى: (يزيد في الخلق ما يشاء) مرويا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن. انتهى.
أقول: والكلام أقرب إلى كونها مصاديق للآية، لا حصر التفسير فيها.

قوله (إن الله على كل شيء قدير) الفصل للتعليل، فالله قدير في إيجاد المعدودات ومنها زيادة الأجنحة للملائكة.

وفي ذكر صفة الملائكة قال أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه: أنشأهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات، أولي أجنحة تسبح جلال عزته لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعته، ولا يدعون أنهم يخلقون شيئا مما انفرد به (بل عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) [الأنبياء

٢٦ ـ ٢٧] جعلهم فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه، وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه، وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته، وأمدهم بفوائد المعونة، وأشعر قلوبهم تواضع إخبات السكينة وفتح لهم أبوابا ذللا إلى تماجيده. وفيها: منهم من هو في خلق الغمام الدلح وفي عظم الجبال الشمخ وفي فترة الظلام الأبهم، ومنهم من خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى، فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء، وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية. نقل في نهج البلاغة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾

قوله (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) الكلام تصوير استعاري لعطاء الله غير المنتهي لجميع الناس الذي إن شاءه لهم فلا أحد يمنعه منهم، وإن منعه منهم فلا أحد يقوى على إيصاله لهم، وأورد هذا المعنى بأسلوب الشرط لقوته في إيضاح جوابه، فـ (ما) اسم شرط، وفعل مضارع الفتح يفيد التجدد، وهو استعارة بالكناية عن خزائن رحمته الواسعة التي يفتحها للناس، وذلك لنفاستها وقيمتها العظيمة تشبيها لها بما يدخر من نفائس.

واللام المقترن بلفظ الناس بمعنى: لأجل انتفاع الناس، ولفظ الناس عام للمؤمن والكافر، لأنهم كلهم موجودون بفيض رحمته ويتقلبون بعطائه لهم.

و(من) زائدة لتأكيد العموم، ولفظ الرحمة مأخوذ من الرحم وهي الرقة القلبية استعملت مجازا لفيض عطاء الله لعباده، وتنكيرها لإفادة الإبهام والإشاعة أي: من أي رحمة سماوية أو أرضية، والفاء في (فلا) واقعة في جواب الشرط، و(لا) نافية لعموم جنس الإمساك، والإمساك معناه القبض والمنع والحبس، والهاء في (لها) راجعة إلى لفظ الرحمة.

قوله (وما يمسك فلا مرسل له من بعده) التقابل في الجمل بين الإمساك والإرسال، وتقليب الألفاظ بتقديم بعضها وتأخير بعضها الآخر يراد به بيان كمال القدرة الإلهية في الإعطاء والمنع، والإمساك المنع والحبس ضد الفتح، ومتعلق (يمسك) محذوف دل عليه ما قبله وهو (من رحمة)، والإرسال إطلاق الشيء بعد تقييده، وتعدية فعله باللام في (له) للتأكيد، وهو إنما قال: (فلا مرسل)، ولم يقل: فلا فاتح، لمكان فعل الفتح المتضمن معنى الإرسال.

ومن هذا المعنى دعاؤه عليه السلام في نهج البلاغة: اللهم صن وجهي باليسار، ولا تبذل جاهي بالإقتار فأسترزق طالبي رزقك، وأستعطف شرار خلقك، وابتلى بحمد من أعطاني، وأفتتن بذم من منعني، وأنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء والمنع (إنك على كل شيء قدير). انتهى.

والتذكير في ضمير الهاء في (له) راجع إلى الضمير المبهم في (ما) وتقديره الإعطاء، وإنما أنث فيما قبله فقيل (فلا ممسك لها) بسبب إظهار لفظ (رحمة) التي أزالت إبهام (ما)، ومعنى (من بعده) من غير الله،

والظرف متعلق بجملتي التقابل لا بما تقدمها فقط، فالله تعالى أول في الإعطاء كما هو أول في المنع.

وأسلوب استقصاء المعاني بهذا الأسلوب مما حفل بـه التعبير القرآنـي، فهو من الجناس المعكوس، كقوله تعالى (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) [البقرة ١٨٧]، وقولـه (هن لبـاس لكم وأنتم لبـاس لهن) [الروم: ١٥]، وقوله (يخرج الحي من الميت ويخرج اميت من الحـي) [الروم ١٩].

وأثر هذا الأسلوب بيّن في أهل القرآن، ففي نهج البلاغة: أما بعد، فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه. انتهى. وفيه: وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُــمْ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا. وفيه: فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا سَقْطَتُهُ، وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَل. انتهى.

قوله (وهو العزيز الحكيم) جملة تقرير لما تقدم مؤكدة بالقصر بضمير الفصل وأل العزيز، واختيار الاسمين لمناسبتهما معنى الآية، فهو تعالى عزيز لا يمنع أحد عطاءه إذا شاء، ولا يعطي أحد إذا منع، وهو تعالى الحكيم فيما يعطي ويمنع لا يعرف سر حكمته غيره سبحانه.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣ ﴾

قوله (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) تقدم ذكر وسائط الله إلى خلقه وهم الملائكة في إيصال نعمه تعالى، شرعت الآيات بتذكير خلقه بنفس نعمه لإثبات إلهيته، لأن رزق الخلق وتدبيرهم من شؤون الألوهية. ونداء الناس يراد به الوثنيون على وجه الخصوص.

وأمر الذكر بمعنى إحضار النعم في الذهن بحيث لا يجري تغافل مسببها، وذلك ليكون داعيا لشكرها بالقلب واللسان، والإفراد للفظ النعمة لتعظيمها لأن كل نعمة تضم نعما كثيرة لا تحصى، و(على) في (عليكم) مجاز في التمكن.

قوله (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض) السؤال للإنكار وهو غرض ما مهد له من النداء والأمر بالذكر، و(من) زائدة لتقوية النفي الذي تضمنه السؤال بـ (هل)، وذكر لفظ الخالق دون ذكر لفظ الرازق أو المنعم يراد به إظهار المنة لقطع الخصام.

و(غير) اسم استثناء مرفوع لأن (هل) بمعنى (لا) النافية للعموم بدلالة (من) الزائدة، وجملة (يرزقكم) موقعها الصفة للفظ الجلالة، والفعل المضارع دال على استمرار رزقه تعالى وتجدده، و(من) ابتدائية، وذكر السماء والأرض لإفادة كثرة عطائه سبحانه.

قوله (لا إله إلا هو) كلمة التوحيد محلها تأكيد الألوهية حين ذكر اسم الله فيما سبقها، والنفي والاستثناء لقصر الإلهية في الله تعالى.

قوله (فأنى تؤفكون) الفاء لتفريع السؤال التوبيخي للمشركين بالله، بمعنى: إلى متى يصرفكم الباطل عن الحق والشرك عن التوحيد.

قوله تعالى ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾

قوله (وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) خطاب الرسول ﷺ تسلية من الله لنبيه وتسرية عن نفسه لاغتمامه من إعراض قومه عن دعوته وإشفاقه عليهم، فذكره الله تعالى بأن ذلك التكذيب سنة جارية في الأمم السابقة لأنبيائها وأنه ليس بدعا من الأنبياء، وفاعل فعل التكذيب قريش، والتضعيف للمبالغة.

قوله (وإلى الله ترجع الأمور) الإخبار بمعنى: إن الجزاء إليه تعالى، وإنما الرسل مهمتهم التبليغ وعلى الله الجزاء فهو من يثيب المؤمن ويعاقب الكافر، وتقديم شبه الجملة لإفادة قصر رجوع الأمور كلها فيه تعالى، ورجوع الأمور مجاز في معنى المحاسبة والمجازاة.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾

قوله (يا أيها الناس إن وعد الله حق) نداء بعد نداء لتثبيت الحجة والتبليغ، ووعد الله إشارة إلى البعث والنشور للمجازاة على الأعمال، والإخبار عنه بأنه حق لأنه ثابت لا يتغير ولا يتبدل موعده.

قوله (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) نهي متفرع على الإخبار، وإسناد النهي إلى الحياة الدنيا للمبالغة من باب المجاز العقلي باعتبار السببية، وإنما النهي الحقيقي للذين اغتروا بالحياة الدنيا، والتغرير الانخداع بملذات الدنيا بالإخلاد إليها ونسيان الآخرة.

قوله (ولا يغرنكم بالله الغرور) تفريع ثان بأسلوب العطف، والغرور بفتح الغين صيغة مبالغة من الغرور بضم الغين، ويراد به كثرة الغرور، كناية عن الشيطان ـ بدليل ما بعده ـ الذي بوسوسته يغر الإنسان ويخدعه ويزين له الحق باطلا والباطل حقا، ويحمله على الاتكال على حلم الله بتأخير التوبة، أو بتفسير الإنعام بالكرامة فيتوغل بالمعصية، والباء المقترن بلفظ الله يفيد الملابسة.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾

قوله (إن الشيطان لكم عدو) الفصل لتعليل النهي، والابتداء لأهمية الإخبار، وتقديم (لكم) للقصر أي: لا شغل للشيطان إلا عداوة بني آدم، ولفظ العدو يقال للمفرد والجمع، ومعناه من يريد إلحاق الضرر بالآخر.

قوله (فاتخذوه عدوا) الأمر متفرع على الإخبار، والاتخاذ أخص في لزوم الصفة، وهي اجتناب وساوسه وطاعته والانقياد إليه.

قوله (إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) الكلام تعليل للأمر السابق، والمراد بفعل مضارع الدعوة تسويلات الشيطان وتجددها لمن ينقاد إليه، وحزبه الجماعة من الناس المجتمعون على رأي واحد، واللام في (ليكونوا) علة غائية لدعوة الشيطان، و(من) بيانية، وأصحاب السعير الناس الملازمون لنار جهنم، فالسعير النار المستعرة الملتهبة.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ٧ ﴾

قوله (الذين كفروا لهم عذاب شديد) الكلام بيان لوعد الله تعالى، وتقديم (لهم) للاختصاص، وتنكير لفظ العذاب لإفادة تهويله، فإن للكافرين دركات من عذاب النار، ووصفه بالشديد لقوة ألمه في أجسادهم.

قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) جملة مقابلة بديعية تتضمن مجموعة من الأغراض الإخبارية كتعجيل بشارة المؤمنين، وتهييج الناس على الإيمان بالله وعمل الصالحات، وغرض تقديم (لهم) وتنكير لفظ المغفرة والأجر نظير ما تقدم من تفسير.

قوله تعالى ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾

قوله (أفمن زين له سوء عمله) الكلام تقرير لما تقدم، والاستفهام الإنكاري متفرع على معنى ما تقدم، وخبر (من) محذوف تقديره: كمن ليس كذلك، والتزيين التحسين ونائب الفاعل عائد إلى الشيطان لأنه الذي يوسوس للإنسان ويخدعه بتزيين سوء عمله فيقلبه في عينه عملا صالحا، وتعدية فعل التزيين باللام في (له) للتأكيد، والهاء عائد على المضمر في اسم الموصول (من).

قوله (فرآه حسنا) الفاء للتعقيب الذكري، وفعل الرؤية للرؤية القلبية، والهاء عائد على العمل السيء، والحسن الجميل صفة لموصوف محذوف بتقدير: عملا حسنا.

قوله (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) الكلام بمنزلة التعليل للإنكار في قوله (أفمن زين)، والفاء للتفريع على معنى ما تقدم، وجملة (إن) متضمنة معنى نفي استواء الضال والمؤمن في الجزاء.

وإسناد الإضلال إلى الله مبني على مشيئة الله العادلة التي اقتضت المجازاة على الفعل، لا الابتداء فيه، فإن العبد إذا أسلم قياده للشيطان وانقاد إليه خلى الله بينه وبين شيطانه فكان ذلك إضلالا له ما بعده إضلال، ومن استجابت

نفسه إلى هدي ربه وتفاعلت مع آثاره الدالة على توحيده فلا شك في أنه تعالى يزيده هدى على هدى وفي تلك الزيادة تحصين لنفسه من وساوس الشيطان وإبعاد لغروره.

قوله (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) الكلام متفرع على معنى تفرق الناس كافرين ومؤمنين من جانبه تعالى، والنهي للنبي ﷺ لإفادة تسليته بعدم الاكتراث بهم، وذهاب النفس كناية عن هلاكها، و(عليهم) بمعنى لأجل الكافرين، والحسرات جمع حسرة وهي غم النفس الذي يسبب ألم القلب، ونصب اللفظ لأنه مفعول لأجله.

ومن بديع نظم الآية توالي الفاءات فيها، وفي الآية التي بعدها، أداة دالة على معان مختلفة، من دون إثقال الصياغة.

قوله (إن الله عليم بما يصنعون) قطع الجملة لأنها تعليل للنهي، لأنه تعالى لشدة علمه بما يصنع الكافرون فقد أضلهم وخلاهم لأنفسهم، فلا موجب لهلاك النفس لأجلهم، وقد تفننوا أفانين في الكفر.

قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ ﴾

قوله (والله الذي أرسل الرياح) الكلام في مقام الاحتجاج على الكافرين لإثبات وحدانية الله تعالى بذكر دلائلها، والتصريح بلفظ الله للقصر، أي: الله وحده، وإرسال الرياح مجاز في إرسالها عن التقييد بهبوبها سريعة.

قوله (فتثير سحابا) الفاء للتفريع، والعدول من المضي في (أرسل) إلى المضارع في (تثير) لإفادة استحضار الحال الماضية، وإثارة السحاب تحريكها بعد ركودها بفعل الرياح، وتنكير لفظ السحاب لإفادة نوعية من السحاب المثقل بالماء لأن الكلام في آية إنزال الأمطار إلى الأرض اليابسة، والسحاب هواء متكثف بفعل طبقات الجو العلى الباردة.

قوله (فسقناه إلى بلد ميت) الفاء للتعقيب، وفعل السوق استعارة للسحاب من قيادة الغنم أو الإبل من خلفها، وحرف الانتهاء (إلى) لأنه الغاية من سوق السحاب، والبلد الميت استعارة بالكناية عن انعدام أثر الحياة فيه وهو الماء والنبات، والتنكير يفيد الإبهام، وفي الكلام التفات من الغائب في (أرسل) إلى ضمير التكلم (فسقناه) بسبب ما مهد له في مضارع فعل الإثارة، قال السيد في الميزان: صار المخاطب كأنه يرى الفعل ويشاهد الرياح وهي تثير السحاب وتنشره في الجو، فصار كأنه يرى من يرسل الرياح، لأن مشاهدة الفعل كادت ألاّ تنفك عن مشاهدة الفاعل، فلما ظهر تعالى بنعت الحضور غيّر سياق كلامه من الغيبة إلى التكلم، واختار لفظ التكلم مع الغير للدلالة على العظمة. انتهى.

قوله (فأحيينا به الأرض بعد موتها) الفاء للتعقيب، وإحياء الأرض استعارة لنزول الماء من السحاب بفعل الأمطار وإنبات النبات فيها بعد يبوسها وجدبها الذي استعار له لفظ الموت.

قوله (كذلك النشور) التشبيه بمعنى: كذلك الإحياء لنبات الأرض بعد طول ركودها يكون نشر الأموات من القبور وإحياؤهم للحساب.

وفي الروايات كما في أمالي الشيخ الصدوق وغيره: عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحا فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم. انتهى.

قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠ ﴾

قوله (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) يفيد الشرط وجوابه أن العزة محصورة بالله، فمن أرادها فليطلبها منه تعالى بحسن عبوديته له سبحانه لا بعبودية غيره كما يصنع المشركون بالاعتزاز بآلهتهم.

والعزة منعة النفس التي تأبى بها أن تذل وتقهر، وتوسع في استعمالها فأطلقت على حمية الإنسان وصلابته وأنفته، وتعريفها لإفادة الإطلاق، ولفظ (جميعا) للتأكيد، ونصبه على الحال.

قوله (إليه يصعد الكلم الطيب) ارتباط الكلام بما تقدمه، لأن توحيده تعالى وقبول العمل الصالح أساس في عزة أوليائه، والهاء في (إليه) راجع إلى الله تعالى، والكلم اسم جمع يذكر ويؤنث، وواحده كلمة، وصعود الكلم الطيب كناية عن قبوله تعالى لصحة الاعتقاد لأن الكلم الطيب يراد به كلمة التوحيد، قال تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة

أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) [إبراهيم ٢٥]، ووصف الكلم بالطيب لملاءمته النفس بحيث تتحقق بها سعادتها.

قوله (والعمل الصالح يرفعه) أي: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، أي يرفعه إلى الله تعالى لقبوله عنده، وللمفسرين فيه أقوال أخرى في عود الضمائر، وما تقدم هو الأنسب،

قوله (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد) الإشارة في اسم الموصول إلى مشركي مكة وإن جاء الكلام مطلقا، والمكر الحيلة، ولفظ السيئات صفة لموصوف محذوف تقديره: المكرات السيئات، وتقديم (لهم) للاختصاص، وتنكير لفظ العذاب للتهويل، ووصفه بالشدة لشدة ألم ناره.

قوله (ومكر أولئك هو يبور) اسم الإشارة دال على أن الماكرين للسيئات معينون مشخصون، والإخبار عنه بتأكيد بوره لأنه هالك لا محالة، وقد كان عتاة قريش مكروا في الكيد بالنبي ﷺ قتلا أو إخراجا أو إثباتا فرد الله كيدهم إليهم فأخرجهم إلى بدر وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر.

قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

قوله (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا) العطف لأن الكلام حجة بعد حجة لإثبات وحدانية الله تعالى، والتصريح باسم الله مرة

بعد مرة لقصر ما يذكر بعده من شؤون الإلهية فيه تعالى، والخلق الإيجاد والتدبير، والخطاب في فعله عام يدخل فيه المشركون. وخلقهم من تراب باعتبار أصل الخلقة لأن أبا البشر آدم مخلوق من تراب، أما الخلق من نطفة فهو الخلق القريب فيما بعد آدم بالاستيلاد، ولفظ النطفة من الأضداد تقال للماء القليل والكثير، ومنه قول أمير المؤمنين ﵇ لما قيل له إن الخوارج عبروا جسر النهروان: مصارعهم دون النطفة. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

وجعلهم أزواجا بمعنى جعلهم نوعين ذكورا وإناثا، وتفيد (ثم) معنى الترتيب الذكري في كل مرة.

قوله (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) الكلام مؤكد بالنفي والاستثناء لقصر معناه على علم الله لأن ذلك من شأنه تعالى وحده، وفعل الحمل استعارة للجنين في رحم الأنثى لثقله، ولذلك حذف متعلقه للاكتفاء به، و(من) زائدة لتأكيد النفي، لأن النفي يفيد العموم أي كل أنثى، والوضع استعارة للولادة، ومفعول الفعل محذوف فهم من السياق، أي: ولا تضع مولودها، والأفعال المضارع لـ (تحمل وتضع) لتجدد العلم بتجدد معانيها، وشبه الجملة (بعلمه) موقعها الحال.

قوله (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) أي: لا يطول عمر أي أحد ولا ينقص إلا في كتاب لا يتبدل ولا يتغير، والتعمير الإصلاح استعارة لإطالة حياة الإنسان، و(من) الأولى زائدة تفيد تأكيد العموم، وأما الثانية فهي ابتدائية، والمعمر الذي وقع عليه التعمير وهو مد

العمر، وموقعه نائب فاعل، وإسناد الفعل إليه من باب المجاز العقلي باعتبار ما يكون مثل قوله تعالى (إني أراني أعصر خمرا) [يوسف: ٢٦]، والإنقاص من العمر يكون بإنقاص سنيه المكتوبة له بعلم الله، و(إلا) أداة استثناء ملغاة، و(في) للملابسة الظرفية، ولفظ الكتاب بمعنى موثق مثبت في كتاب سواء في مد العمر أو في إنقاصه بمضي الأيام والشهور عليه، وتنكيره لنوعيته فهو اللوح المحفوظ.

قوله (إن ذلك على الله يسير) القطع لأنه تعليل لما تقدم، وهو أنه تعالى سهل عليه يسير خلق الإنسان وتدبير شؤونه لأنه عليم بدقائق الأمور، قدير على كل شيء.

قوله تعالى ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله (وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) نفي استواء البحرين بمعنى نفي تساويهما، لأن هذا بحر عذب وهذا بحر مالح.

وأصل معنى البحر كما قال الراغب: كل مكان واسع جامع للماء الكثير، هذا هو الأصل، ثم اعتبر تارة سعته المعاينة، فيقال بحرت كذا أوسعته

سعة البحر تشبيها به، ومنه بحرت البعير شققت أذنه شقا واسعا، ومنه سميت البحيرة. انتهى.

وجملة الإثبات المبدوءة باسم الإشارة تفيد علة نفي التساوي، وأصل العذب الاستمرار، وهو في الماء يراد به طيبه وبرودته، ووصفه بالفرات زيادة في معنى عذوبته وريه للظمآن، والسائغ الشراب السهل اجتيازه الحلق لعذوبته، والملح الأجاج الملح الشديد الملوحة.

قوله (ومن كل تأكلون لحما طريا) أي: ومن كل من البحرين العذب والمالح تأكلون لحما طريا، واللحم الطري اللحم الغض، كلحم السمك والطير البحري.

قوله (وتستخرجون حلية تلبسونها) الاستخراج مبالغة في إخراج الحلية من البحرين، والحلية ما يتحلى به ويتزين كاللؤلؤ والمرجان، وجملة (تلبسونها) محلها الصفة للحلية.

قوله (وترى الفلك فيه مواخر) الخطاب في (وترى) لكل مخاطب، والرؤية للبصر، والفلك السفن الدائرة في البحر التي تشق الماء في جريانها.

قوله (لتبتغوا من فضله) جملة تعليل لجعل الله في البحر قابلية حمل السفن ليلتمسوا من فضل الله بركوب البحر وطلب التجارة واستجلاب المنافع.

قوله (ولعلكم تشكرون) جملة تعليل لما تقدم، أي ليكون ذلك سبيلا لشكر الله على نعمه.

ومثلما تصلح الآية أن تكون آية لدلائل وحدانيته تعالى نظير قوله في تعداد نعمه (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) [النحل: ١٤]، كذلك هي تصلح أن تكون مثلا للمؤمن والكافر، لإفادة نفي التساوي بينهما وإن اشتركا بصفات الآدمية إلا أنهما مختلفان في نقاء القلب وسلامة الفطرة، فمثلهما كمثل البحرين العذب والمالح المشتركين بكون أصلهما ماء ولكنهما مختلفان في درجات النقاء.

ومن بديع النكات البلاغية في آية النحل تأخير الظرف (فيه) عن عامله (مواخر)، بينما في الآية التي نحن بشأنها تقدم الظرف، وربما السبب في أن آية النحل بصدد تعداد النعم في التسخير، لذلك ناسب تقديم المواخر، بينما في آية سورة فاطر بيان ابتغاء الفضل لإثبات أن الله هو الرازق المدبر.

قوله تعالى ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ ﴾

قوله (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي: يدخل هذا في هذا بأن ينقص في هذا ويزيد في ذاك، فبين الليل والنهار اختلاف في الطول والقصر مستمر لذلك عبر عنه بالفعل المضارع.

قوله (وسخر الشمس والقمر) أي: طوعهما الله وذللهما، بأن جعل جريانهما ثابتين في الفضاء يعرف بهما الإنسان فصول السنة والمواقيت ويبني عليهما شؤون حياته في حساب الأيام والشهور والسنين.

قوله (كل يجري لأجل مسمى) أي: كل من الشمس والقمر يجريان لموعد سماه الله تعالى وحدده لإفنائهما، وهو موعد القيامة، واللام في (لأجل) لام الغاية، والأجل المسمى الموعد المضروب له وقت معين.

قوله (ذلكم الله ربكم له الملك) الكلام نتيجة لما تقدم من براهين دالة على توحيده تعالى، والجمع بين الألوهية والربوبية لإفادة نفي الفصل بينهما كما يزعمه الوثنيون الذين يوزعون على أربابهم وظائف الله، ويفرضون أنهم الوكلاء الشركاء لله على الأرض.

قوله (له الملك) قصر في الله الملك كل الملك، لأنه الموجد المدبر فهو مالكها، وكل مالك دونه فهو بتخويل وملكه ملك مؤقت لا حقيقة له، لأنه سينزع منه لا محالة.

قوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) أي: الذين تعبدون من غير الله من معبوداتكم أيها الوثنيون ما يملكون أدنى ملك وهو القطمير، الشق الذي يكون في ظهر النواة، ويضرب مثلا لأتفه شيء.

والظرف (من دونه) موقعه الحال، و(من) الثانية زائدة لتأكيد نفي العموم.

قوله تعالى ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) الكلام تعليل للنفي في الآية السابقة، وذلك لأن أوثانهم جوامد لا حياة فيها، وطلب النفع منها، أو سؤال دفع الضر جهالة وضلالة، لأنها لا تملكهما.

قوله (ولو سمعوا ما استجابوا لكم) جملة افتراض بمعنى حتى لو خلق الله لأصنامكم السمع، فإنهم لن يستجيبوا لكم لتبرئها منكم.

قوله (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أي: يوم القيامة ينكرون عبادتكم إياهم ويترؤون منكم.

قوله (ولا ينبئك مثل خبير) أي: ولا يخبرك بما فيه الصلاح والفساد مثل الله سبحانه، لأنه العليم بالأشياء المحيط بدقائقها.

قوله تعالى ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾

قوله (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) الكلام تهديد بعد تبيين، وخطاب عموم الناس تذكير لهم بأن دعوتهم إلى عبادة التوحيد يعود نفعها إليهم لا إلى الله، لأنهم هم المحتاجون إلى ربهم، والله غني عنهم، فلا تنفعه عبادة

أحد ولا يضره الشرك به شيئا، ولذلك قصر الفقر في الناس وقصر الغنى فيه تعالى، فضمير الفصل (أنتم) قصر، وأل الفقراء قصر ثان.

قوله (والله هو الغني الحميد) وكذا وضع الظاهر موضع المضمر لإفادة التعظيم بعد التعظيم والقصر بعد القصر، والغني الذي في ذاته الكفاية عن كل أحد، والحميد مبالغة في المحمود على أفعاله تعالى، في الإعطاء والمنع.

قوله تعالى﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ ﴾

قوله (إن يشأ يذهبكم) وذلك من كمال قدرته تعالى ودليل وحدانيته، لأنه هو الخالق الموجد فله أن يفني وله أن يبقي، فكب شيء خاضع لمشيئته، والإذهاب الإفناء، وجزم الفعل لأنه جواب الشرط.

قوله (ويأت بخلق جديد) جزم فعل الإتيان لأنه معطوف على (يذهبكم)، والباء للتعدية، ولفظ الخلق بمعنى المخلوقين، ووصفهم بالجديد، يراد بهم خلق يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئا، وذلك من تمام غناه عن المشركين، ومن كمال ألوهيته تعالى.

قوله تعالى﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ١٧ ﴾

أي: وما ذلك الإذهاب والإتيان بخلق غير الخلق الكافرين بصعب على قدرة الله، وفي ذكر لفظ الجلالة علة للنفي، لأن اسمه دال على كمال القدرة.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

قوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي: لا تحمل كل نفس آثمة إثم غيرها، ولازمه أن كل نفس تحاسب على أعمالها، وأصل الوزر ـ بفتحتين ـ الملجأ الذي يلتجأ إليه من الجبل، وأما الوزر ـ بكسر الواو وسكون الزاي ـ يعبر به عن الإثم تشبيها له بالثقل، وفاعل الفعل (تزر) النفس الموصوفة بالوازرة أي النفس الآثمة، ومعنى: وزر أخرى أي: وزر نفس ثانية.

وفي حجة الوداع قوله ﷺ: ألا لا يجني جان إلا على نفسه، لا يجني والد على ولده ولا مولود على والده. ذكر في الصحاح والسنن. انتهى.

قوله (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) أي: وإن تطلب نفس مثقلة بحمل الإثم والوزر غيرها، ليخفف عن أثقالها من الأوزار لا يستجاب لها ولا يحمل من حملها شيء، ولو كان المدعو صاحب قربى من الداعي كالأب أو الأم أو الابن أو الأخ ونحوهم، وفي معنى فعل الدعاء الاستصراخ والاستنجاد، ومتعلقه (إلى حملها) علة له، وجملة (لو): محلها الحال.

قوله (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة) الحصر بمعنى إن المكذبين لا ينتفعون بإنذار النبي ﷺ، إنما ينفع الإنذار الذين يخشون ربهم بالغيب ويقيمون الصلاة.

وخشية الله وإقامة الصلاة من آثار الإنذار، فإسناد الإنذار إليهم مجاز عقلي باعتبار ما سيكون، وليس معناه أنهم يخشون ربهم بالغيب ويقيمون الصلاة ثم أنذروا.

وفي التبيان: قال أبو عبيدة في مجازه: أي ويقيمون، فوقع الماضي مقام المستقبل، والمعنى يديمون فعلها ويقومون بشرائطها، وإنما عطف الماضي على المستقبل إشعارا باختلاف المعنى، لان الحسنة لازمة في كل وقت والصلاة لها أوقات مخصوصة. انتهى.

والخشية خوف قلبي بسبب صحة الاعتقاد، وهو أصدق الخوف ولذا امتدحه القرآن، وفعل مضارع الخشية دال على تجدده واستمراره منهم، وشبه الجملة (بالغيب) موضعها الحال، أي: يخشون ربهم في حال الخلوات وغير مرائين أحدا.

قوله (ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه) الجملة بدل من الخشية وإقامة الصلاة، والتزكي تخليص النفس مما يدنسها، لذا كان تلبسها بالخشية وإقامة الصلاة سببا إلى تطهيرها، وفي الكلام تقرير لغنى الله، وتأكيد بعود نفع عبادة التوحيد على النفس.

قوله (وإلى الله المصير) أي: وإلى الله لا إلى غيره المصير يوم القيامة، فيجازي المتزكي بأفضل جزاء، ويحاسب الكافر بأشد عذاب.

قوله تعالى ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ﴾

أي: ولا يتساوى في الأجر والحساب والمنزلة عند الله الكافر والمؤمن يوم القيامة، بل كل يجازى بحسب آثار أعماله، ولفظ الأعمى استعارة تصريحية للكافر بجامع عدم اهتداء الطريق، ولفظ البصير كذلك مستعار للمؤمن بجامع الاهتداء.

قوله تعالى ﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ ﴾

العطف بمعنى: ولا تتساوى الظلمات ولا النور، واللفظان كذلك أمثال للكافر والمؤمن.

قوله تعالى ﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ ﴾

أي: ولا يتساوى في الفائدة الظل، ولا شدة حرور الشمس.

قوله تعالى ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (وما يستوي الأحياء ولا الأموات) إعادة ذكر نفي الاستواء لطول الفصل، وخشية ضياع عهد السامع بالمعنى، ولفظ الأحياء استعارة

للمؤمنين، ولفظ الأموات استعارة للكافرين، والجامع بينهما واضح هو أثر الإيمان والكفر على التوالي.

قوله (إن الله يسمع من يشاء) أي: إن الله يجعل للمؤمن قابلية الفهم لعلمه باستعداد نفسه لذلك لقبول التبليغ، وهو بمنزلة التعليل لقوله (إنما تنذر الذين يخشون ربهم).

قوله (وما أنت بمسمع من في القبور) أما الذين طبع على قلوبهم بالكفر فليس بإمكان النبي ﷺ أن يسمعهم، لذلك شبهتهم الآية بالأموات وكنت عنهم بـ (من في القبور).

قوله تعالى ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

القصر بمعنى ليس لك أيها النبي ﷺ سوى التبليغ والإنذار وأما هداية من تبلغهم فعائد إلى الله إن شاء فعل وإن لم يشأ أضلهم، وإنما إضلالهم وهدايتهم مبنية على علمه باستعداد نفوسهم لذلك، وحصر النبي ﷺ بصفة الإنذار لأن المقام مقام تخويف للمشركين المكذبين.

قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

قوله (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) الخطاب للنبي ﷺ، والإرسال البعثة بالنبوة، وشبه الجملة (بالحق) موقعها الحال، أي: متلبسا بالحق،

والحق القول الصادق الثابت، والبشير أي: المبشر بنجاة من يؤمن بك، والنذير المخوف لمن يكذب بدعوتك، وكلا اللفظين منصوبان على الحال والعطف على الحال.

قوله (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) أي: إن إرسالك أيها النبي ﷺ ليس شيئا جديدا، وإنما كل أمة سبقتك بعثنا إليها رسولا نذيرا يخوفهم من عاقبة الشرك بالله، وكأن الكلام يراد به التمهيد لما بعده من ذكر التخفيف عن نفس النبي ﷺ لإعراض قومه عن دعوته.

قوله تعالى ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ﴾

قوله (وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) الكلام تسلية للنبي ﷺ لرفع المشقة عن نفسه، بسبب إعراض قومه عن دعوة التوحيد، فذكر له أن تكذيب الأنبياء من أقوامهم سنة جارية منهم تلقفتها أمة من أمة.

وضمير الجمع في (يكذبوك) و(قبلهم) راجع إلى قوم الرسول ﷺ وهم أهل مكة، والضمير في اسم الموصول (الذين) عائد إلى الأمم البائدة.

قوله (جاءتهم رسلهم بالبينات والزبر) الجملة موقعها الحال: أي: إن تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم في حال إتيانهم بالبراهين الإعجازية المبينة وبالصحف السماوية، والظرف (بالبيات) محلها الحال.

قوله (وبالكتاب المنير) أي: وبجملة الكتب السماوية الحاملة للشريعة ككتاب إبراهيم ونوح وموسى وعيسى، قال في التبيان: وإنما كرر ذكر الكتاب وعطفه عليه، لاختلاف الصنفين، لأن الزبر الكتابة الثابتة، كالنقر في الحجر. انتهى. ووصفه بلفظ المنير مجاز عقلي للمبالغة في شدة الاهتداء إلى الإيمان الله.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾

قوله (ثم أخذت الذين كفروا) تفيد (ثم) العطف الترتيبي، والأخذ استعارة للعذاب كأن الكافرين يمسكون فلا يفلت منهم أحد، ويراد باسم الموصول وصلته الإشارة إلى تهديد قريش بأنهم ليسوا بمأمن من أخذ الله لهم.

قوله (فكيف كان نكير) الفاء لتفريع تمثيل حالة إنزال العذاب المنكر في الكافرين، والنكير مبالغة في الإنكار، وفي ضرب المثل بإفناء الأمم السابقة للتهويل.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

قوله (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) الاستفهام لتقرير الدلائل الثابتة على توحيده تعالى، وإنزال الماء من السحاب بفعل الإمطار وإخراج

الثمرات المختلفة الأنواع والطعوم بينما الأرض واحدة والماء واحد دليل على أن وراء ذلك مدبرا صانعا هو الله تعالى، ولو لم يكن كذلك لخرج النبات بلون واحد وطعم واحد، و(من) ابتدائية، والسماء ما علا الأرض ويراد به السحاب المثقلة بالماء.

قوله (فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) الفاء للتفريع، وإخراج الثمرات مجاز مرسل لأن الحقيقة إنبات النبات ثم زهره وبعدها يكون الثمر منه، وفعل الإخراج استعارة من الإظهار بعد الاستتار.

ونون العظمة دال على الالتفات في الكلام من الغيبة إلى نون التكلم لكمال الاعتناء بالفعل، لأنه من بديع صنعه تعالى، والهاء في (به) أي بالماء.

وتنكير الثمرات لإفادة النوعية، ووصفه بأنه مختلف الألوان كناية عن تعدد أنواع الثمر والمراد تعدد طعومه وروائحه، وأن أحدا لا يسد مسد الآخر، ولفظ (ألوانها) فاعل اسم الفاعل (مختلف).

قوله (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها) العطف على (ألم تر)، لأن ذلك دليل آخر على كمال القدرة الربانية، فالناظر إلى ألوان الجبال المختلفة الألوان بيضا وحمرا وسودا لا ينصف الحقيقة بإنكار يد الغيب في خلقها مسطورة مرتبة بهذا الشكل المهيب، والجدد جمع جدة وهي الطريقة ومنه الجادة، والبيض والحمر جمع أبيض وأحمر، وجملة (مختلف ألوانها) محلها الصفة للجبال.

قوله (وغرابيب سود) أي: ومن الجبال غرابيب سود، والغرابيب جمع غربيب وهو الأسود الشديد السواد، ومنه سمي الغراب، ولفظ السود جمع أسود وهو بدل من غرابيب أو عطف بيان.

قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك) العطف بمعنى: ألم تر أن، و(من) للتبعيض، لأن بعض ما عدت الآية من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه بياضا وحمرة وسوادا كاختلاف الثمرات والجبال، والهاء في (ألوانه) عائد إلى الخبر المقدر (ما هو) أو (جنس).

والأوفق في (كذلك) أن تكون بما ذكر بالتشبيه بالاختلاف، أما تعلقها بغير ذلك فبعيد عن السياق.

قوله (إنما يخشى الله من عباده العلماء) الحصر بـ (إنما) متصل بما قبله، بمعنى: إن العلماء وحدهم من يتأثر بما ذكر من آيات دالة على توحيد الله فيخشوه حق خشيته، ومر معنى الخشية في قوله تعالى (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة) والكلام في معناها، والخشية تستبع خشوع القلب لله وخضوع الجوارح، لأنه خوف متلبس بإيمان، و(من) لتبعيض عباد الله، وأل العلماء للعهد أي العلماء بالله، وفي الحديث

المشهور: أعلمكم بالله أخوفكم لله، وقوله ﷺ: أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به. ذكر في الكشاف. انتهى.

وحصر خشية الله بهم لأنهم الأعرف بأسماء الله وصفاته ومعرفة آثاره معرفة تطمئن بها قلوبهم فينطبق قولهم على فعلهم، فعن الصادق عليه السلام قوله: يعني بالعلماء من صدق قوله فعله، ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم.

قوله (إن الله عزيز غفور) الفصل لتعليل الحصر، وذلك لأنهم عرفوا أن الله قوي لا يقهر فخافوه، وأدركوا أنه تعالى كثير الغفران فاشتاقوا لقاءه.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله (إن الذين يتلون كتاب الله) الكلام مستأنف بحرف التأكيد لأهميته، ويحتمل اتصاله بما سبقه على أساس أنه صفة للعلماء، وتلاوة كتاب الله مداومة قراءة القرآن في الصلاة وغيرها، وفيها ثناء من الله تعالى عليهم.

قوله (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) إقامة الصلاة تكون بأدائها على أتم أداء بدائها في أوقاتها وبالحضور القلبي.

وعطف الإنفاق عليها لإفادة التكامل العبادي فالصلاة عبادة الله من خلال الذات والإنفاق عبادته من خلال خدمة المجتمع، و(من) في (مما) للتبعيض، أو للتبيين، والإشارة في (رزقناهم) بمعنى من الإنفاق الحلال،

والحال في السر والعلن لإفادة المداومة، أو لإفادة اجتناب الرياء في حال السر، وفي حال العلن التشجيع على فعل الخير.

وذكر الثعلبي في تفسيره: وعن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي قال: قام رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مالي لا أحب الموت؟ قال: ألك مال؟ قال نعم، قال: فقدمه، قال: لا أستطيع، قال: فإن قلب الرجل مع ماله، إن قدمه أحب أن يلحق به، وإن أخره أحب أن يتأخر معه. انتهى.

قوله (يرجون تجارة لن تبور) موقع الجملة خبر لـ (إن)، وهو قول الفراء، ورأى الطبرسي موقعها الحال بمعنى: راجين، وعلى هذا يكون الخبر مقدرا متعلقا بجملة (ليوفيهم) بمعنى: فعلوا ما فعلوا ليوفيهم، ولا داعي لهذا التقدير مع إمكان عدمه. والرجاء التوقع، والتجارة كناية عن تحصيل ثواب الله، ووصفها بنفي البور استعارة لأن التجارة مع الله لا تخسر ولا تكسد، فربحها مضمون هو الفوز بالجنة.

قوله تعالى ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله (ليوفيهم أجورهم) اللام للتعليل، والتوفي الإعطاء الكامل من دون نقص، وفاعله الله تعالى، وضمائر جمع الغائبين في الآية راجعة إلى الضمير في (إن الذين يتلون)، والأجور استعارة لثوابه تعالى، وإضافة اللفظ إلى ضمير جمعهم للإشارة إلى كرمه تعالى في جعله استحقاقا لهم.

قوله (ويزيدهم من فضله) الزيادة من فضله تعالى ربما كانت بمضاعفة ثوابهم كما في قوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) [الأنعام: ١٦٠]، أو بزيادة غير متصورة كما في قوله (لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد) [ق: ٣٥]، أو بمعنى الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليه معروفا في الدنيا، وهو المروي عن الرسول ﷺ في المجمع. انتهى.

قوله (إنه غفور شكور) الفصل لتعليل ما تقدم من الإيفاء والزيادة، وذلك لأنه تعالى من صفاته الذاتية كثرة الغفران وكثرة شكر العاملين، ولفظ الشكور مجاز لإثابته في مجازاة عباده، وهو من جميل كرمه سبحانه.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ﴾

قوله (والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق) رجوع بالكلام إلى مخاطبة الرسول ﷺ لإثبات أحقية الكتاب المنزل، وفعل الوحي مجاز في التبليغ بالآيات.

والظرف (من الكتاب) محله النصب على الحال من الضمير المحذوف في الصلة، قال الشيخ الطبرسي: والتقدير: والذي أوحيناه إليك كائنا من الكتاب. ذكر في مجمع البيان. انتهى.

و(من) بيانية، والكتاب هو القرآن الكريم، فتعريفه للعهد الحضوري، والصلة علة لقصر القرآن في الحق.

و(هو) ضمير القصر هنا وأل الحق للجنس، ولفظ الحق للدلالة على صدق صدوره وثبات كلماته.

قوله (مصدقا لما بين يديه) النصب لأنه حال من لفظ الكتاب، والتصديق مبالغة في الصدق، والمعنى أن القرآن يصدق بما تقدمه من الكتب السماوية لأنه يوافق بما بشرت به من حاله وحال حامله، والقرآن ناسخ لها ومتمم لشرائعها، على أن ما حرف من الكتب السابقة بفعل علماء السوء فإن قصر القرآن في الحق يخرجه عن تصديق القرآن له.

والكناية في صيغة (بين يديه) كناية عن السبق والأقدمية، وربما جاءت كناية عن القرب.

قوله (إن الله بعباده لخبير بصير) جملة تأكيد وتذييل، وتقديم (بعباده) للاهتمام وتنازعه لفظ الخبير والبصير، والخبير البصير مبالغة في العلم بأحوال العباد وأقوالهم.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾

قوله (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) تفيد (ثم) هنا العطف بالتراخي الرتبي في الكلام، والإيراث أصله انتقال المال من السابق إلى اللاحق والتصرف فيه، وهو هنا استعارة بالكناية عن تحصيل علم الكتاب،

واللام في لفظ الكتاب للعهد أي القرآن الكريم لأن سياق ما تقدمه عن القرآن (والذي أوحينا إليك من الكتاب)، والاصطفاء اختيار الصفوة التي لا تشوبها شائبة من قصور.

و(من) تحتمل أن تكون ابتدائية وبيانية وتبعيضية، وأوفقها التبيين كما في قوله تعالى (وسلام على عباده الذين اصطفى) [النمل ٥٩].

وعباد الله المصطفون هم ذرية محمد وآل محمد ﷺ، وهو المروي عن الإمامين الصادقين عليهما السلام وتؤيده قرائن الكلام في الآية، وأكثر الروايات المتواترة، فهم عدل القرآن بنص الحديث المشهور: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

واختلاف الأقوال التفسيرية في معنى الاصطفاء دال على عظيم الشبهات وتضييع الحقوق، كلما سجل القرآن فضيلة لفضائل البيت النبوي.

قوله (فمنهم ظالم لنفسه) الفاء للتفريع، وما بعدها بيان لمعنى الاصطفاء أو تعليل له، وما عدت الآية من أصناف ثلاثة: الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات دال على أن الأخير كناية عن المصطفى، لأنه لا يناسبه غير ذلك من الأصناف.

و(من) في (منهم) للتبعيض، والضمير (هم) راجع إلى العباد، لأن المصطفين لا يكونون ظالمين لأنفسهم، وظلم النفس يكون بتعريضها للعقاب بسبب ارتكاب المعاصي.

قوله (ومنهم مقتصد) والمقتصد المعتدل الذي هو في قصد السبيل.

قوله (ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) السابق بالخيرات كناية عن تقدمه على غيره في فعل الخيرات، والباء في (بإذن الله) بمعنى العلة، أي بسبب لطف الله وتوفيقه، وقيل في الآية احتمالات تفسيرية كثيرة، وما ذكرنا أوفقها، والله أعلم.

قوله (ذلك هو الفضل الكبير) اسم الإشارة بمعنى: إن إيراث الكتاب، واصطفاء الله إياهم هو الفضل العظيم من الله عليهم.

وفي الدر المنثور مرفوعا عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله)، فأما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين يلقاهم الله برحمة فهم الذين يقولون: (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب). انتهى.

قوله تعالى ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ ﴾

قوله (جنات عدن يدخلونها) الكلام تفسير لفضل الله، يصلح أن يكون جوابا لمن سأل عن فضلهم، فأجيب بما ذكر في الآية، وجمع الجنات وإضافتها

إلى موصوفها للمبالغة، وجملة (يدخلونها) موقعها الحال، وفاعل الدخول مَن ذكر من السابقين بالخيرات والمقتصدين.

قوله (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا) الكلام محلها الحال، وهو كناية عن ترف أهل الجنة، أي: يتزينون في جنات عدن بأساور من الذهب واللؤلؤ، والتحلية التزيين، و(من) الأولى والثانية للتبيين، وشبه الجملة (من ذهب) محلها الصفة للفظ أساور، أي: ذهبية، والأساور جمع أسورة، وأسورة جمع سوار، وهو ما يحيط بمعصم المرأة من زينة، ونصب لفظ اللؤلؤ على تقدير: ويحلون لؤلؤا.

قوله (ولباسهم فيها حرير) أي: وثياب أصحاب جنات عدن من حرير، والحرير ثياب منسوجة من الإبريسم الخالص.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

قوله (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) اختلف في فاعل القول، ولكن باعتبار السياق والفاصلة يبدو أنه أقرب أن يكون من قول الظالم لنفسه، أو من المقتصد، لأن السابق بالخيرات لا سيئة عليه.

والصلة علة لحمد الله، والإذهاب الإزالة، والحزن بسبب إشفاقهم مما اكتسبوا من سيئات.

قوله (إن ربنا لغفور شكور) تعليل لإذهاب الحزن، لأنه تعالى كثير المغفرة لذنوب عباده، يقبل اليسير من أعمالهم ويثيب عليها.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ ﴾

قوله (الذي أحلنا دار المقامة من فضله) أي: الله تعالى الذي أنزلنا في الجنة بسبب فضله من غير استحقاق لنا عليه، والمقامة الإقامة الدائمة التي لا حول عنها ولا خروج منها.

قوله (لا يمسنا فيها نصب) جملة النفي محلها الحال، نفي المس وتنكير لفظ النصب بمعنى: لا يمسنا في الجنة أدنى مشقة، لأن الجنة لا كدح فيها ولا تكاليف.

قوله (ولا يمسنا فيها لغوب) العطف على الحال، أي: ولا يمسنا فيها أدنى إعياء في كدح العيش ونحوه، ومثله قوله تعالى (وما مسنا من لغوب) [ق: ٣٨].

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ ﴾

قوله (والذين كفروا لهم نار جهنم) الإتيان بالصلة لبيان علة الإخبار عنهم، واللام في (لهم) للاختصاص جزاء على كفرهم.

قوله (لا يقضى عليهم فيموتوا) أي: لا يستريحون من العذاب بأن يقضى عليهم بالموت.

قوله (ولا يخفف عنهم من عذابها) أي: لا يسهل عليهم ثقل عذاب النار، والتخفيف استعارة لشدة ألم النار.

قوله (كذلك نجزي كل كفور) أي: مثل هذا العذاب نجزي كل جاحد كثير النكران لآيات توحيد الله.

قوله تعالى ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

قوله (وهم يصطرخون فيها) الواو للحال، والاصطراخ شدة الصياح، والإتيان بالطاء للدلالة على أليم عذابهم فيشتد أصواتهم ألما واستغاثة، ومضارعه دال على الاستمرار.

قوله (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) القطع لأن في الاصطراخ معنى القول، والدعاء في (ربنا) على سبيل الإلجاء لأنه عالم الحقائق، ومفعول (أخرجنا) دل عليه الكلام أي أخرجنا من النار وردنا إلى الدنيا لنعمل بالطاعات، وجزم (نعمل) لأنه جواب الأمر، ونصب (صالحا) للمبالغة على تقدير: عملا صالحا، وجملة (غير الذي كنا نعمل) محلها

الصفة الثانية، أي: عملا مغايرا لعملهم في الدنيا وهو عمل المعاصي إظهارا للندامة بعد أن عرفوا حقيقة فساد عبادتهم في الدنيا.

قوله (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) الجواب لتبكيتهم، والاستفهام للتقرير والتوبيخ، بمعنى: ألم نهبكم عمرا يكفي به تذكر عواقب أحوالكم وأمور دينكم، فلم لم تنتفعوا منه، وفي الحديث الشريف قوله ﷺ: من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر. ذكر في صحيح ابن حبان. انتهى.

وفي نهج البلاغة: العمر الذي أعذر فيه إلى ابن آدم ستون سنة. انتهى.

قوله (وجاءكم النذير) أي: وفوق مد الله لأعماركم لتفيدوا منه، جاءكم النذير الرسول من الله يخوفكم من عاقبة إصراركم على الكفر.

قوله (فذوقوا فما للظالمين من نصير) الفاء الأولى والثانية للتفريع على ما قبله، وفعل الإذاقة للتهكم منهم، واللام في (للظالمين) لنفي الملك، و(من) زائدة لتأكيد نفي عموم النصير الذي يدفع عنهم العذاب.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨ ﴾

قوله (إن الله عالم غيب السماوات والأرض) استئناف ابتدائي لأهمية الإخبار، وعلم الله بغيب السماوات والأرض، لأن كل شيء فيها حاضر بين يديه، فلا يغيب عنه شيء.

قوله (إنه عليم بذات الصدور) أي: عليم بما في دواخلكم وباطنكم، والعليم مبالغة في العلم، وصيغة (ذات الصدور) كناية عما تسر القلوب، وفي الكلام ذكر لعموم علم الله بغيب السموات والأرض ثم تخصيصه بعلم ما في الصدور، لإفادة العناية بالمكلفين ومحاسبتهم، ولذلك استعمل لفظ العليم مكان العالم.

قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ ﴾

قوله (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) التذكير بمنن الله للاحتجاج على التوحيد، والجعل يراد به التصيير، لأن الله تعالى جعل الخلافة الأرضية في العالم الإنساني للدلالة على أنها غير منفكة عن الخلقة، ومن هنا جهة الاستدلال على توحيده تعالى.

والخلائف جمع خليفة، وهو من يعقب غيره في التصرف والانتفاع بما ملك سابقه، والإنسان خليفة من سبقه باعتبار خلق الله له بعد رحيل سلفه.

قوله (فمن كفر فعليه كفره) الشرط وجوابه متفرع على ما تقدمه بمعنى أن الله تعالى هو رب الإنسان المستخلف فمن أنكر هذه الحقيقة فضرر فعله عائد عليه، والكفران جحود دلائل توحيده تعالى، ومعنى حرف الاستعلاء

في (فعليه) أن عواقب كفره عائد عليه، والهاء راجعة إلى الضمير في (من).

قوله (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا) تقرير لقوله (فمن كفر فعليه كفره) وهو أن كفر الكافرين وإصرارهم عليه يورثهم بغضا من الله، والمقت الكره والبغض وهو من صفات الأفعال شأنه شأن الحب لا من صفات الذات، لأنها خارجة عنه، وإنما مقته تعالى كناية عن عقابه، والحب كناية عن قبوله ورحمته، وتقييد الموت بالظرف (عند ربهم) لتأكيد أن المقت من الله، وفعل الزيادة يقال لما ينتفع به واستعماله هنا لا يخلو من نوع تهكم بالكافرين.

قوله (ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا) تأكيد بعد تأكيد، والخسار والخسارة واحد، وهو استعارة لضياع ربحهم ورأس مال تجارتهم.

قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾

قوله (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) الأمر للرسول ﷺ لبيان فساد عبادة غير الله، ومعنى (أرأيتم) أعلمتم، والاستفهام للتقرير والتوبيخ، و(شركاءكم) الأصنام التي ادعاها المشركون شركاء لله في ربوبيته، لذلك أضيفت إلى ضمير خطابهم، وهم يعبدونها من غير الله.

قوله (أروني ماذا خلقوا من الأرض) الأمر في (أروني) للتعجيز والاحتجاج، و(ماذا) مجردة من الاستفهام لبيان الحال، وذكر الخلق لأن من شأن الإلهية الخلق والتدبير، فلو كانوا إلهة كما يزعمون أين خلقهم في هذا العالم الأرضي والسماوي المشهود، لأن الخلق دليل على الشركة في الربوبية.

قوله (أم لهم شرك في السماوات) تفيد (أم) معنى (بل)، والمراد الإضراب عما تقدم لتأكيد نفي الشركة مع الله في خلق السماوات.

قوله (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) الكلام بمعنى: بل آتيناهم كتابا فيه حجة واضحة فهم على بينة منه، وحرف المد في (آتيناهم) مكون من همزتين همزة الاستفهام وهمزة الفعل، فهو إنكار أن يكون الله أنزل إلى المشركين كتابا يبين لهم شركة أصنامهم معه بالربوبية، وضمير جمع الغائبين في (أتيناهم، فهم) راجع إلى المشركين.

قوله (بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا) تفيد (بل) الإضراب الانتقالي عما تقدم من الاحتجاج لتأكيد أن عبادة الوثنيين ليس مبنية على علم وبرهان بل بسبب غرور بعضهم بعضا بما تمنيه أنفسهم، فأئمتهم وضلالهم يعدون أتباعهم الشفاعة والقربى من الله بالعبادة الشركية، والكلام مطلق يشمل الوثنيين كلهم من عباد الأصنام والملائكة والكواكب وبعض البشر.

و(إن) بمعنى (ما) النافية، و(إلا) منتقضة بالنفي ليكون الاستثناء مفرغا يفيد القصر، وتسميتهم بالظالمين لإفادة تشنيع الشرك بالله.

قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ ﴾

قوله (إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا) الكلام في بيان الكمال الإلهي للاحتجاج على توحده تعالى، فإن حفظ ما خلق الله من نظام مملكته وتدبيره من شؤونه الخاصة التي بها تدبير بقاء الإنسان بعد خلقه وجعله خليفة. وهو ما لا يقدر عليه غيره فكيف يعبد غيره ويسمى إلها، ودلالة مضارع فعل المسك الاستمرار، والمسك كناية عن حفظه تعالى لنظام الأجرام السماوية عن أن تضطرب وتفنى، ومعنى (أن تزولا) التعليل أي: لئلا تزولا، والزوال البطلان والإفناء.

قوله (ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) القسم والشرط لبيان كمال القدرة الإلهية في افتراض إشراف السماوات والأرض على الزوال والاضمحلال، أو حتى بمعناها الحقيقي لعظم كلمة الشرك، فعندئذ لن يمسكهما ويحفظهما من الفناء غيره تعالى، قال تعالى (تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض).

واللام في (لئن) لقسم، و(إن) للشرط، و(إن) الثانية تفيد النفي، و(من) الأولى زائدة لتقوية عموم النفي، و(من) الثانية ابتدائية، والضمير في (بعده) بمعنى من بعد إمساكه.

قوله (إنه كان حليما غفورا) أي: إنه تعالى كان ولم يزل معروفا بذاته في كثرة الحلم فما يعاجل بالعقوبة، ومعروفا بكثرة الستر لذنوب عباده فيصفح عنهم ويتجاوز، فكان إمساكه تعالى للسماوات والأرض رأفة بالمؤمنين، وإمهال للكافرين ليرجعوا عن كفرهم.

قوله تعالى ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) الإخبار عن كفار قريش، والتعبير (جهد أيمانهم) كناية عن تغليظهم للأيمان.

قوله (لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم) الكلام في معنى القول لذلك فصل، والقسم والشرط لأنهم في معرض تأكيد الكلام المقسم به، ومجيء النذير استعارة عن تبليغ الرسول لهم بآيات الله ودعتهم إلى توحيده وتخويفهم من عاقبة الشرك به تعالى، وجملة (ليكونن) جملة جواب قسم وشرط، و(أهدى) أكثر هديا واستجابة للنذير، و(من) للتبعيض، و(إحدى الأمم) أي: إحدى الأمم التي جاءها النذير كاليهود والنصارى لإفادة المماثلة في مجيء النذير.

وبين لفظي (أهدى، وإحدى) محسن بديعي هو جناس المضارع، لقرب المخرج الصوتي بين الهاء والحاء.

قوله (فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا) الفاء للتفريع، و(لما) أداة شرط تفيد التوقيت، و(جاءهم نذير) كناية عن التبليغ بالرسالة المحمدية، واختيار صفة النذير دون البشير مثلا لأن المقام مقام تخويف وجدال، على أن في معنى النذير معنى التبشير، وتنكير اللفظ للتعظيم، وجملة (ما زادهم إلا نفورا) جواب للشرط، وفعل الزيادة تقال لما ينفع، فالاستعمال لا يخلو من الإشارة إلى المفارقة، وضمير الفاعل راجع إلى النذير، والإسناد إليه على سبيل المجاز العقلي بعلاقة السببية، والنفور كناية عن شدة إعراضهم عن دعوة التوحيد.

وذكر في مناسبة نزول الآية أنه: بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله ﷺ أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا: لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم، فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم، فلما بعث رسول الله ﷺ كذبوه. ذكر في الكشاف وغيره. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله (استكبارا في الأرض ومكر السيئ) نصب لفظ الاستكبار، لأنه مفعول له متعلق بـ (نفورا)، والاستكبار مبالغة في الكبر والاستعلاء، و(في) للملابسة الظرفية، وتعريف الأرض للعهد يراد بها مكة فإنها مظروفهم المكاني.

والعطف في (ومكر السيء) عطف على (استكبارا) مفعول لأجله ثان، وإضافة المكر إلى صفته للمبالغة في استقباحه، والمكر ظاهره الخير وباطنه الشر.

قوله (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) أي ولا يحيط المكر السيء إلا بأهله، لأن إلحاق الضرر في الممكور به سيصيب الماكر لا محالة عاجلا أو آجلا، والكلام من غرر الأمثال القرآنية.

وفي الحديث الشريف: لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فإن الله تعالى يقول: (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)، ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا، يقول الله تعالى (إنما بغيكم على أنفسكم).

قوله (فهل ينظرون إلا سنة الأولين) الفاء للتفريع على ما تقدم، والاستفهام للإنكار، والمعنى أن إصرار الكافرين على المكر بالرسول ﷺ والمؤمنين من شأنه تحقيق السنة الجارية في إنزال العذاب الإلهي في الأمم السابقة، لأن الفعل واحد وسيكون الجزاء واحدا، و(ينظرون) معناها يتوقعون، وسنة الأولين طريقة الأمم الماضية في تكذيب أنبيائها والمكر بهم.

قوله (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) الفاء تفريع بعد تفريع، و(لن) لتأبيد النفي، والكلام في غاية التهديد لمشركي قريش، والخطاب للرسول ﷺ، وسنة الله طريقته تعالى التي لا تتبدل ولا تتحول وهي معاقبة الكافرين على أفعالهم ونكرانهم للرسل والمعجزات، وقد جرت كذلك سنة الله في عتاة قريش قتلا وهوانا حتى فتح الله معقل كفرهم وأبادهم.

قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾

قوله (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) الكلام من قبيل تقديم الشاهد على الدعوى، والاستفهام للتقرير، والسير في الأرض الضرب فيها للتجارة ونحوها من الأسفار، وضمير الجمع راجع إلى مشركي مكة، والفاء في (فينظروا) للتعقيب الذكري، والنظر يراد به البصر والاعتبار، و(كيف) مجردة من السؤال، تمثيل لبيان الحال، والعاقبة الختام والنهاية للأمم التي مروا بها في أسفارهم كقوم عاد وثمود وقوم لوط.

قوله (وكانوا أشد منهم قوة) تحذير لقريش من بطش الله، بتذكير بقدرة الله تعالى، فهم أوهن من الأمم الكافرة المبادة في القوة والعمران.

قوله (وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض) لما ذكرت مقايسة الشدة بالنسبة لأفهام المخاطبين جرى دفع توهم القياس على الله لذلك استعمل النفي المطلق عن أن يعجز الله شيء ضعيفا كان أو قويا في عموم السماوات والأرض، واللام في (ليعجزه) لام الجحود تستعمل لتأكيد النفي، و(من) زائدة لتقوية عموم المنفي، و(في) مرتين للملابسة الظرفية، وابتدأ بذكر السماوات لأنها الأبعد والأعقد.

قوله (إنه كان عليما قديرا) أي: إنه تعالى عليم لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض فلا ينخدع بمكر أو حيلة، وهو تعالى قدير على كل شيء فيهما فلا يقاومه مقاوم.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾

قوله (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) الافتراض لبيان معنى رحمته تعالى متعلق بما قبله في نفي تعجيز الله، فجاء الكلام هنا ليبين سبب إمهاله لمن يستحق العقاب.

ومؤاخذة الله الناس بمعنى معاجلتهم بعقابه الدنيوي، وتعريف الناس للعموم، والباء في (بما كسبوا) أي: بسبب سوء أعمالهم، بدليل فعل المؤاخذة

والكلام في معنى قوله (ولو يؤاخذ الله الناس بما ظلموا ما ترك عليها من دابة) [النحل: ٦١].

وجواب (لو) (ما ترك عليها من دابة) كناية عن إفناء الله لجميع الناس والأحياء المتعلقة به، ولأجل نفعه التي تدب على ظهر الأرض، و(على) باعتبار الاستعلاء المجازي، والهاء في (ظهرها) عائد إلى الأرض لأن الدبيب دال على ذلك، ولفظ الظهر استعارة للشيء الظاهر، و(من) زائدة لتأكيد نفي عموم الدواب.

قوله (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) عطف واستدراك بمعنى: بل، وتأخير الله للناس إلى آجالهم المضروبة فلا يعاجلهم بالعقوبة مع استحقاقهم لها رحمة منه تعالى لعلهم يرجعون.

قوله (فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا) الفاء للتفريع. ومجيء الأجل مجاز عقلي فالله تعالى يسبب أسبابه، والأجل المدة المسماة لنهاية عيشهم في الدنيا، والفاء الثانية واقعة في جواب (إذا) الشرطية، وجملة الإسمية محلها الجزاء، ومضمونها المجازاة، لأنه تعالى البصير العليم بظلم عباده وصنيعهم وسيجزيهم عليه، والكلام من باب وضع السبب موضع السبب.

وفي تفسير القمي عن الصادقين عليهما السلام: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل يقول: يا بن آدم بمشيتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي عليك قويت

على معصيتي، وبقوتي وعصمتي وعافيتي أديت إلي فرائضي وأنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بذنبك مني، الخير مني إليك واصل بما أو ليتك به، والشر منك إليك بما جنيت جزاء، وبكثير من تسلطي لك انطويت على طاعتي، وبسوء ظنك بي قنطت من رحمتي. فلي الحمد والحجة عليك بالبيان، ولي السبيل عليك بالعصيان، ولك الجزاء الحسن عندي بالإحسان، لم أدع تحذيرك ولم آخذك عند غرتك وهو قوله عز وجل: (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة)، لم أكلفك فوق طاقتك، ولم أحملك من الأمانة إلا ما أقررت بها على نفسك، ورضيت لنفسي منك بما رضيت به لنفسك مني ثم قال عز وجل: (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا). انتهى.

سورة يس

مكية وهي ثلاث وثمانون آية

ضمت السورة ثلاث موضوعات رئيسة لأصول الاعتقاد النبوة والتوحيد والمعاد، وذكرت آياتها دلائل ذلك كله، والسورة من غرر السور القرآنية قال عنها الرسول ﷺ: لكل شيء قلبا، وقلب القرآن يس، وعنه ﷺ: من دخل المقابر فقرأ سورة يس، خفف عنهم يومئذ، وكان له بعدد من فيها حسنات. انتهى. وفي فضلها كلام كثير.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ يس ۝١ ﴾

افتتحت السورة بحرفين مقطعين لم يتكررا في سورة أخرى، واختلف في تفسيرهما فقيل إن منطوقهما اسم للسورة، أو نداء بمعنى: يا إنسان، وقيل إنهما اسم للرسول ﷺ، وأن المراد بقوله تعالى (سلام على آل يس) محمد ﷺ وآل بيته، وفي المجمع عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن لرسول الله ﷺ اثني عشر اسما: خمسة منها في القرآن: محمد، وأحمد، وعبد الله، ويس، ونون. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝٢ ﴾

الواو تفيد القسم بمعنى: أقسم بالقرآن الحكيم، ودلالة المقسم به التعظيم، توصلا إلى صحة الرسالة، وتعريضا بمنكريها من كفار قريش.

والقرآن علم غلب على كتاب الله، مبالغة في المقروء المجموع، ووصفه بالحكيم لأن آياته ذات أحكام، أو هو ناطق بالحكمة، وكلاهما من باب المجاز العقلي للمبالغة، وتعريف اللفظين بأل للدلالة على الاختصاص والكمال.

قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ ﴾

الكلام جواب القسم، والتأكيد بـ (إن) ولام الخبر، لتحقيق كون محمد ﷺ مرسلا من عند الله برسالة التوحيد كسابقيه من الرسل، وفي ذلك التأكيد تعريض بالمشركين المكذبين، و(من) للتبيين، أي: من جنس الأنبياء ومن سنخهم، ولفظ المرسلين اسم مفعول من الفعل (أرسل)، وهم الحاملون رسالة ربهم إلى أممهم لدعوة التوحيد.

قوله تعالى ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤ ﴾

الجملة خبر بعد خبر لـ (إنك)، وهو أثبت للمعنى من غيره من الاحتمالات النحوية، أي الرسول ﷺ على دين التوحيد، فهو الصراط المستقيم الذي ينتهي بسالكه إلى السعادة الأبدية، وتفيد (على) الاستعلاء المجازي لتمكن النبي ﷺ وثباته على دينه، ولفظ الصراط استعارة لسبيل التوحيد، وتنكيره

لنوعيته، ووصفه بالمستقيم دال على أمان سالكه وأنه يؤدي به إلى النجاة، فإن الطرق المتعرجة حافلة بالمخاطر.

قوله تعالى ﴿ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ ﴾

رجوع بالكلام إلى صفة المقسم به أي القرآن، ونصب لفظ التنزيل على تقدير: نزل القرآن تنزيل العزيز الرحيم، فهو مفعول مطلق يفيد النوعية، وإضافته إلى العزيز الرحيم إضافة تعظيم، فالله تعالى قوي لا يستذله المكذبون، وهو الرحيم الذي يقبل من عباده المؤمنين.

قوله تعالى ﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦ ﴾

قوله (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) جملة تعليل للإرسال، والإنذار لأن المقام لتخويف المشركين، وتنكير لفظ القوم لإفادة تعريفهم بجملة النفي بعدها، وهم قوم قريش، الذين لم يبعث إلى آبائهم الأدنين نبي بخلاف الأبعدين فقد بعث إليهم النبي إسماعيل، وأما العرب من النواحي القريبة من قريش فقد أرسل الله إليهم من قبل هود وصالح وشعيب، ولا شك في أن بين بعثتهم وبعثة الرسول ﷺ فترة من الوحي.

قوله (فهم غافلون) تفرع على نفي إنذار آباء قريش ثبات غفلة نفوسهم عن التوحيد، ونسيان دلائل آثاره الدالة عليه، فقد صيرهم الشرك صما عميا.

قوله تعالى ﴿ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧ ﴾

قوله (لقد حق القول على أكثرهم) القسم والتحقيق في (لقد) لحتمية وقوع الإخبار، وتحقيق القول ثبات وقوع وعيد الله في الكافرين ولزوم حصوله، فتعريف القول للعهد يراد به كلمته تعالى لإبليس في قوله عز وجل: (الحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) [ص: ٨٥]، و(على) حرف استعلاء وتمكين، والاحتراز في ذكر (أكثرهم) لإخراج القلة المؤمنة من الوعيد.

قوله (فهم لا يؤمنون) الفاء لتفريع نفي أن يؤمن أكثر مشركي مكة.

قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ٨ ﴾

قوله (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان) الكلام تعليل لنفي الإيمان عن مشركي مكة، والآية وما بعدها تشبيه تمثيلي لحالهم الذي يمنعهم من الاهتداء إلى دعوة التوحيد، لطبع نفوسهم على الكفر، فقد منعوا من النظر عما يمكن التفكر فيه والتأثر به وذلك بجعل أعناقهم مرفوعة إلى فوق بتقييدها بقيود الحديد فتجعلها مرفوعة من تحت الأذقان فلا تنظر ما بين يديها.

قال الزمخشري: معناه: فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوزة إليها، وذلك أن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون ملتقى طرفيه تحت الذقن، حلقة

فيها رأس العمود نادرا من الحلقة إلى الذقن، فلا تخليه يطأطئ رأسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا. انتهى.

والأغلال جمع غل بضم الغين، والغل أصله المنع، ومن هنا استعمل لأنه يمنع حركة المغلول، وتنكير اللفظ لإفادة نوعية منه تجعل من يغل بها مضطرا إلى رفع رأسه، والفاء في (فهي) للترتيب الذكري، والضمير راجع إلى الأغلال، و(إلى) بمعنى أن الأغلال منتهية إلى أذقانهم، التي بها يكونون مقمحين.

قوله (فهم مقمحون) ويتفرع على ذلك النوع من التقييد أن يقمحوا، والإقماح أصله رفع الإبل لرؤوسها، قال الطبرسي: وقيل للكانونين: شهر إقماح، لأن الإبل إذا وردت الماء ترفع رؤوسها لشدة برده، ويقال: قمح البعير: إذا رفع رأسه ولم يشرب الماء، وبعير قامح وإبل قماح، وأقمحتها أنا. ذكر في مجمع البيان. انتهى.

ولا ريب في أن من كانت هذه صورته لا يهتدي طريقه ولا يميزه.

قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

قوله (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) الكلام تتمة للتعليل، لأنه تصوير لمنع ثان من إدراك الآيات وفهمها للتوصل بها إلى الإيمان بالخالق.

والمراد من ذكر الجهات المتقابلة (بين أيديهم، وخلفهم) الإحاطة الكاملة للمنع، والمراد من ذكر السد جعلهم وحيدين مع أنفسهم وشياطينهم لا يرون غيرها، و(من) ابتدائية، وتكرارها للتأكيد، والسد الحاجز، وتنكيره للنوعية فهو حاجز خاص يمنع أنفسهم من الاقتراب إلى المعارف الحقة.

قوله (فأغشيناهم) تفرع على الجعلين الأغلال والسد من جميع جهاتهم بحيث أصبحت أبصارهم في غشاوة كاملة عما حولهم. والتغشية التغطية.

قوله (فهم لا يبصرون) وتفرع على الغشيان أنهم عدموا مزية الإبصار وقدرة التمييز، فبقوا ضالين غير منتفعين بنعمة الهداية جزاء على أعمالهم.

وروي في أسباب نزول الآيات روايات مختلفة لا تنسجم كثيرا مع السياق المترابط.

قوله تعالى ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

قوله (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) الواو عطف تفسير لما تقدم. والمراد في خطاب الرسول ﷺ أن هؤلاء المطبوع على قلوبهم بالكفر لا ينفع معهم إنذارك فهم لا يؤمنون بالله سواء أنذروا أم لم ينذروا.

ولا تنافي بين إخبار النبي ﷺ بأنهم لا يؤمنون سواء أنذروا أم لم ينذروا وبين إنذارهم لأن في ذلك التبليغ تتميما للحجة عليهم ونفيا لمعذرتهم فيما لو اعتذروا بعدم التبليغ، قال تعالى (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) [الأنفال: ٤٢].

قوله (لا يؤمنون) جملة نفي الإيمان المطلق عنهم جملة تبيين لاستواء الإنذار وعدمه. ومضارع الفعل تأييس من إيمانهم، أي: لا يؤمنون لا الآن ولا في المستقبل.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١ ﴾

قوله (إنما تنذر من أتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب) أي: هذا الذي ينتفع بالإنذار منك أيها الرسول ﷺ، والصلة علة للحصر، واتباع الذكر كناية عن الإيمان بآيات الله في القرآن، فإن الذكر غالبا ما يطلق على كتاب الله العزيز، والخشية خوف الله باعتقاد وإيمان، وإيراده بصيغة الماضي لتحقق وقوعه.

وخص اسم الرحمن بالذكر لإفادة أنها خشية رجاء بالله، لأن الخاشي علم بسعة رحمة ربه فالتمس من عبوديته لربه ألاّ يأمن فيتكل عليها من دون عمل وطاعة، وإلا يقنط منها فييأس من روح الله، بل هو خوف مشوب برجاء.

وشبه الجملة (بالغيب) محلها الحال بمعنى: خشي الرحمن في حال احتجاب الله عنه، بوعي وإدراك واختيار، لا بإلجاء وقهر كما في العالم الآخر. وقيل في تفسير آخر يراد به غيب الناس بعيدا عن المراءاة، والأول أنسب.

قوله (فبشره بمغفرة وأجر كريم) الفاء للتفريع، والتبشير إسماع الآخر خبرا يدخل السرور عليه، وليس كمثل البشارة بغفران الله يوم القيامة وثوابه العظيم، وتنكير لفظ المغفرة والأجر للتعظيم، والصفة بالكريم لإفادة مضاعفة الأجر وأنه أفضل الأجر، فالله يعطي مكان الحسنة بعشرة أمثالها.

وبين جملة الإنذار في صدر الآية وجملة التبشير في آخرها مقابلة بديعية أفادت حسن عاقبتهم بالتبشير بعد الإنذار.

قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله (إنا نحن نحيي الموتى) الكلام تعليل لمعنى ما تقدم من أولئك الذين حق القول عليهم وهؤلاء الذين اتبعوا الذكر، لإفادة أن كل شيء مكتوب في إمام مبين.

والمعنى مؤكد بحرف الابتداء وضمير الفصل لتحقيقه، وإحياء الموتى لتأكيد معادهم وحشرهم إلى عرصات القيامة، وتعريف الموتى للعموم.

قوله (ونكتب ما قدموا وآثارهم) فعل الكتابة استعارة لتثبيت الأعمال الدنيوية وإحصائها على يدي الملائكة الموكلين من الله بذلك.

وفعل التقديم استعارة للأعمال في الدنيا لأن عاملها كأنه يقدمها إلى الآخرة، وأما الآثار فهي تبعاتهم من بعد موتهم في شؤون الخير كأعمال البر في بناء دور العبادة ودور الأيتام والتعليم وتربية الولد الصالح ونحو ذلك، أو

آثارهم في شؤون الشر كالسنة السيئة أو البدعة الضالة أو بناء دور للفسق ونحو ذلك، وذلك كله أحصاه الله تعالى في صحائف أعمالهم التي ستنشر لهم يوم المحشر.

وفي الحديث المشهور قوله ﷺ: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لا ينقص من أوزارهم شيء، ثم تلا هذه الآية (ونكتب ما قدموا وآثارهم). ذكر في الدر وغيره من الصحاح والسنن. انتهى.

قوله (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) وفوق ذلك أحصى الله كل شيء في اللوح المحفوظ الذي سماه الإمام المبين لاشتماله على تفصيل قضائه سبحانه، ولفظ الإمام هو المقدم الذي يقتدى به، قال السيد في الميزان: ولعل العناية في تسميته إماما مبينا أنه لاشتماله على القضاء المحتوم متبوع للخلق مقتدى لهم وكتب الأعمال. انتهى.

وفي تفسير القمي ذكر عن ابن عباس في معنى (إمام مبين) قول أمير المؤمنين عليه السلام: أنا والله الإمام المبين، أبين الحق من الباطل، ورثته من رسول الله ﷺ. انتهى.

وقريب من ذلك في كتاب معاني الأخبار، وعلق السيد الطباطبائي على الحديثين فقال: الحديثان لو صحا لم يكونا من التفسير في شيء، بل مضمونهما من بطن القرآن وإشاراته، ولا مانع من أن يرزق الله عبدا

وحده وأخلص العبودية له العلم بما في الكتاب المبين، وهو عليه السلام سيد الموحدين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. انتهى.

ونصب (كل شيء) على تقدير: وكل شيء أحصينا أحصيناه في إمام مبين، والإحصاء العد، و(في) للملابسة الظرفية.

قوله تعالى ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ ﴾

قوله (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) أي: واضرب أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقريش مثلا، وضرب المثل لإفادة الاعتبار بالحس، فإن الإنسان يتأثر بمشاهدة المعاني ولهذا كثرت الأمثال في القرآن.

ونصب (أصحاب القرية) لأنه بدل من (مثلا)، أو لأنها مفعول أول من (اضرب) على تقدير: واضرب لهم أصحاب القرية مثلا، وهو الأنسب.

ولم تصرح الآية باسم القرية ولا مكانها لإفادة مقاربتها بأحوال قرية مكة وأهلها، وقيل في سبب النزول أنها قرية أنطاكية، وعلى هذا تكون أل القرية للعهد.

قوله (إذ جاءها المرسلون) العامل في (إذ) الأمر في (واضرب)، ومجيء المرسلين مجاز في التبليغ برسالة الله، ومفعول الفعل عائد إلى القرية على سبيل المجاز لأن الحقيقة أن المرسلين جاؤوا أهلها.

قوله تعالى ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما) الكلام تفصيل لقوله (إذ جاءها المرسلون)، وتعدية فعل الإرسال بـ (إليهم)، دون أن يقال: إليها، اتباعا لـ (جاءها) لبناء الكلام بعده على ضمير أصحاب القرية، والفاء المقترن بفعل التكذيب للتعقيب، والفعل دال على شدة تكذيب أهل تلك القرية للرسولين.

قوله (فعززنا بثالث) تفرع على التكذيب إرسال الله رسولا ثالثا يقوي موقف الاثنين في دعوتهم إلى الحق ويؤيدهم.

قوله (فقالوا إنا إليكم مرسلون) تأكيد القول بحرف النسخ وتقديم (إليكم) على عامله لأن المخاطبين منكرون لرسالتهم.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

قوله (قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا) القول مؤكد من أصحاب القرية أنكروا فيه أن يبعث الله رسولا بشرا محتجين بالمثلية، فهم يرون ألا تمييز بين المرسلين وبينهم فلو أمكن بعث البشر رسلا ـ في تقديرهم ـ لانطبق الحال على أنفسهم باعتبار أن حكم الأمثال واحد.

قوله (وما أنزل الرحمان من شيء) نفي مطلق بعد الاحتجاج يفيد التقرير، أي: وما أنزل الله وحيا من عنده، وذكر الرحمن لأن الوثنيين يقرون بالله ربا للأرباب ولكنهم يزعمون الشركة له فيعبدون شركاءه من الملائكة في السماء والأصنام في الأرض، و(من) زائدة لتأكيد نفي العموم.

قوله (إن أنتم إلا تكذبون) الكلام مؤكد بأشد النفي، فلإصرار أصحاب القرية على الكفر قصروا وجود المرسلين على الكذب.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ ﴾

لما شدد المنكرون تكذيبهم لرسالة المرسلين احتجوا بعلم الله بإرسالهم وغناهم به واستغنائهم عن تصديق أصحاب القرية، وقابلوا إنكارهم بمزيد من تأكيد رسالتهم فجاؤوا بـ (إن) ولام التأكيد.

وتحتمل صيغة (ربنا يعلم) معنى القسم، لأن مضمونها دال على ذلك، وهي صيغة شائعة.

قوله تعالى ﴿ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧ ﴾

أي: مهمتنا تبليغكم برسالة الله، وليس علينا هدايتكم، فإن اهتديتم فلأنفسكم وإن كفرتم فعليها كفرها، و(علينا) مجاز في الإيجاب والفرض، والبلاغ المبين التبليغ الواضح.

قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ ﴾

قوله (قالوا إنا تطيرنا بكم) أي: قال أصحاب القرية رادين على المرسلين: إنا تشاءمنا منكم، والطيرة ضد التفاؤل، والإخبار تمهيد للتهديد بعده.

قوله (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم) قسم وشرط دال على عزمهم على الفعل، وهو تهديدهم بالرجم بالحجارة حتى الموت إذا لم يمتنعوا من دعوة إلى الإيمان.

قوله (وليمسنكم منا عذاب أليم) من تتمة التهديد، أي: ولنوقعن بكم أشد العذاب وآلمه، والمس أخص بالقرب، و(منا) للتأكيد، وتنكير العذاب للتهويل، ووصفه بالأليم مجاز عقلي يراد به المؤلم.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ ﴾

قوله (قالوا طائركم معكم) الفصل للمحاورة، والكلام للرسل يردون على أصحاب القرية، والمعنى: إن ما تتوهمونه من طيرة هو معكم لأن إعراضكم عن التوحيد سبب ما تتوقعون من شقاء، وهو الذي ينبغي أن تتشاءموا به.

قوله (أئن ذكرتم) همزة الاستفهام للتوبيخ، و(إن) للشرط، وجملة ذكرتم بمعنى: بلغتم بالتوحيد، وجوابه محذوف تقديره: فقابلتموه بالجحود.

قوله (بل أنتم قوم مسرفون) بل: للإضراب الانتقالي، لتأكيد أن كفرهم بسبب تجاوز نفوسهم الحد في الباطل والمعصية.

فقد جاء في المجمع: قالوا: بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى مدينة أنطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال: أمعكما آية؟ قالا: نعم. نحن نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، فقال الشيخ: إن لي ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا: فانطلق بنا إلى منزلك نتطلع حاله فذهب بهما فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر في المدينة، وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى، وكان لهم ملك يعبد الأصنام فأنهي الخبر إليه فدعاهما فقال لهما: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى، جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر، قال الملك: ولنا إله سوى آلهتنا؟ قالا: نعم من أوجدك وآلهتك، قال: قوما حتى أنظر في أمركما، فأخذهما الناس في السوق وضربوهما. انتهى.

وفيه: قال وهب بن منبه: بعث عيسى هذين الرسولين إلى أنطاكية فأتياها ولم يصلا إلى ملكها، وطالت مدة مقامهما، فخرج الملك ذات يوم، فكبرا وذكرا الله فغضب الملك، وأمر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة،

فلما كذب الرسولان وضربا، بعث عيسى شمعون الصفا رأس الحواريين على أمرهما لينصرهما، فدخل شمعون البلد متنكرا، فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به، فرفعوا خبره إلى الملك، فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه، ثم قال له ذات يوم: أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل سمعت قولهما؟ قال الملك: حال الغضب بيني وبين ذلك. قال: فإن رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما، فدعاهما الملك فقال لهما شمعون: من أرسلكما إلى ههنا؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء لا شريك له، قال: وما آتاكما؟ قالا: ما تتمناه، فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة، فما زالا يدعوان الله حتى انشق موضع البصر، فأخذا بندقتين من الطين فوضعا في حدقتيه، فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك، ثم قال شمعون للملك: أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع صنيعا مثل هذا؟ فيكون لك ولإلهك شرفا. فقال الملك: ليس لي عنك سر، إن إلهنا الذي نعبده لا يضر ولا ينفع. ثم قال الملك للرسولين: إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به وبكما، قالا: إلهنا قادر على كل شيء، فقال الملك: إن ههنا ميتا مات منذ سبعة أيام لم ندفنه حتى يرجع أبوه، وكان غائبا، فجاؤوا بالميت وقد تغير وأروح، فجعلا يدعوان ربهما علانية، وجعل شمعون يدعو ربه سرا، فقام الميت وقال لهم: إني قد متُّ منذ سبعة أيام، وأدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه، فآمنوا بالله، فتعجب الملك، فلما علم شمعون

أن قوله أثر في الملك دعاه إلى الله، فآمن وآمن من أهل مملكته قوم وكفر آخرون. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠ ﴾

قوله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) العطف دال على أن مجيء الرجل وقت المحاورة وتهديد أصحاب القرية للمرسلين بالرجم، وابتداء المجيء في (من أقصى المدينة) دال على أن الرجل جاء مسرعا من أبعد مواضع المدينة بالنسبة إلى مكان محاورة الرسل مع أصحاب القرية، وأبدل لفظ القرية بالمدينة للإشارة إلى عظمها، وتنكير رجل دال على أهمية شأنه، وجملة (يسعى) حالية بمعنى: مسرعا في حال من الاهتمام.

ونظير الكلام في قوله تعالى في شأن موسى عليه السلام (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) [القصص ٢٠]، فقدم (رجل) للاهتمام بخبر الائتمار بموسى بعد قتله القبطي، وأخر هنا وقدم (من أقصى المدينة)، ليعلم ـ كما قال الطباطبائي: ألاّ تواطؤ بينه وبين الرسل في أمر الدعوة. انتهى.

وعلى عادة الأسلوب القرآني في الإعراض عما هو ليس بمفيد لسياق العظة، لم تصرح الآية باسم الرجل، فالإغضاء عن هويته لا ينقص من التدبر شيئا، بينما انشغلت الآراء التفسيرية كثيرا في تسمية الرجل وحرفته، وأكثرها شهرة هو حبيب النجار، صاحب يس.

قوله (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) خاطب قومه بما يلين جانبهم فأضافهم إلى نفسه، والأمر بالاتباع مجاز في طاعة المرسلين.

قوله تعالى ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ ﴾

قوله (اتبعوا من لا يسئلكم أجرا) جملة تأكيد لما سبقها، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان تعليل الأمر بالاتباع، بمعنى: لا مصلحة للمرسلين في أمر الاتباع ولا انتفاع لهم من ذلك إلا رجاء ثواب الله تعالى.

قوله (وهم مهتدون) أي: شأن المرسلين الاهتداء، وذلك بالاستدلال على أحقية دعوتهم إلى التوحيد.

قوله تعالى ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ﴾

قوله (وما لي لا أعبد الذي فطرني) استفهام إنكاري، وفيه معنى نفي التعجيب من عبادة الله، أي: وأي شيء لي إذا لم أعبد الذي فطرني، وفائدة استعمال الموصول وصلته بيان علة الإنكار، و(الذي فطرني) بمعنى: الذي خلقني وأوجدني.

وفي دلالة الكلام يقين معرفي من هذا الرجل، ورد على قومه الوثنيين القائلين باستحالة الوصول إلى عبادة الله بحجة أنه ذات متعالية فيعبدون وكلاءه لأنهم وسطاؤه على حد زعمهم،

واستعمال ضمير التكلم للإشارة إلى أن الحكم واحد في نوعه الإنساني ومنهم المخاطبون، وهو تلطف في الكلام من دون إثارة حميتهم، فأشار إليهم بإسناد الخبر إلى نفسه أنه يريد لهم الخير مثلما يريده لنفسه.

قوله (وإليه ترجعون) أي: وإلى الله وحده رجوعكم بعد موتكم. وفي القصر إثبات للمعاد، وتهديد لهم بترك دعوة الرسل.

قوله تعالى ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾

قوله (أأتخذ من دونه آلهة) أي: لا أتخذ من غير عبادة الله آلهة متعددة. والظرف (من دونه) في موقع الحال.

قوله (إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) وأسلوب الشرط للاحتجاج على الوثنيين ولإبطال عبادتهم، فجعل إرادة الله هي الحاكمة في قضائها، فلا شفاعة مزعومة مستقلة عن إرادته تعالى كما يزعمون، إذ الشفاعة لمن يملكه الرحمن ويأذن له لا للذين يدعون تقاسم الألوهية معه فهؤلاء أسماء بلا مسمى ولا شفاعة لهم، ولا يغنون شيئا ولا ينقذون أحدا إذا أراد الله به إيقاع عقابه.

وحذف ياء التكلم من الفعل (يردني) وحذف الياء الأصلية من الفعل (يغني) للرسم القرآني ولرعاية تخفيف النبر على الياء، أما حذفها من (ينقذون) فلرعاية الفاصلة القرآنية، وأمثالها كثير في آيات الكتاب العزيز.

وذكر اسم الرحمن للإشارة إلى سعة رحمته تعالى واستقلاله سبحانه في الخلق والتدبير، وهما من لوازم الألوهية.

وفي الآيتين إبطال لعبادة الوثنية من جهتين من الأولى إبطال زعم أن الله لا يتوجه إليه بعبادة بحجة أنه لا يدرك بحس، والثانية إبطال زعم شفاعة آلهتهم.

قوله تعالى ﴿ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤ ﴾

تأكيد من الرجل المؤمن بتسجيل الضلال على نفسه في حال اتخاذ عبادة غير عبادة التوحيد، والكلام متصل بما قبله كما اتضح. و(إذن) حرف جزاء، واللام في (لفي) واقعة في خبر (إن)، و(في) للتلبس الظرفي المجازي، و(الضلال المبين) إضاعة طريق الحق إضاعة واضحة.

قوله تعالى ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥ ﴾

قوله (إني آمنت بربكم) إعلان من نفس الرجل المؤمن للرسل بإيمانه بالله، وفي الكلام تأييد للرسل على دعوتهم، وفي خصوص الخطاب بذكر (ربكم) إسماع للمخاطبين بتأكيد عبادة الله الواحد إنكارا لعبادة الأرباب التي يتخذها قومه.

قوله (فاسمعون) تفريع بطلب تسجيل الشهادة له من الرسل المخاطبين، وحذف ياء التكلم من الفعل لخصوصية الفاصلة القرآنية، وقد مر مثله.

قوله تعالى ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ ﴾

قوله (قيل ادخل الجنة) الخطاب من الله للرجل المؤمن بالأمر بدخول الجنة دال على أن قومه لم ترضهم محاجته فقتلوه، ومن جمال النظم القرآني في إيجاز خاتمة الرجل المؤمن أنه طوي خبر موته بالكناية عنه بالأمر بدخول الجنة، وتعريف الجنة للعهد يراد بها جنة البرزخ، وهو دليل على إثبات عالم ما بعد الموت، وهو عالم الانتظار الذي ينكره الوثنيون والكافرون.

قوله (قال يا ليت قومي يعلمون) جملة استئناف مبينة لفضول السائلين عن حال الرجل بعد دخول الجنة، وذكر قومه في تمنيه دال على سعة خلق الرجل وعفوه عما فعلوه به، مثلما هو دال على نصحه لهم بعد مماته كما نصحهم في حياته.

قوله تعالى ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧ ﴾

قوله (بما غفر لي ربي) شبه الجملة (بما) متعلق بـ (يعلمون)، و(ما) مصدرية بمعنى: بغفران الله، وهو ستره لمعاصي عبده وتجاوزه عنها.

قوله (وجعلني من المكرمين) أي: وجعلني الله من جملة عباده الذين شملتهم الكرامة عنده والمنزلة الرفيعة.

وفي الحديث المرفوع عنه ﷺ أنه قال: إن سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب يس، ومؤمن آل فرعون، فهم

الصديقون، وعلي أفضلهم. ذكره الثعلبي في تفسيره، وابن شهر اشوب في المناقب وغيرهما. انتهى.

وقريب منه في الدر المنثور بإسناده عن أبي ليلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصديقين ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي قال: (يا قوم اتبعوا المرسلين)، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله)، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ ﴾

قوله (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) الكلام من الله تعالى كناية عن سهولة إهلاك الظالمين عليه تعالى، وأنهم لا قيمة لهم. والمعنى: لم ينزل الله على القوم بعد قتل الرجل المؤمن جندا ملائكة من السماء ليقتلوهم.

و(على) للتمكن المجازي، والهاء في (قومه وبعده) عائدة إلى الرجل، و(من) الأولى والثالثة ابتدائية، والثانية زائدة لتقوية نفي العموم، وتنكير (جند) للتعظيم، ولفظ السماء كناية عن مقام العلو.

قوله (وما كنا منزلين) أي: ولم ننزل قبلهم على الأمم البائدة فيما مضى مثل ذلك لإفنائهم.

قوله تعالى ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله (إن كانت إلا صيحة واحدة) الفصل لتعليل النفي السابق، أي: لأن هلاكهم يسير عليه تعالى بصيحة واحدة جعلهم موتى ساكنين مكانهم، و(إن) بمعنى (ما) النافية، والصيحة كناية عن الصاعقة التي تنقلع لها القلوب، وهو نوع عذاب استئصال، وتنكير اللفظ ووصفها بالواحدة لتقليل شأنها توصلا إلى أن إفناءهم مما يسهل على الجبار القهار.

قوله (فإذا هم خامدون) تفرع على الصيحة مفاجأة خمود أهل القرية وإماتتهم، والخمود سكون حركتهم كناية عن موتهم في مكانهم.

قوله تعالى ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله (يا حسرة على العباد) الآية من تتمة كلام الله تعالى، نداء الحسرة لإنزالها منزلة العقلاء، لإفادة المبالغة في استدعاء الندامة على تفويت العباد لفرصة النجاة، ولفظ العباد للعموم.

قوله (ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن) الفصل لتعليل ما قبلها، وهو إصرار العباد المكذبين بالرسل.

و(من) مزيدة لتأكيد عموم النفي، وتنكير لفظ الرسول للتعظيم، وتقديم (به) للاهتمام، والاستهزاء الاستخفاف مبالغة في الهزء، وأوتي بالكلام مؤكدا

بالنفي والاستثناء لرسوخ المعنى في نفوسهم، وفي الآية تعريض بتكذيب مشركي مكة لنبيهم ﷺ.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

قوله (ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون) الاستفهام للتقرير والتوبيخ من عدم الاتعاظ بعواقب الأمم الهالكة، وضمير الجمع في (يروا وقبلهم) راجع إلى العباد المتحسر عليهم، وتفيد (كم) معنى كثرة الإهلاك.

والظرف (من القرون) بيان لـ (كم)، والقرون جمع قرن أريد بها الأمم السابقة لأنها مقترنه بها، فكل أمة مقترنة بعصر.

قوله (أنهم إليهم لا يرجعون) الجملة بدل من (كم أهلكنا)، وضمير الجمع في (أنهم، ويرجعون) عائد إلى القرون، وفي (إليهم) راجع إلى العباد، أي: القرون الهالكة لا يرجعون إليهم، لاستحالة عودتهم إلى الدنيا بعد موتهم.

قوله تعالى ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

أي: وما كل الأمم إلا مجموعون محضرون يوم القيامة للسؤال، والكلام في معنى قوله تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) [هود: ١٠٣].

و(إن) بمعنى (ما) النافية، وتنوين (كل) لأنه مقطوع عن الإضافة، و(لما) بمعنى: إلا، و(جميع) بمعنى مجموع، خبر، لأن الاستثناء مفرغ، و(لدينا) ظرف مكاني مجازي تأكيد لإحضارهم بين يدي ربهم للحساب، و(محضرون) خبر ثان، أي مجلوبون قهرا.

قوله تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ٣٣ ﴾

قوله (وآية لهم الأرض الميتة) الكلام في تقريب البعث للأذهان إثباتا للوحدانية. والآية البرهان، وارتفاعها لأنها مبتدأ، موصوف بـ (لهم). والضمير في (لهم) لعموم الناس المكذبين، و(الأرض الميتة) خبر المبتدأ، وهي الأرض التي لا نبات فيها ولا حياة، فـ (ميتة) استعارة لجدب الأرض وقحطها.

قوله (أحييناها) جملة موقعها الحال، وإحياء الأرض استعارة من سقيها بالماء وإنبات النبات، واستعارتها شائعة في آيات الكتاب العزيز، تقريبا لإخراج الأموات أحياء يوم البعث والنشور.

قوله (وأخرجنا منها حبا) أي: وأنبتنا في الأرض النبات الذي يخرج منه الحب والثمر، والحب اسم جمع مفرده حبة كحبة الشعير والبر.

قوله (فمنه يأكلون) الفاء للتفريع، و(من) في (منه) ابتدائية، والهاء ضمير عائد إلى الحب، ومضارع فعل الأكل باعتبار استمرار منن الله الذي يستمر به بقاؤهم في الأكل.

قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾

قوله (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) أي: وخلقنا في الأرض بساتين مكتظة بالنخيل والكروم، و(من) بيانية.

قوله (وفجرنا فيها من العيون) التفجير كناية عن كثرة إخراج الماء من الأرض، الذي به حياة النبات والنخيل والكروم، و(من) بيانية، والعيون كناية عن كثرة منابع الماء وأنها ليست في مكان واحد فيصعب وصول الماء إلى النبات والأشجار.

قوله تعالى ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قوله (ليأكلوا من ثمره) جملة غائية لما تقدم، و(من) بيانية، والهاء في (ثمره) بتقدير: من ثمر ما ذكر.

قوله (وما عملته أيديهم) أي: والذي عملته أيديهم من ثمر النخيل والكروم ومنافعه الكثيرة، فهو داخل في منن الله تعالى لأن ذلك بإلهام منه تعالى لعباده، ويجوز أن تكون (ما) نافية.

قوله (أفلا يشكرون) تفريع الاستفهام الإنكاري لتوبيخ جحودهم لنعم الله، وعدم شكرهم له سبحانه، والإتيان بفعل المضارع لإفادة إيجاب تكرار شكرهم بدلا من إنكارها.

قوله تعالى ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

قوله (سبحان الذي خلق الأزواج كلها) صيغة (سبحان) إنشاء ثناء على الله تعالى بتنزيهه عن كل ما لا يليق بساحة قدسه، ومنها عدم شكرهم لما خلق ورزق، وجملة الموصول وصلته إشارة إلى العلية، والأزواج الأنواع كل بقرينه لأنه مفتقر إليه، فجعل تكاثرها من نفس صفات نوعها.

قوله (مما تنبت الأرض) تعداد بياني للأزواج، و(من) في (مما) بيانية، وإنبات الأرض إشارة إلى ما تخرج الأرض من أنواع كالنبات، قال في الميزان: ولا يبعد شموله الحيوان وقد قال تعالى في الإنسان وهو من أنواع الحيوان (والله أنبتكم من الأرض نباتا) [نوح:١٧]. انتهى. لأن الآية لم تذكر الحيوان في استيعابها أصناف الأحياء.

قوله (ومن أنفسهم) كناية عن الناس، أي: من نفس نوعهم الآدمي من تلاقي الذكر والأنثى.

قوله (ومما لا يعلمون) أي: وخلق الله مما لا يعلمون من ظهور الأحياء وكيفية كثرتها.

قوله تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ٣٧ ﴾

قوله (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) آية من آيات الوحدانية وترجمان تدبيره سبحانه، وارتفاع لفظ (آية) كارتفاعها في قوله (وآية لهم الأرض الميتة)، وتعاقب الليل والنهار ناتج من حركة منتظمة لدوران الأرض حول نفسها يوميا مع ثبات بعدها عن الشمس بحساب دقيق لا يقدر على ضبطه سواه تعالى.

واللام في (لهم) بمعنى لأجل انتفاعهم في الراحة ليلا، وطلب الرزق نهارا، وتقديم الليل لأن الأصل العدم، يطرأ عليه ضوء النهار.

وفعل السلخ استعارة من إخراج الشيء المتلبس بشيء آخر، كإخراج لحم الشاة بسلخه من جلدها، ولذلك تعدى الفعل بـ (من)، وفيه فضل عناية وتدريج، وهو ما يتناسب وصورة طلوع النهار من ظلمة الليل.

قوله (فإذا هم مظلمون) الفاء لتفريع مفاجأة عودة إطباق الليل على النهار لأنها في تعاقب مستمر.

قوله تعالى ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ ﴾

قوله (والشمس تجري لمستقر لها) آية بعد آية من شؤون الله في التدبير السماوي المنعكس أثره على العالم الأرضي، والشمس جرم سماوي كبير جوهره انفجارات نارية هائلة تنبعث منها حرارة شديدة تصل لآلاف المسافات لما يحيط بها من أجرام سيارة حول منظومتها، ومنها الأرض. وفعل الجري استعارة لحركتها من السير السريع، ودال على تنقلها في بروجها، ذلك التنقل الذي يفيد عالم الأرض في تكوين الفصول الأربعة، وجملة (تجري) موقعها الحال، في حال تقدير: والشمس آية لهم تجري، أو موقعها الخبر لما قبلها.

واللام في (لمستقر) بمعنى (إلى)، والمستقر مصدر ميمي مثل الاستقرار، و(لها) بمعنى دبر لها، والكلام كناية عن انتهاء أجلها يوم القيامة، حيث تفنى ويفنى بها العالم.

قوله (ذلك تقدير العزيز العليم) أي: ذلك الجري للشمس تدبير من الله تعالى الذي لا يغلبه غالب ولا يغيب عن علمه شيء.

قوله تعالى ﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ ﴾

قوله (والقمر قدرناه منازل) نصب لفظ القمر على الاشتغال، والقمر كوكب معلوم ضمن الكواكب السيارة مع الأرض المرتبطة بالمنظومة الشمسية،

تكتسب نورها من الشمس ويستفيد من انعكاسه على الأرض أهلها، لأن فيه أثرا في المد والجزر وفي حياة الناس.

والتقدير تحديد الأشياء بقدر ونظام مثل تقدير الكميات من الموزونات والمعدودات، وهو دال على حكمة وتدبير، و(قدرناه منازل) بمعنى: قدرناه ذا منازل، وهي منازل بالنسبة لأهل الأرض لا إلى نفسه، والمنازل جمع منزل استعارة لأحوال القمر الطارئة التي يقطعها كل ثمانية وعشرين يوما وليلة، يبدؤها هلالا ثم يتسع ضوؤه بأثر انعكاس ضوء الشمس ثم يكون بدرا كاملا، ثم لا يزال ينقص حتى ينمحق فيعود ثانية إلى ما كان عليه أوله.

قوله (حتى عاد كالعرجون القديم) أي: حتى عاد القمر في آخر الشهر هلالا يشبه العرجون القديم المصفر، والعرجون عذق النخلة ووصفه بالقديم لأنه إذا مضت عليه الأيام يبس واصفر لونه وتقوس عوده كالهلال.

قوله تعالى ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ ﴾

قوله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) أي: لا تصطدم هذه بهذا، والابتداء في النفي، فلم يقل: الشمس لا ينبغي، لإفادة ترسيخه في الذهن، واستعمال نفي الانبغاء دلالته تأكيد الحظر، أي ممنوع على الشمس إدراك القمر في سيره سابحا في مداره الفضائي، والإدراك اللحوق والوصول.

والاكتفاء بنفي إدراك الشمس للقمر من دون ذكر العكس، لأن المقام في بيان تدبيرها وحفظها من أي خلل، فذكر الأكبر دون الأصغر، وذكر الأصل في السبق دون الطارئ.

قوله (ولا الليل سابق النهار) أي: ولا الليل ينبغي أن يسبق النهار، وتقديم الليل كما تقدم لأنه الأصل، أي محال أن يسبق النهار فيجتمع ليلان، ثم نهاران، بل هما يسيران بتعاقب مستمر.

قوله (وكل في فلك يسبحون) أي: وكل جرم من الشمس والقمر والنجوم وغيرها من الكواكب تدور في فضاء واسع بخط سير مرسوم لها كما يدور المغزل في فلكه، وتنوين (كل) تنوين عوض لأنه مقطوع عن الإضافة، و(في) للملابسة الظرفية، والفلك الفضاء الذي تدور الأجرام العلوية كما يدور المغزل، ودلالة (يسبحون) الاستمرار، وإشارة العقلاء فيه دالة على مطاوعة الأجرام لتدبير الله وحكمته لأنها نزلت منزلة من يسمع ويعقل.

وفي صيغة (كل في فلك) محسن بديعي يسمى الطرد أو العكس يقرأ من شماله كما يقرأ من يمينه، ومثله قوله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) [الأنبياء: ٣٣]، ويقترن ذكر الليل والنهار غالبا بذكر الشمس والقمر.

قوله تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ ﴾

العطف على ما تقدم من ذكر آيات الربوبية، والآية تقال للعلامة والحجة والبرهان، و(لهم) صفة للفظ الآية كما تقدم، وجملة (أنا) محلها الرفع خبر أو بدل.

وإسناد فعل الحمل إلى الله لأنه تعالى السبب في تسخير البحار، وفي إلهام الإنسان صنع السفينة بتلك الكيفية، والفلك السفن الدائرة في البحار، ووصفها بلفظ (المشحون) أي: المملوءة بالأوزان الثقيلة.

والذرية نسل الإنسان من الأبناء والحفدة، وخصوص ذكرها في الحمل دون ذكر أنفسهم لإثارة شفقة المخاطبين بأنهم ضعاف لا قوة لهم على السفر، وتعدية فعل الحمل بـ (في) دون (على) للدلالة على الاستقرار في السفينة، وفُسِّر الفلك المشحون على أنه سفينة نوح، وهو بعيد يربك تركيبه ذكر الذرية.

قوله تعالى ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

أي: وخلق الله للعباد من مثل الفلك ما يتنقلون به في أسفارهم من مكان إلى آخر، والكلام من تتمة النعم في التنقل، لأنه ذكر وسائل التنقل في البر بعد ذكر البحر، فالمثل أريد به الأنعام خاصة، وقد فسر في مواضع أخرى من الكتاب العزيز كقوله تعالى (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) [الزخرف: ١٢]، وقال عز وجل: (وعليها وعلى الفلك تحملون) [المؤمن: ٨٠]، واللام في (لهم) بمعنى: لأجل انتفاعهم، و(من) للتبيين.

وأما القول بأن في الآية إشارات إلى المركبات الفضائية وبعضهم قال بالصواريخ فهو بعيد عن روح النص القائل بالعموم.

قوله تعالى ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله (وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) الكلام معطوف على قوله (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون)، والمعنى أن الله لما ذكر الحمل في الفلك ذكرهم بأن حفظهم من الغرق راجع إلى مشيئته لا إلى الفلك، فلو شاء أماتهم غرقا في فلكهم ولا أحد ينجدهم فلا ينجون.

والصريخ كناية عن المستغيث الطالب للنجدة من خطر دهمه، وغالبا ما يطلبه بصوت عال.

قوله (ولا هم ينقذون) أي: ولا هم ينجون من الغرق بالماء.

قوله تعالى ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

قوله (إلا رحمة منا) الاستثناء مفرغ والجملة بمعنى أن إنجاءهم مقصور على رحمة الله، وأن رحمته تعالى هي السبب، فنصب اللفظ لأنه مفعول لأجله، وتنكيره للتعظيم، و(منا) للتأكيد، و(من) فيه ابتدائية.

قوله (ومتاعا إلى حين) أي: وعيشا مؤقتا ينتهي في وقته المضروب له، ونصب لفظ المتاع لأنه معطوف على المستثنى.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٥ ﴾

قوله (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) الكلام تحذير بعد بيان آيات التوحيد، والأمر بالتقوى جوهره مخافة الله باجتناب معاصيه والتزام أوامره ونواهيه، والكناية في التقابل (ما بين أيديكم) و(ما خلفكم) بمعنى: اتقوا الشرك وما عملتم من آثام في حياتكم الدنيا وما ستحاسبون عليه في الآخرة.

وجواب (إذا) الشرطية محذوف دل عليه ما بعده، لإفادة أن يتصور السامع شدة إعراض الكافرين عن الإيمان بالله.

قوله (لعلكم ترحمون) جملة تعليل للأمر، أي: لكي تنالكم رحمته تعالى في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى ﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤٦ ﴾

إتيان الكلام بصيغة النفي والاستثناء للدلالة على شدة إعراض الكافرين عن دعوة التوحيد، وإتيانهم الآيات بصيغة العموم بمعنى تبليغهم بها وإرشادهم إليها بطريق المشاهدة أو بطريق السماع بتلاوتها عليهم.

و(من) مزيدة لتقوية عموم نفي الآيات، و(من) الثانية للتبعيض، ونسبة الآيات إلى (ربهم) نسبة تعظيم للآيات وتذكير لهم بمربوبيتهم له تعالى.

والاستثناء مفرغ، وصيغة مضي الكون للدلالة على رسوخ الكفر فيهم، والهاء في (عنها) راجعة إلى الآيات، والإعراض كناية عن تجاهلها وشدة الكفر بها لأنهم لا يريدون رؤيتها أو الإصغاء إليها توصلا للتصديق بها.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٧﴾ ﴾

قوله (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) الكلام في بيان أثر الشرك في خشونة النفس مع الخلق بعد بيان أثرها في الإعراض عن الخالق، والمراد بالإنفاق مساعدة الفقراء والمساكين على تخطي مصاعب عيشهم من الإطعام والإكساء ونحوه، و(من) في (مما) ابتدائية، وإسناد الرزق إلى الله للدلالة على أن المالك الحقيقي لما ينفق الله تعالى وإنما هم مخولون مسلطون عليه.

قوله (قال الذين كفروا للذين آمنوا) إظهار (الذين كفروا) في موضع إضماره، يشير إلى العلية في جوابهم.

قوله (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) أوردوا كلامهم بنحو الاستفهام الإنكاري للاحتجاج، والكلام دال على رسوخ الجهل بالألوهية في نفوسهم،

فهم يعتقدون بكرامة الأغنياء على الله ومهانة الفقراء عنده، فوقعوا في شبهة راسخة في عقيدتهم، وهي أن إرادة الله اقتضت فقر الفقير وغنى الغني، كأنهم أرادوا أنها إرادة تكوينية لا يتعلق بها التخيير، بينما الحال أنها إرادة تشريع لابتلاء الغني والفقير، الفقير بصبره والغني بإنفاقه. ومن هنا بيان علة خطابهم للذين آمنوا لأن القائلين لذلك القول هم المؤمنون.

قوله (إن أنتم إلا في ضلال مبين) التعليل من تتمة جواب الكافرين، فقد عدوا المؤمنين هم الواقعون في شبهات الضلال الواضح بصفات الله، والمراد به ضلال إضاعة أوجه الصواب.

قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾

قوله (ويقولون متى هذا الوعد) السؤال من المشركين عن الوعد على سبيل الاستهزاء منهم، واسم الإشارة للتقليل من خبر الوعد.

وتعريف الوعد المسؤول عنه هو ما توعدهم به الرسول ﷺ من إنزال العذاب بدليل ما بعده، ولفظ الوعد عام يستعمل للخير والشر.

قوله (إن كنتم صادقين) تعليق الصدق على إنجاز الوعد من المشركين جرأة منهم ومحالة لتعجيز النبي ﷺ.

قوله تعالى ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

قوله (ما ينظرون إلاّ صيحة واحدة تأخذهم) الكلام رد من الله على استهزاء قريش بانتظار الوعد فقوبلوا بالاستخفاف بمثل مقالهم، وهو أن أخذهم سهل يسير على الله لا يكلفه مؤونة، فما ينتظرون إلا صيحة واحدة تزهق بها نفوسهم، والمراد بالصيحة نفخة الصور الأولى على ما ذكر في التفسير، وفي التبيان عن النبي ﷺ قوله: هي ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين. انتهى. وجملة (تأخذهم) حالية، والفعل استعارة للمسك ونفي انفلات أحد منهم.

قوله (وهم يخصمون) الواو للعطف على الحال، والجملة حال ثانية، ومحصل المعنى: أن ما ينتظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم فلا تفلت أحدا منهم وفي حال من الغفلة والمجادلة فيما بينهم.

وفي الحديث: تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعان، فما يطويانه حتى تقوم الساعة، والرجل يرفع أكلته إلى فيه حتى تقوم الساعة، والرجل يليط حوضه ليسقي ما شيته فما يسقيها حتى تقوم. ذكر في المجمع والدر. انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

قوله (فلا يستطيعون توصية) الكلام متفرع على ما قبله، فالصيحة لا تمهل أحدا منهم فيوصي بعضهم لبعض لأنها شاملة لإفنائهم جميعا.

قوله (ولا إلى أهلهم يرجعون) أي: ولا الخارج منهم يقدر على الرجوع إلى أهله في بيته.

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

قوله (ونفخ في الصور) وهي النفخة الثانية التي يكون إيذان البعث والنور من القبور، وإسرافيل هو الملك الموكل بالنفخ.

قوله (فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) الفاء للتفريع على النفخ، و(إذا) للفجاءة، لأن القيامة تأتي بغتة، وتقديم شبه الجملة للاهتمام، و(من) ابتدائية، والأجداث جمع جدث وهو القبر، وذكر المغيى (إلى ربهم) لإفادة تقريع الكافرين المكذبين للمعاد، بمعنى: إلى حكم ربهم، والنسول الإسراع في الخروج. ذكر في المجمع. انتهى.

﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

قوله (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) تصوير حتمي الوقوع لحال الكافرين حين بعثهم من قبورهم، وهو الدعاء على أنفسهم بالويل والثبور لتحقق ما كانوا به يكذبون على عادتهم حين في الدنيا حين يداهمهم الخطر، ثم أعقبه السؤال عمن بعثهم على سبيل الإنكار للبعث أول دهشتهم منه، وهو إنكار راسخ في نفوسهم يلحقهم من عالم الدنيا.

والمرقد مكان الرقود وهو القبر تشبيها للميت بالنائم للإشارة إلى ما يعقب الموت من انتباهة وهي البعث من جديد، وبين (من) الاستفهامية و(من) حرف الابتداء محسن بديعي هو الجناس الناقص.

قوله (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) ثم تذكروا ما كان يعدهم به الرسل من أمر هذا اليوم الذي هم فيه، فأقروا بتحقيقه، واعترفوا للرسل بالتصديق، وذكر اسم الرحمن كيد منهم لاستدرار رحمة الله بإظهار ذلتهم، وقد كانوا يقولون في عالم الدنيا مستهزئين (وما الرحمن) [الفرقان ٦٠].

قوله تعالى ﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٥٣ ﴾

قوله (إن كانت إلا صيحة واحدة) الكلام تقرير لما تقدمه، وتأكيد بالقصر، أي: ما كانت النفخة إلا نفخة واحدة لم تمهلهم، ولفظ الوحدة لإفادة اليسر على الله تعالى في بعثهم، ولبيان مفاجأتهم.

قوله (فإذا هم جميع لدينا محضرون) الفاء لتفريع مفاجأة إحضارهم بين يدي الله للحساب بعد أن كانوا يصرون على إنكار ذلك الأمر في عالم الدنيا، و(جميع) بمعنى: مجموع، والظرف (لدينا) تأكيد للفصل بينهم، و(محضرون) أي: مجلوبون قهرا للقضاء.

قوله تعالى ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

قوله (فاليوم لا تظلم نفس شيئا) تعيين اليوم يراد به يوم الحساب، ونفي مطلق الظلم عن كل نفس، لأن الجزاء فيه على قدر الأعمال فلا ينقص من أجرها شيئا ولا يزاد عليها للعقاب.

قوله (ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) الكلام المؤكد بالقصر لتحقيق أن الجزاء من جنس العمل، وهو بمنزلة تقديم الحجة على نفي الظلم يشمل أهل الصلاح وأهل العصيان.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

انتقال بالكلام من ذكر أحوال الكافرين حين بعثهم إلى ذكر أحوال المؤمنين في ذلك اليوم، تشجيعا لأهل الإيمان على التمسك بعراه، وحثا لأهل الكفر على نبذه والالتحاق بأهل التوحيد، والابتداء بـ (إن) مشعر بأهمية الإخبار، وأصحاب الجنة الملازمون لها، وتعريف لفظ اليوم للعهد الحضوري يراد به يوم الحساب حيث كل فريق قضى الله في أمره.

و(في) للملابسة الظرفية، والشغل كما قال الراغب: العارض الذي يذهل الإنسان. انتهى. والمراد أنهم متلبسون بنعم الجنة لا يشغلهم عنها شيء، وتقديم الظروف للاهتمام، والفاكهون المنعمون المتعاطون للفكاهة وأحاديث ذوي الأنس.

قوله تعالى ﴿ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦ ﴾

أي: المؤمنون أصحاب الجنة هم وزوجاتهم المؤمنات في الدنيا ومن حور العين متكئون على أسرتهم ذات الحجال في حال من العز وترف الظلال، والمراد بذكر الظل أن وجوههم ناعمة مترفة، إذ لا شمس في الجنة حتى يكون لها ظل.

و(على) للاستعلاء المجازي أي مستقرون ثابتون في أسرتهم التي سماها أرائك، والأريكة السرير الذي عليه الحجلة، وهيأة الاتكاء على الأرائك كناية عن راحتهم ورفاهيتهم، لأن الاتكاء هيأة للجسم تتوسط الاضطجاع والجلوس.

قوله تعالى ﴿ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ٥٧ ﴾

قوله (لهم فيها فاكهة) اللام للاستحقاق، أي لأصحاب الجنة، و(فيها) أي في الجنة، والفاكهة أنواع الثمار التي لم يعهد مثل طعمها إنسان، ولذلك نكر اللفظ.

قوله (ولهم ما يدعون) أي: ولهم ما يتمنون ويطلبون.

قوله تعالى ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨ ﴾

أي: سلام عليهم، أو سلام لهم، وتنكيره للتعظيم والتفخيم، ونصب (قولا) على تقدير المفعول المطلق: أقوله قولا، و(من) حرف ابتداء، وتنكير لفظ

الرب والرحيم للتعظيم، وفي هذا السلام شعور لأهل الجنة بالتشريف والأمن لا تعدله لذة نفس، وهذا السلام خاص من الله تعالى عليهم، غير سلام الملائكة في قوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) [الرعد ٢٤].

قوله تعالى ﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٩ ﴾

العطف على قوله (فاليوم لا تظلم نفس)، والأمر بالتمييز بمعنى أن يفترقوا عن جملة المؤمنين ويتميزوا من بينهم في عرصات القيامة للبدء في عقابهم وإخزائهم، ونداؤهم بصفة الإجرام لأن الشرك بالله جرم عظيم، وهو تعليل لأمرهم، وأشير إليه في أكثر من موضع كقوله تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) [ص: ٢٨]، وقوله: (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم) [الجاثية: ٢١]، أشار إليه صاحب الميزان. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٠ ﴾

قوله (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان) الاستفهام للتقرير والتوبيخ، والعهد الإيصاء الذي بلغهم الله تعالى على لسان رسله بالنهي عن طاعة الشيطان كقوله تعالى (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج

أبويكم من الجنة) [الأعراف ٢٧]، وقوله (ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين) [الزخرف ٦٢].

ونداء المجرمين باسم البنوة الآدمية لتوبيخهم وتذكيرهم بأنهم أبناء الذي توعده الشيطان بالعداوة والإغواء، قال تعالى (أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا) [الإسراء ٦٢]، وجملة (أن) تفسيرية لفعل العهد المتضمن معنى القول، وعبادة الشيطان مجاز في طاعته لعبادة غير الله لأنه المسبب لذلك بوسوسته وإغوائه لهم.

قوله (إنه لكم عدو مبين) الفصل لتعليل لنفي عبادة الشيطان، وذلك لأنه عدو ظاهر العداوة، غايته إيقاع الضر ببني آدم.

قوله تعالى ﴿ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ ﴾

قوله (وأن اعبدوني) الكلام معطوف على (ألا تعبدوا الشيطان)، لأنها جملة تفسير ثانية لفعل العهد.

قوله (هذا صراط مستقيم) جملة تبيين للعهد في قوله (ألم أعهد)، واسم الإشارة لتعظيم عبادة التوحيد، والإخبار عنها بالصراط المستقيم لأنها الطريق الموصل إلى الجنة، والاستقامة توصيف للصراط، وتنوينهما لتعظيمهما.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

قوله (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) القسم والتحقيق لأهمية الإخبار المراد به توبيخ الضالين، وإضلال الشيطان كما هو معلوم بمعنى تزيينه للمشركين أعمالهم ووسوسته لهم بالمعاصي، و(من) في (منكم) بيانية، والجبل الجمع الكثير من الناس.

قوله (أفلم تكونوا تعقلون) الفاء لتفريع الاستفهام الإنكاري لتوبيخهم على سفاهة أحلامهم وخفة عقولهم.

قوله تعالى ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

اسم الإشارة للقريب دال على إحضار جهنم يومئذ، وجهنم اسم علم غلب على نار العذاب يوم القيامة، وجملة الموصول وصلته محلها الصفة لجهنم، ومضارع (توعدون) بمعنى: إنكم كنتم في عالم الدنيا توعدون بها مرة بعد مرة بألسن الرسل والأنبياء.

قوله تعالى ﴿ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

قوله (اصلوها اليوم) الصلي أصله الاستدفاء بحرارة النار، وإطلاقه على نار جهنم يراد به الإهانة للكافرين، وتعريف اليوم للعهد أي: يوم الفصل والحساب.

قوله (بما كنتم تكفرون) أي: بسبب إصراركم على الكفر في عالم الدنيا.

وفي نهج البلاغة: ما خير بخير بعده النار. وفيه: كل بلاء دون النار عافية. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

قوله (اليوم نختم على أفواههم) تكرار لفظ اليوم مرة بعد مرة لشدة الوعيد، والختم استعارة لمنع الكافرين من الكلام.

قوله (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم) التغاير بين التكليم والشهادة نوع تفنن في الكلام، لأن الجوارح كلها تشهد بما يخصها من اكتساب الأعمال واقتراف المعاصي، ودلالة شهادة الجوارح جعلها تقول ما كسب صاحبها من معاص.

وخصت الأيدي والأرجل بالذكر على سبيل المصداق وإلا ففي مواضع أخرى من سور الكتاب العزيز ذكر إلى جانب شهادة الأيدي والأرجل شهادة الألسن والسمع والبصر والجلود، قال تعالى (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) [السجدة: ٢٠]، وقال: (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) [الإسراء: ٣٦].

قوله (بما كانوا يكسبون) الباء متعلقة بفعل الشهادة، و(ما) موصولة، والكسب تقال لعمل الأعمال الصالحة والسيئة.

وعن الباقر عليه السلام قوله: وليست تشهد الجوارح على مؤمن، إنما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب، فأما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه قال الله عز وجل: (فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا) [أسرى: ٧١]. ذكر في الكافي. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ٦٦ ﴾

قوله (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) العطف على قوله (ويقولون متى هذا الوعد)، والكلام في بيان القدرة الربانية وسعة الرحمة في إمهال المشركين، وتعليم المؤمنين بأن الدنيا دار تكليف لا دار إلجاء، ولولا أن حكمة الله قضت بناء خلقه على نظام العلة لسلبهم حق الاختيار وألجأهم إلى الإقرار بوحدانيته، أي: ولو أردنا لجعلناهم عميا بلا إبصار، والطمس الإذهاب والمحو، وتسليطه على الأعين بمعنى تمكين محو أثرها، وإلا فإن الفعل يتعدى بنفسه.

قوله (فاستبقوا الصراط) فرع على إذهاب البصر إرادتهم سبق غيرهم إلى الصراط الذي لا يضل سالكه فلم يهتدوا إليه لأنهم بلا أبصار، والاستباق افتعال في تكلف السبق، ولتضمينه معنى الابتدار حذف حرف تعديته (إلى).

قوله (فأنى يبصرون) الفاء تفريع على التفريع، والاستفهام لإنكار الاهتداء، أي: فكيف يبصرون، والإبصار مجاز في معرفة طريق الحق.

وفي نهج البلاغة: وإن الله سبحانه أمر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا، وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا، وأعطى على القليل كثيرا، ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

قوله (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) أي: ولو أردنا لقلبنا صورتهم من الآدمية إلى خلق آخر غير آدمي، قال الراغب في المسخ: المسخ تشويه الخلق والخلق وتحويلهما من صورة إلى صورة. انتهى. والظرف (على مكانتهم) محله الحال، لبيان القدرة، ويسر ذلك على الله.

قوله (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) الفاء للتفريع، والاستطاعة القدرة، والمعنى: فما قدروا على ذهاب أو مجيء لأنهم سلبوا العقل، ولم يقل: ولا رجوعا ليحاذي المضي، لرعاية الفاصلة.

قوله تعالى ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

قوله (ومن نعمره ننكسه في الخلق) أي: ومن نمد في عمره نرده ضعيفا، والتنكيس القلب رأسا على عقب، فكأن من يزاد في عمره تقلب صورته

فتتبدل قوته ضعفا ونضارته يبوسا، وذكره نسيانا، وعلمه جهلا، والظرف (في الخلق) موقعه الحال.

قوله (أفلا يعقلون) وفرع على ما تقدم الاستفهام الإنكاري الذي أفاد التوبيخ لعدم تدبرهم وتفكرهم، لأن التنكيس في الخلق شاهد على إمكان الطمس.

قوله تعالى ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ٦٩ ﴾

قوله (وما علمناه الشعر) العطف رجوع بالكلام إلى ما تقدم في أول السورة من الدعوة إلى التصديق بالرسالة وبالتنزيل، و(ما) لمطلق النفي، ونفي التعليم بمعنى: لم يعط الله النبي ﷺ العلم بالشعر، ولازم المعنى في الكلام أنا لم نعلمه الشعر بل أوحينا إليه القرآن، والقرآن ليس بشعر، بل هو ذكر.

قوله (وما ينبغي له) أي ما يترجح له الشعر وما يتأتى له أن يكون شاعرا، وهو منع تهذيبي لتنزيهه من الأخيلة الكاذبة التي يقع فيها الشعراء أو المبالغات الني تدخلهم في باطل القول، فالرسالة التي محضت الله لها نفس النبي ﷺ نزهته عن التنزّل عن مقامها العالي.

قوله (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) الجملة استئناف لسؤال بعد نفي الشعر عن الوحي النازل إلى النبي ﷺ بتقدير: فما يكون ما أوحي إلى النبي ﷺ؟ فأجيب بقوله: (إن هو إلا ذكر)، و(إن) بمعنى (ما) النافية لإفادة نقض النفي بـ (إلا) ليكون آكد في قصر ما أوحي إلى النبي ﷺ في الذكر.

والضمير (هو) راجع إلى القرآن المفهوم في (علمناه)، والإخبار عنه بالمصدر (ذكر) للمبالغة في كونه مذكّرا للناس بتوحيد الله وبالتخويف من عقابه، واللفظ شاع إطلاقه على القرآن في آيات الكتاب العظيم، ولفظ القرآن علم بالغلبة مبالغة يراد به المقروء، ووصفه بالمبين لأنه أبان بآياته عن المعنى المراد بأبلغ طريق وأخصره بلاغة وفصاحة.

وفي المجمع والدر، روي عن الحسن أن رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت: كفى الإسلام والشيب للمرء ناهيا، فقال له أبو بكر: يا رسول الله إنما قال: كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا، وأشهد أنك رسول الله وما علمك الله الشعر وما ينبغي لك.

وفيه عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يتمثل ببيت أخي بني قيس:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا   ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل يقول: ويأتيك من لم تزود بالأخبار، فيقول أبو بكر: ليس هكذا يا رسول الله فيقول: إني لست بشاعر ولا ينبغي لي. انتهى.

وأما ما أثر عنه في قوله:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

أو قوله في الغار:

ما أنت إلا إصبع دميتِ   وفي سبيل الله ما لقيتِ

فهو من الكلام الذي وافق وزن الشعر وليس بشعر.

قوله تعالى ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

قوله (لينذر من كان حيا) جملة تعليل لقوله (إن هو إلا ذكر)، والإنذار التخويف من عاقبة الشرك بالله، والكناية في (حيا) كناية عن الإنذار لمن يسمع الآيات الداعية إلى الحق فينتصح بها، وعلى ما روي عن الإمام علي عليه السلام: من كان حيا عاقلا، والكلام في معنى قوله تعالى (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن).

قوله (ويحق القول على الكافرين) أي يجب العذاب على الكافرين بكفرهم، لأن لفظ القول من الإنذار بالعذاب الذي خوفهم به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

قوله (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) رجع الكلام إلى ذكر أدلة التوحيد. وجيء بالاستفهام لتقرير جمع الغائبين.

وفعل الرؤية يراد به العلم، واللام في (لهم) بمعنى لأجل انتفاعهم، وتقديمه لإظهار منة الله عليهم ومقابلتهم لها بالنكران، و(من) في (مما) للتبيين.

وصيغة (عملت أيدينا) كناية عن إبداع الله وإنشائه من غير معونة أحد، وتقديم الموصول وصلته للاهتمام، ولفظ الأنعام المفعول المتأخر، والأنعام الإبل والبقر والغنم.

قوله (فهم لها مالكون) الفاء للتفريع، أي فهم للأنعام مالكون بخلقها لهم وبتسخيرنا لها لأجلهم، ولولا ذلك لما ملكوها وانتفعوا بألبانها.

قوله تعالى ﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

قوله (وذللناها لهم) أي: وطوعنا الأنعام منقادة لأجلهم، وسخرناها لنفعهم.

قوله (فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) تفرع على التذليل تقسيمها صنفين أن منها ركوبهم في تنقلهم في أسفارهم وأحمالهم، ومنها طعامهم في لحومها وألبانها. والركوب بفتح الراء الحمولة كالإبل والبقر.

قوله تعالى ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

قوله (ولهم فيها منافع ومشارب) أي: ولهم في الأنعام منافع تعود عليهم بالفائدة كانتفاعهم بأوبارها وأشعارها وجلودها، وانتفاعهم بما يشربون من ألبانها.

قوله (أفلا يشكرون) أي: أفلا يعبدون الله شكرا لأنعمه عليهم.

قوله تعالى ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

قوله (واتخذوا من دون الله آلهة) ضمير الجمع في فعل الاتخاذ راجع إلى المشركين، وصيغة (من دون الله) من غير الله، والآلهة معبوداتهم المتعددة من الأصنام والشياطين والفراعنة المتجبرين.

قوله (لعلهم ينصرون) أي: عبدوا الآلهة رجاء أن ينصروهم في دفع الضر وجلب الخير.

قوله تعالى ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

قوله (لا يستطيعون نصرهم) ضمير الجمع الأول راجع إلى الآلهة المزعومة، وضمير الجمع الثاني عائد إلى المشركين، ونفي الاستطاعة نفي القدرة لأن الآلهة المزعومة لا تملك ضرا ولا نفعا.

قوله (وهم لهم جند محضرون) الضمير (هم) بمعنى: المشركون تبع لمعبوداتهم مجلوبون للحساب يوم القيامة، لأن لفظ الجند من لوازمه الاتباع، وقيل في تفسير الإحالات أقوال كثيرة لمن اطلع عليها، وما ذكرنا هو الأوفق.

قوله تعالى ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

قوله (فلا يحزنك قولهم) لما تقدم ذكر خذلان المشركين يوم القيامة فرّع عليه نهي النبي ﷺ عن الاكتراث لتخرصاتهم في تكذيبه واتهامه بالشعر مرة وبالسحر أخرى.

قوله (إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون) الإخبار بعلم الله لما يخفي المشركون ويعلنون مضمونه التهديد لهم، والتعليل للنهي.

قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ ﴾

قوله (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) الاستفهام تعجيب من حال الإنسان الجاحد، وفعل الرؤية بمعنى: أولم يعلم، ولفظ الإنسان للعموم ويراد به الكافر الناكر لمنن الله، والخلق الإيجاد والتدبير، و(من) ابتدائية أو بيانية، والنطفة الماء الكثير، وتنكيرها للتحقير.

قوله (فإذا هو خصيم مبين) الفاء للتفريع، و(إذا) فجائية، وضمير الفصل عائد إلى الإنسان، والمعنى: أن الله أوجد الإنسان من نطفة مهينة فيفاجئه بإظهار الخصومة الواضحة، والفجاءة مجاز في سرعة الجحود، والخصيم صفة مشبهة دالة على شدة المجادلة ورسوخها في نفوس الكافرين، واللفظ مجاز في عبادة غير الله وإظهار العصيان له.

قوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ ﴾

قوله (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) العطف على ما تقدم لأن الكلام من جملة الخصومة والمجادلة، وفاعل الضرب المشرك الجاحد للآخرة، وضرب المثل الإتيان به كأنه مشاهد، وجملة (ونسي خلقه) جملة حالية،

أي: ضرب لنا مثلا في حال نسيانه خلقه الابتدائي من نطفة، ولو كان تذكره لما ضرب المثل.

قوله (قال من يحيي العظام وهي رميم) بيان للمثل، والاستفهام محكي لإنكارهم، وإحياء العظام إعادتها بعد أن تصبح بالية في التراب، وجملة (وهي رميم) جملة حالية.

وجاء في سبب النزول في كثير من كتب التفسير: إن أبي بن خلف، أو العاص بن وائل، جاء بعظم بال متفتت، وقال: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال: نعم. فنزلت الآية. انتهى.

قوله تعالى ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ﴾

قوله (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) الأمر بـ (قل) تعليم من الله تعالى لنبيه ﷺ في رد الجواب، أي يعيد الله الحياة للعظام، لأنه هو الذي أوجدها ابتداء، وإنما عدل عن التصريح بلفظ الجلالة إلى الإتيان باسم الموصول وصلته لبيان علة الإحياء، وذلك لأن الإعادة أسهل في القياس بالنسبة لأفهام البشر من الابتداء.

وفعل الإنشاء بمعنى الإيجاد والاختراع لا على مثال سابق، وصيغة (أول مرة) تأكيد للابتداء.

قوله (وهو بكل خلق عليم) أي: والله تعالى عليم لا يخفى عليه شيء مما خلق، ولو كان عظاما رميما.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ ﴾

قوله (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) جملة بدل من قوله (الذي أنشأها)، ضرب بها المثل فيما هو أعجب من صنعه تعالى، وهو إخراج النار مما يطفأ بها وهما متضادان، أي من الشجر الأخضر، قال الطبرسي في المجمع: يعني بذلك المرخ والعفار، وهما شجرتان يتخذ الأعراب زنودها منهما. انتهى.

قوله (فإذا أنتم منه توقدون) تفريع على ما تقدم من مفاجأة إيقاد النار من الشجر الأخضر.

والشجرتان ـ أعني المرخ والعفار ـ في غاية الرطوبة، تشتعلان بسحق أحدهما على الآخر، فتنقدح منه النار، ومن قدر على إخراج النار من مضادها في الشجر الأخضر قادر على إخراج الحي من الميت.

قوله تعالى ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١ ﴾

قوله (أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) الاستفهام للإنكار، والإتيان بذكر خلق السماوات والأرض لأنه خلقهما أعقد من خلق الإنسان، قال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) [المؤمن ٥٧]، والمراد بـ (مثلهم) مثل أنفسهم.

قوله (بلى وهو الخلاق العليم) يجاب بـ (بلى) السؤال المنفي لإثباته، ولفظ الخلاق مبالغة في الخلق والإيجاد، والعليم مبالغة في كثرة العلم، وفي الكلام قصران ضمير الفصل وأل لفظ الخلاق.

قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾

قوله (إنما أمره إذا أراد شيئا) الكلام تبيين لمعنى الخلاق، و(إنما) للحصر، و(أمره) بمعنى شأنه تعالى لا بمعنى الأمر نقيض النهي، ومعنى (أراد شيئا) إذا أراد إيجاد شيء.

قوله (أن يقول له كن فيكون) جملة تفسير للإرادة، وفعل القول والأمر بـ (كن) تمثيل لإفاضته الوجود على الشيء، وليس معناه خطابه بأمر الكون، لأنه تعالى غني عن ذلك، وإنما هي اللغة التي بها يتوصل إلى إبلاغ المعاني في إفاضة الوجود الذي لا يعرف كنهها غيره تعالى، وجملة (فيكون) تفريع تمثيل الطاعة لأمر الله في (كن).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: يقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفظ، ويريد ولا يضمر، يحب ويرضى من غير رقة، ويبغض ويغضب من غير مشقة.

يقول لمن أراد كونه كن فيكون، لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع، وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه، ومثله لم يكن من قبل ذلك كائنا، ولو كان قديما لكان إلها ثانيا. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾

قوله (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) الكلام متفرع على ما تقدم، وهو إنشاء صيغة ثناء عليه تعالى بتنزيه ساحة قدسه عن كل ما لا يليق ومنه إنكار المشركين للمعاد إليه تعالى، واسم الموصول وصلته تبيين للتسبيح، ومعنى (بيده) مجاز من قوة قبضته تعالى، ولفظ الملكوت مبالغة في الملك.

قوله (وإليه ترجعون) التقديم للقصر، أي: وإليه تعالى وحده ترجعون جميعا يوم القيامة للوقوف للحساب. والله العالم.

المحتويات

تفسير سورة السجدة

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ﴾ ١-٢٥

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ ١-٢

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ ... ﴿٣﴾ ﴾ ٢-٣

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى ... ﴿٤﴾ ﴾ ... ٣-٥

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى ... ﴿٥﴾ ﴾ ... ٥-٦

﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ ٦

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ ... ﴿٧﴾ ﴾ ٦-٧

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ ٧

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ ... ﴿٩﴾ ﴾ ... ٧-٨

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ ... ﴿١٠﴾ ﴾ ٨-٩

﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ ... ﴿١١﴾ ﴾ ٩-١٠

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ ... ﴿١٢﴾ ﴾ ١١-١٢

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ... ﴿١٣﴾ ﴾ ... ١٢-١٣

﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ ... ﴿١٤﴾ ﴾ ... ١٣-١٤

﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا ... ﴿١٥﴾ ﴾ ... ١٤

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا ... ﴿١٦﴾ ﴾ ١٥-١٦

﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ ... ﴿١٧﴾ ﴾ ١٦-١٧

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ ١٧

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ ... ﴿١٩﴾ ﴾ ١٨

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن ... ﴿٢٠﴾ ﴾ ١٨-١٩

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ ... ﴿٢١﴾ ﴾ ... ١٩

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ ... ﴿٢٢﴾ ﴾ ... ٢٠

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن ... ﴿٢٣﴾ ﴾ ٢٠-٢١

﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ ... ﴿٢٤﴾ ﴾ ... ٢١

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا ... ﴿٢٥﴾ ﴾ ٢١-٢٢

﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ ... ﴿٢٦﴾ ﴾ ... ٢٢-٢٣

﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ ... ﴿٢٧﴾ ﴾ ٢٣-٢٤

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٨ ﴾ ٢٤

﴿ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ ... ٢٩ ﴾ ٢٤

﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ٣٠ ﴾ ٢٥

تفسير سورة الأحزاب

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ... ١ ﴾ ٢٦-٢٧

﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا ... ٢ ﴾ ... ٢٧

﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣ ﴾ ٢٧-٢٨

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ ... ٤ ﴾ ٢٨-٣٠

﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ... ٥ ﴾ ٣٠-٣٢

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ ... ٦ ﴾ ٣٢-٣٥

﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ ... ٧ ﴾ ٣٥-٣٦

﴿ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٨ ﴾ ... ٣٦-٣٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ ... ٩ ﴾ ... ٣٧-٥٣

﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ... ١٠ ﴾ ... ٥٣-٥٤

﴿ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ ﴾ ٥٤-٥٥

﴿ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا ... ١٢ ﴾ ٥٥-٥٦

﴿ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ ... ١٣ ﴾ ... ٥٦-٥٧

﴿ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا ... ١٤ ﴾ ٥٨

﴿ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ ... ١٥ ﴾ ٥٩

﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ ... ١٦ ﴾ ... ٥٩-٦٠

﴿ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا ... ١٧ ﴾ ... ٦٠

﴿ ۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ ... ١٨ ﴾ ٦١

﴿ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ ... ١٩ ﴾ ٦١-٦٣

﴿ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ ... ٢٠ ﴾ ٦٤

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ... ٢١ ﴾ ٦٥

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ ... ٢٢ ﴾ ... ٦٦

﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ ... ٢٣ ﴾ ٦٧-٦٨

﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ... ٢٤ ﴾ ... ٦٨-٦٩

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ ... ﴿٢٥﴾ ﴾ ٦٩
﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ ... ﴿٢٦﴾ ﴾ ... ٧٠
﴿ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ ... ﴿٢٧﴾ ﴾ ... ٧٠-٧١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا... ﴿٢٨﴾ ﴾... ٧١-٧٢
﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ ... ﴿٢٩﴾ ﴾ ٧٢-٧٤
﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ... ﴿٣٠﴾ ﴾ ٧٤-٧٥
﴿ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا ... ﴿٣١﴾ ﴾ ٧٥
﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ ... ﴿٣٢﴾ ﴾ ٧٦
﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ... ﴿٣٣﴾ ﴾.... ٧٦-٧٩
﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ... ﴿٣٤﴾ ﴾ ٧٩
﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ ... ﴿٣٥﴾ ﴾ ٧٩-٨٢
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا ... ﴿٣٦﴾ ﴾ ٨٢-٨٣
﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ ...﴿٣٧﴾ ﴾ ٨٣-٨٧
﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ ... ﴿٣٨﴾ ﴾ ... ٨٧

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا ... ﴿٣٩﴾ ﴾ ٨٨-٨٩

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ... ﴿٤٠﴾ ﴾ ٨٩-٩٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾ ٩٠-٩٢

﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ ٩٢

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم ... ﴿٤٣﴾ ﴾ ٩٢-٩٣

﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ ٩٣

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ ٩٣

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ ٩٤

﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ ٩٤

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ ... ﴿٤٨﴾ ﴾ ٩٤-٩٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ ... ﴿٤٩﴾ ﴾ ٩٥-٩٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ ... ﴿٥٠﴾ ﴾ ٩٦-١٠٠

﴿ ۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ... ﴿٥١﴾ ﴾.... ١٠٠-١٠١

﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ ... ﴿٥٢﴾ ﴾ ... ١٠٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن ... ﴿٥٣﴾ ﴾.... ١٠٣-١٠٥

﴿ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ ١٠٦

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ... ﴿٥٥﴾ ﴾.... ١٠٦-١٠٧

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ... ﴿٥٦﴾ ﴾... ١٠٧-١٠٨

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا ... ﴿٥٧﴾ ﴾ ... ١٠٩

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ ... ﴿٥٨﴾ ﴾ ١٠٩-١١٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ... ﴿٥٩﴾ ﴾ ١١٠-١١١

﴿ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ... ﴿٦٠﴾ ﴾.... ١١١-١١٢

﴿ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾ ١١٢-١١٣

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن ... ﴿٦٢﴾ ﴾ ١١٣

﴿ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ ... ﴿٦٣﴾ ﴾ ١١٣-١١٤

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ ﴾ ١١٤

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ ١١٤

﴿ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ... ﴿٦٦﴾ ﴾ ١١٥

﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ... ﴿٦٧﴾ ﴾ ... ١١٦-١١٥
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ ... ١١٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ ... ﴿٦٩﴾ ﴾ ١١٧-١١٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ ١١٨-١١٧
﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ... ﴿٧١﴾ ﴾ ١١٨
﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ ... ﴿٧٢﴾ ﴾ ١٢٠-١١٩
﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ ... ﴿٧٣﴾ ﴾ ١٢١-١٢٠

تفسير سورة سبأ

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ... ﴿١﴾ ﴾ ١٢٣-١٢٢
﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ ... ﴿٢﴾ ﴾ ... ١٢٤-١٢٣
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي ... ﴿٣﴾ ﴾ ... ١٢٥-١٢٤
﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ... ﴿٤﴾ ﴾ ... ١٢٥
﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ ... ﴿٥﴾ ﴾ ... ١٢٧-١٢٦
وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ... ﴿٦﴾ ﴾... ١٢٨-١٢٧

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ ... ٧ ﴾ ... ١٢٨

﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ... ٨ ﴾ ... ١٢٩

﴿ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ... ٩ ﴾ ... ١٣٠-١٣١

﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي ... ١٠ ﴾ ١٣١-١٣٢

﴿ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ ... ١١ ﴾ ... ١٣٢-١٣٣

﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا... ١٢ ﴾... ١٣٣-١٣٤

﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ ... ١٣ ﴾ ... ١٣٥-١٣٧

﴿ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا ... ١٤ ﴾ ١٣٧-١٣٩

﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ ... ١٥ ﴾ ... ١٣٩-١٤٠

﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ ... ١٦ ﴾... ١٤٠-١٤١

﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧ ﴾ ... ١٤١

﴿ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ... ١٨ ﴾ ... ١٤٢

﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ... ١٩ ﴾ ١٤٢-١٤٤

﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ... ٢٠ ﴾ ... ١٤٥

﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن ... ﴿٢١﴾ ﴾ ... ١٤٥-١٤٧

﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ ... ﴿٢٢﴾ ﴾ ... ١٤٧-١٤٨

﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا ... ﴿٢٣﴾ ﴾ ... ١٤٨-١٥٠

﴿ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ... ﴿٢٤﴾ ﴾ ... ١٥٠-١٥٢

﴿ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ ... ١٥٢

﴿ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ... ﴿٢٦﴾ ﴾ ... ١٥٢

﴿ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ ... ﴿٢٧﴾ ﴾ ... ١٥٣

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ... ﴿٢٨﴾ ﴾ ... ١٥٣-١٥٥

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ... ١٥٥

﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٍ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةً ... ﴿٣٠﴾ ﴾ ... ١٥٥-١٥٦

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ ... ﴿٣١﴾ ﴾ ... ١٥٦-١٥٧

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ ... ﴿٣٢﴾ ﴾ ... ١٥٧-١٥٨

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ... ﴿٣٣﴾ ﴾ ... ١٥٨-١٥٩

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا ... ﴿٣٤﴾ ﴾ ... ١٥٩-١٦٠

﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ ﴾ ... ١٦٠-١٦١

﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ ... ٣٦ ﴾ ... ١٦١

﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ ... ٣٧ ﴾ ... ١٦٢-١٦٣

﴿ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ... ٣٨ ﴾ ... ١٦٣

﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ... ٣٩ ﴾ ... ١٦٣-١٦٥

﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ ... ٤٠ ﴾ ... ١٦٥

﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ ... ٤١ ﴾ ... ١٦٥-١٦٦

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ ... ٤٢ ﴾ ... ١٦٦-١٦٧

﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ ... ٤٣ ﴾ ... ١٦٧-١٦٨

﴿ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ ... ٤٤ ﴾ ... ١٦٨-١٦٩

﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ... ٤٥ ﴾ ... ١٦٩-١٧٠

﴿ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ ... ٤٦ ﴾ ... ١٧٠-١٧١

﴿ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ... ٤٧ ﴾ ... ١٧١-١٧٢

﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٤٨ ﴾ ... ١٧٢

﴿ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾ ١٧٣

﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ ... ﴿٥٠﴾ ﴾ ١٧٣-١٧٤

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ ... ﴿٥١﴾ ﴾ ... ١٧٤-١٧٥

﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ ... ١٧٥-١٧٧

﴿ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ... ﴿٥٣﴾ ﴾ ... ١٧٧-١٧٨

﴿ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم ... ﴿٥٤﴾ ﴾ ... ١٧٨

تفسير سورة فاطر

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ... ﴿١﴾ ﴾ ١٧٩-١٨٢

﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ... ﴿٢﴾ ﴾... ١٨٢-١٨٤

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ ... ﴿٣﴾ ﴾ ... ١٨٥-١٨٦

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾ ... ١٨٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ... ﴿٥﴾ ﴾ ... ١٨٦-١٨٧

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ... ﴿٦﴾ ﴾... ١٨٧-١٨٨

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ... ﴿٧﴾ ﴾ ... ١٨٨

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن... ٨ ﴾ ... ١٨٩-١٩٠

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ ... ٩ ﴾ ... ١٩٠-١٩٢

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ... ١٠ ﴾ ... ١٩٢-١٩٣

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ ... ١١ ﴾ ... ١٩٣-١٩٥

﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ ... ١٢ ﴾ ... ١٩٥-١٩٧

﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ ... ١٣ ﴾ ... ١٩٧-١٩٨

﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ... ١٤ ﴾ ١٩٩

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ ... ١٥ ﴾ ١٩٩-٢٠٠

﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ ﴾ ٢٠٠

﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ١٧ ﴾ ٢٠٠

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ ... ١٨ ﴾ ٢٠١-٢٠٣

﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ ﴾ ٢٠٣

﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ ﴾ ٢٠٣

﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ٢١ ﴾ ٢٠٣

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ ... ﴿٢٢﴾ ﴾ ... ٢٠٣-٢٠٤

﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ٢٠٣-٢٠٤

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ ... ﴿٢٤﴾ ﴾ ٢٠٤-٢٠٥

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ... ﴿٢٥﴾ ﴾.... ٢٠٥-٢٠٦

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ ... ٢٠٦

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا ... ﴿٢٧﴾ ﴾ ٢٠٦-٢٠٨

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ...﴿٢٨﴾ ﴾ ٢٠٨-٢٠٩

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ... ﴿٢٩﴾ ﴾ ... ٢٠٩-٢١٠

﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ ...﴿٣٠﴾ ﴾ ... ٢١٠-٢١١

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا... ﴿٣١﴾ ﴾... ٢١١-٢١٢

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ ... ﴿٣٢﴾ ﴾ ... ٢١٢-٢١٤

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ... ﴿٣٣﴾ ﴾ ٢١٤-٢١٥

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَۖ إِنَّ ... ﴿٣٤﴾ ﴾ ... ٢١٥-٢١٦

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا ... ﴿٣٥﴾ ﴾ ... ٢١٦

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ ... ٣٦ ﴾ ... ٢١٦-٢١٧

﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا ... ٣٧ ﴾ ... ٢١٧-٢١٨

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ ... ٣٨ ﴾ ... ٢١٨-٢١٩

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ ... ٣٩ ﴾ ... ٢١٩-٢٢٠

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي ... ٤٠ ﴾ ... ٢٢٠-٢٢٢

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن ... ٤١ ﴾ ... ٢٢٢-٢٢٣

﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ... ٤٢ ﴾... ٢٢٣-٢٢٤

﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ... ٤٣ ﴾ ... ٢٢٤-٢٢٦

﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ ...٤٤ ﴾ ... ٢٢٦-٢٢٧

﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ... ٤٥ ﴾ ... ٢٢٧-٢٢٩

تفسير سورة يس

﴿ يسٓ ١ ﴾ ٢٣٠

﴿ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ ﴾ ٢٣٠-٢٣١

﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ ﴾ ٢٣١

﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤ ﴾ ٢٣١-٢٣٢

﴿ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥ ﴾ ٢٣٢

﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦ ﴾ ٢٣٢

﴿ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧ ﴾ ٢٣٢-٢٣٣

﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ ... ٨ ﴾ ... ٢٣٣-٢٣٤

﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا ... ٩ ﴾ ٢٣٤-٢٣٥

﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠ ﴾ ... ٢٣٥-٢٣٦

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ... ١١ ﴾ ... ٢٣٦-٢٣٧

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ ... ١٢ ﴾ ... ٢٣٧-٢٣٩

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ ﴾ ... ٢٣٩

﴿ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ ... ١٤ ﴾.... ٢٤٠

﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ... ١٥ ﴾ ... ٢٤٠-٢٤١

﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ ﴾ ٢٤١

﴿ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧ ﴾ ... ٢٤١

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم ... ﴿١٨﴾ ﴾ ٢٤٢

﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ ... ﴿١٩﴾ ﴾ ... ٢٤٢-٢٤٤

﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ... ﴿٢٠﴾ ﴾ ... ٢٤٥-٢٤٦

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ ٢٤٦

﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ٢٤٦-٢٤٧

﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ ... ﴿٢٣﴾ ﴾ ... ٢٤٧-٢٤٨

﴿ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ ٢٤٨

﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ ٢٤٨

﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ ٢٤٩

﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ٢٤٩-٢٥٠

﴿ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ... ﴿٢٨﴾ ﴾ ٢٥٠

﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ٢٥٠-٢٥١

﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ ... ﴿٣٠﴾ ﴾ ٢٥١

﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ ... ﴿٣١﴾ ﴾ ٢٥٢

﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٣٢ ﴾ ٢٥٢-٢٥٣

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا ... ۝٣٣ ﴾ ... ٢٥٣

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا ... ۝٣٤ ﴾ ... ٢٥٤

﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا ... ۝٣٥ ﴾ ٢٥٤-٢٥٥

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ... ۝٣٦ ﴾ ٢٥٥

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧ ﴾ ٢٥٦

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ... ۝٣٨ ﴾ ٢٥٦-٢٥٧

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ ﴾ ... ٢٥٧-٢٥٨

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ ... ۝٤٠ ﴾ ٢٥٨-٢٥٩

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝٤١ ﴾ ... ٢٥٩-٢٦٠

﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ۝٤٢ ﴾ ... ٢٦٠-٢٦١

﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ۝٤٣ ﴾ ٢٦١

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٤٤ ﴾ ٢٦١

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ ... ۝٤٥ ﴾ ... ٢٦٢

﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ ... ٤٦ ﴾ ... ٢٦٢-٢٦٣

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ ... ٤٧ ﴾ ... ٢٦٣-٢٦٤

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨ ﴾ ٢٦٤

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ٤٩ ﴾ ... ٢٦٤-٢٦٥

﴿ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ٥٠ ﴾ ... ٢٦٥-٢٦٦

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ٥١ ﴾ ... ٢٦٦

﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ... ٥٢ ﴾ ... ٢٦٦-٢٦٧

﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا ... ٥٣ ﴾ ٢٦٧

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ ... ٥٤ ﴾ ... ٢٦٨

﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥ ﴾ ٢٦٨

﴿ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦ ﴾ ٢٦٩

﴿ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ٥٧ ﴾ ٢٦٩

﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨ ﴾ ٢٦٩-٢٧٠

﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩ ﴾ ٢٧٠

﴿ * أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ... ﴿٦٠﴾ ﴾ ٢٧٠-٢٧١

﴿ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ ﴾ ٢٧١

﴿ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ ٢٧٢

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ ٢٧٢

﴿ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ ٢٧٢-٢٧٣

﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ ... ﴿٦٥﴾ ﴾ ٢٧٣-٢٧٤

﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ ... ﴿٦٦﴾ ﴾ ... ٢٧٤-٢٧٥

﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ ... ﴿٦٧﴾ ﴾ ... ٢٧٥

﴿ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ ... ٢٧٥-٢٧٦

﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ ... ﴿٦٩﴾ ﴾ ... ٢٧٦-٢٧٧

﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ ٢٧٨

﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا ... ﴿٧١﴾ ﴾ ٢٧٨-٢٧٩

﴿ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ ٢٧٩

﴿ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ ٢٧٩

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ٧٤ ﴾	٢٧٩-٢٨٠
﴿ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ٧٥ ﴾	٢٨٠
﴿ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٦ ﴾	٢٨٠
﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ ... ٧٧ ﴾ ...	٢٨١
﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ... ٧٨ ﴾ ...	٢٨١-٢٨٢
﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ ... ٧٩ ﴾ ...	٢٨٢-٢٨٣
﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم ... ٨٠ ﴾ ...	٢٨٣
﴿ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ ... ٨١ ﴾ ...	٢٨٣-٢٨٤
﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ ﴾ ...	٢٨٤-٢٨٥
﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾ ...	٢٨٥